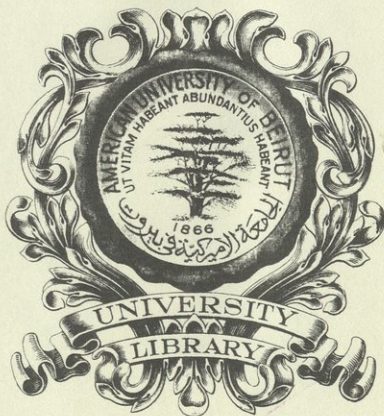
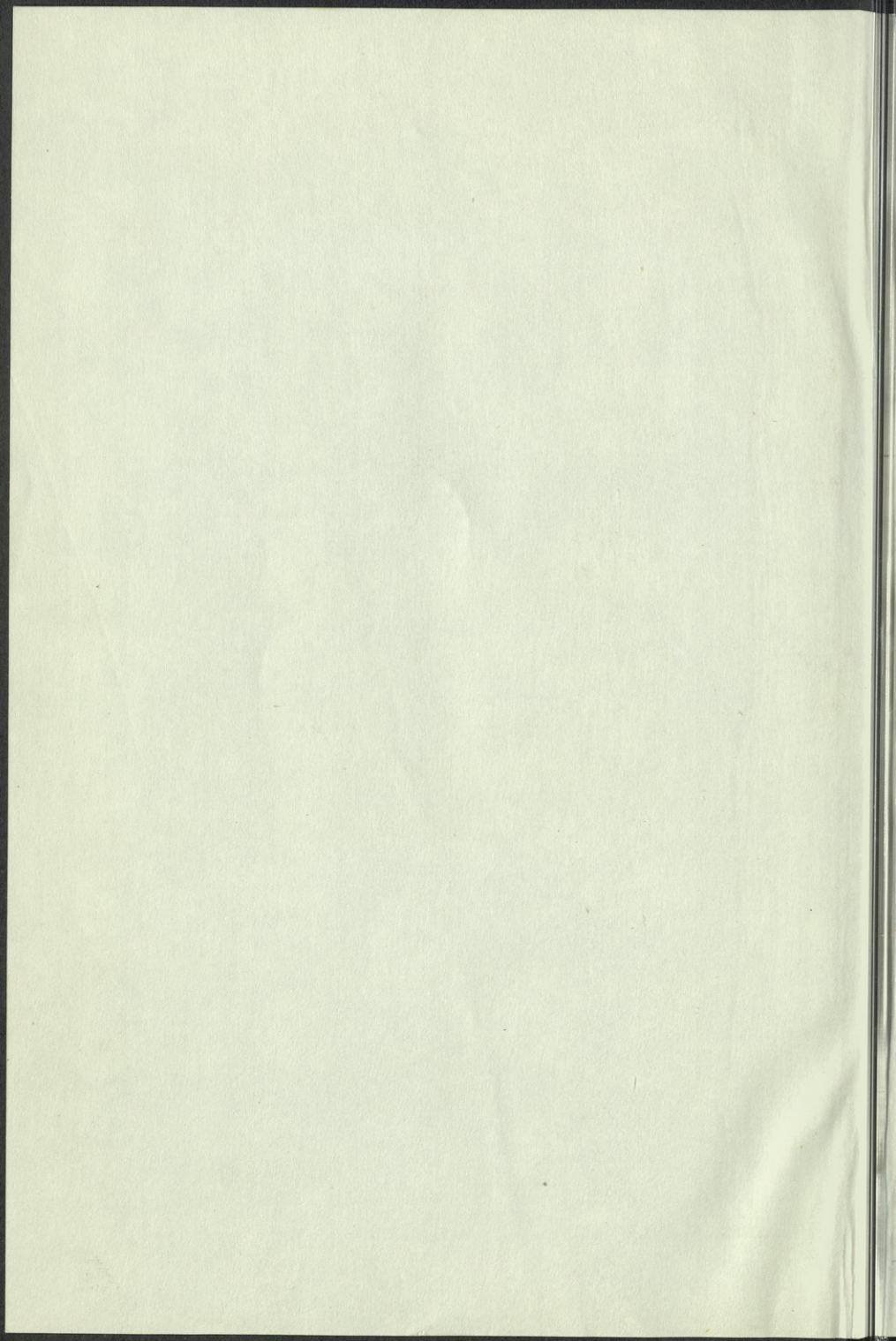


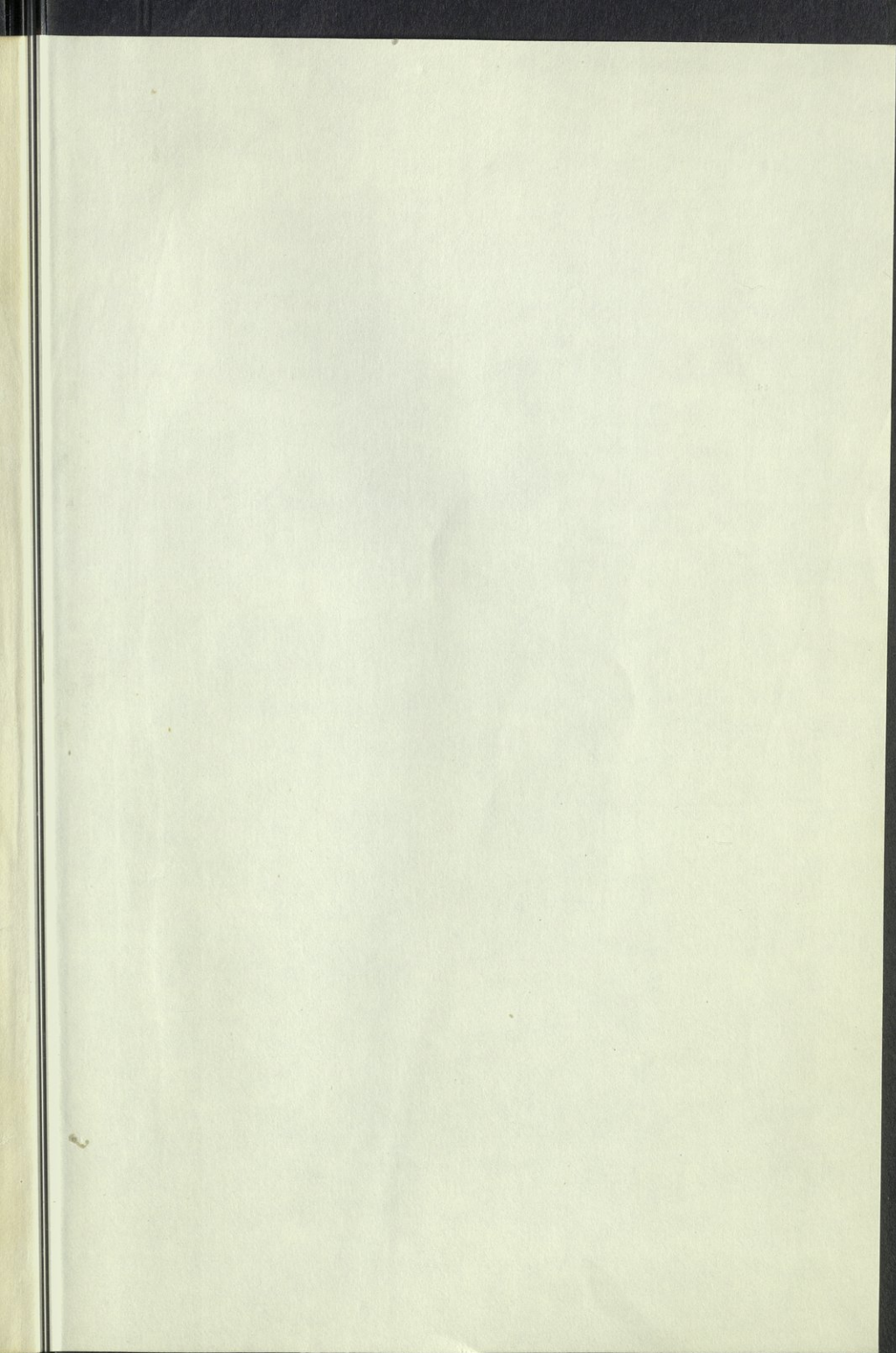


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT







عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

و قد روي في نسخة اخرى ثلاث اجزاء

تفصيله وحكاية ونبذة

الاجزاء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

بن

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

Ed. May 1936

Paul May 1936

نقدم الى مؤسسة جامعة بيروت العربية العارة مع شكر
المؤلف لهذا ما ناله جليله

CAHAN 892.7858 A
U 487.7
v. 1
c. 2

عَمْرُ بْنُ أَبِي بَيْعَةَ

وَهُوَ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ تَبْحَثُ
عَصْرَهُ وَحَيَاتِهِ وَشِعْرَهُ

الجزء الأول

عَمْرُ بْنُ أَبِي بَيْعَةَ

بقلم

جبرائيل سليمان جبور

أحد أساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الأمريكية

48683

المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٣٥

Gift. Author. Cal. May 1936



ص ٤١٠
ف: الرواية
ص: الرواية

فهرس المحتويات

توطئة

الحياة السياسية

- ١-٣
٤-١٤
٤ ابو سفيان زعيم المعارضة
٥ عثمان بن عفان اول خليفة اموي
٥ استسلامه لحطة اكل بيته
٧ الفتنة زمن عثمان
٧ معاوية يطلب بشار عثمان
٨ خلافة علي وثورة عائشة
٨ اهل الشام واهل الحجاز
٨ بنو امية واهل الشام
٩ في ظل معاوية
١٠ يزيد بن معاوية
١٠ اختلاف كلمة المسلمين
١١ معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم
١١ عبد الملك وعمر بن سعيد
١١ عبد الله بن الزبير خليفة في الحجاز
١١ المختار
١٢ مصعب بن الزبير
١٢ عبد الملك يقمع الثورة
١٣ بعض عمال عبد الملك
١٤ الحجاج بن يوسف
١٤ في ظل عبد الملك
١٤ الوليد بن عبد الملك

الحياة الاقتصادية

- ١٥-٢٨
١٥ الحجاز والمط التجاري
١٥ فقر الحجاز
١٦ الاسلام يخرج الجزيرة من عزلتها
١٦ الفتي يسيل الى الجزيرة
١٦ اهل الحجاز يستقنون
١٧ مقدار الفتي
١٨ نوع الغنيمة ومقدار ما قد يجوزه الفرد
١٩ الحجاز لم تقدم حظها من الفتي الح
١٩ الثروة التي خلفها بعضهم
٢١ اثر الفتي والثروة في عمران الجزيرة
٢٢ المزارع والبساتين
٢٣ الآبار والعيون
٢٤ الدور والقصور
٢٦ ارتفاع ثمن الابنية
٢٦ قيمة المال في الرخاء
٢٧ شباب الحجاز ينعم بالمال

الحياة الاجتماعية

- ٢٨-١٢٨
٢٩ تغير نظم العيش وارتفاع مستواه
٣٠ يشتون ويصيفون
٣١ اثر احتكاك العرب بالامم المغلوبة
٣١ علاقة السيد برفيقه
٣٢ اثر بعض الجوارى الاجنبيات

- ب -

٦٤	✓ عود الى الشراب	٣٢	✓ حباية وسلامة
٦٤	✓ الشبان بين امرين	٣٣	✓ تعلق العرب بحضارة الامم المغلوبة
٦٦	✓ الخلفاء الأول والشراب	٣٤	✓ بعض ما نقلوه من حضارة الامم الاخرى
٦٨	✓ خلفاء بني امية والشراب	٣٦	✓ التألق في اللبس والمطعم والهيئة
٧٠	✓ بعض الاشراف والشراب	٣٦	✓ تفنن النساء في اللبس
٧١	✓ اثرها في ادبهم	٣٧	✓ حظ الرجال من اللبس
	النساء	٣٨	✓ الخلفاء الأول والحياة الجديدة
٧٣	✓ الحرية والامة	٣٩	✓ بنو امية وعماهم يرغبون فيها
٧٤	✓ (السيئات والعيب	٤١	✓ تفننهم في المأكل
٧٤	سلطان بعضهم	٤٣	✓ بعض قصص الرواة عن هذا التطور
٧٥	بعض اخبار حباية		الفناء
٧٥	يزيد وحباية	٤٤	✓ الفناء (قديم
٧٧	✓ اهل الحجاز وحباية	٤٦	✓ مصدر الفناء الجديد
٧٧	الجواري واثامن	٤٨	✓ الفناء الجديد ينقل بعد الفتح
٧٨	✓ الجواري والرغبة في امتلاكهن	٤٨	✓ انتشار الفناء واثره
٧٨	✓ الفسق والفساد	٤٩	✓ اعرابي يحضر عرساً في بلد
٧٩	✓ المواطن التي فشا فيها اللهو الخ	٤٩	✓ احد ولادة المدينة والفناء
٨٠	بعض الفساق	٥٠	✓ الاشراف والفناء
٨٠	✓ الاحوص	٥٢	✓ عامة الناس والفناء
٨٠	✓ المرجي	٥٤	✓ الشعراء والفناء
٨١	✓ الوليد بن عقبة وآخرون	٥٥	✓ الحجاز مهد الفناء
٨٢	✓ المرأة العربية	٥٦	✓ رقي الفناء
٨٣	✓ اللهو البريء	٥٧	✓ جميلة وحفلاتها
٨٤	✓ مكانة المرأة العربية	٥٧	✓ مدرستها
٨٩	✓ السفور والحجاب	٥٧	✓ عزة الميلاء
	المواسم	✓ المستمعون كأن على رؤوسهم الطير	٥٧
٩٢	✓ مواسم الحجاز تسهل لهم سبل اللهو	✓ الخلفاء والفناء	٥٨
٩٢	✓ المدينة والعقيق	✓ المتنافسة بين المتقنين	٦٠
٩٤	✓ عصر المدينة الذهبي		الشراب
٩٥	✓ العقيق	٦٠	✓ حظهم منه
٩٥	✓ العقيق وحفلات اللهو فيه	٦١	✓ الاسلام ينهى عن الخمر
٩٧	✓ ميزة العقيق	٦٢	✓ الفناء من اللهو المباح

١٤٠	بعض البيئات الخاصة	٩٩	الطائف
١٤٢	النساء واثرن في الحركة الدينية	٩٩	الطائف مصيف
١٤٢	التراع بين حياتين	١٠١	الطائف موطن لهو
١٤٣	اثر الحركة الدينية في الادب	١٠٣	مكة ومواسمها
		١٠٥	مواسم الحج
١٩٤-١٤٤	الحياة الادبية	١٠٦	الشبان يتصدون للمرأة في الحج

النثر

١٤٤	الشعر اكثر شيوعاً من النثر
١٤٥	الخطابة
١٤٧	الرسائل

الشعر

١٤٨	انتشار الشعر ورواجه
١٤٩	الخلفاء والشعر
١٥٣	في ظل معاوية وعبد الملك
١٥٣	سائر الخلفاء
١٥٤	الشعر عند الامراء والقواد والولاة
١٥٥	الفقهاء والائمة والشعر
١٥٧	الشعر عند عامة الناس
١٥٨	المربد
١٦٢	الشعر واهل الصناعات
١٦٢	الشعر عند الجند
١٦٣	الشعر عند النساء
١٦٧	سرعة انتشار الشعر وشدة اثره
١٦٩	الخصومة الادبية
١٦٩	الوان التراع
١٧٣	الشعراء يوقدون الفتن
١٧٣	كيف يجب ان تدرس هذه الخصومة
١٧٧	مكانة الشعراء
١٧٨	الخصومة الفنية
١٨٢	الادب الاقليمي
١٨٤	الشام وحياتها الادبية
١٨٦	الحياة الادبية في العراق

١١٠	مواكب الشريقات
١١١	النساء يرغبن في ان يذكرن بالشعر
١١١	الشعراء يرضون النساء
١١٢	الفناء في الحج
١١٤	الصيد
١١٦	السباق
١١٨	الجلامقات وطيران الحمام
١١٨	الترد والشطرنج الخ
١٢٠	ظرف الحجاز
١٢٢	ابن ابي عتيق
١٢٣	الفقهاء والمزاج
١٢٤	ظرف سكيكة
١٢٥	سكيكة واشعب
١٢٥	نوادير اشعب
١٢٦	ظرف المخنثين
١٢٧	دل حجازي

الجامعات الدينية والعلمية ١٢٨-١٤٣

١٢٨	بعض ظواهر الحركة الدينية
١٢٩	القراءة والكتابة
١٣٢	التدوين والتأليف
١٣٣	الحركة العلمية البحتة
١٣٤	الحركة العلمية تطبغ بالدين
١٣٤	الحركة الدينية
١٣٦	عصية المحدثين
١٣٧	الاسناد
١٣٨	مكة والمدينة واثرها
١٤٠	بقية الاقطار

١٩٠	الفناء والشعر	١٨٦	حياة الحجاز الادبية وتمدد الرواها
١٩١	التفاوت في سبل الحياة واثره بالشعر	١٨٩	الحياة في الطائف
١٩٢	احتياط لا بد منه	١٨٩	المدينة
١٩٣	عروبة الشعر الاموي ومثاقه	١٨٩	مكة
١٩٤	قيمه التاريخيه	١٨٩	بادية الحجاز

المقدمة

لست اذكر متى كان اول عهدي بعمر ابن ابي ربيعة ، فقد عرفت بعض اخباره وحفظت بعض اشعاره من زمن بعيد ؛ انما اذكر جيداً ان الفصول القيمة التي نشرها الدكتور طه حسين منذ نحو تسع سنوات في كتابه حديث الاربعاء عن طائفة من شعراء الغزل في العصر الاموي قد قربت عمر الي ، او قربتني الى عمر ، وحببت الي درس حياته وشعره .

وكان ان منحتني الجامعة منذ ست سنوات فرصة سنة مدرسية قضيتها في مصر ، وترددت الى بعض معاهدها العليا ، وتعرفت الى الاستاذين طه حسين واحمد امين ، وشهدت اكثر الدروس التي كانا يلقيانها على طلبة كلية الآداب . ثم عرضت على الدكتور طه فكرتني في درس عمر فشجعني على ذلك ، وشرعت عندئذ في اعداد بعض مواد هذا الكتاب ؛ ثم عدت الى الجامعة اتابع عملي في دائرة الدروس العربية والاحق درس هذا الموضوع .

ومنذ ذلك الحين وانا اعاجله ، وامنحه من اوقات فراغي ما استطعت ، حتى رضيت له ، فدفعته الى المطبعة اجزاء ثلاثة ، هذا اولها بين يدي القارئ ، ولي الامل ان لا يفرغ منه حتى تكون المطبعة قد اخرجت الثاني .

ولقد قصرت هذا الجزء الاول على عصر الشاعر ، وحاولت فيه ان اتبين الشخصيات التي تميز هذا العصر من العصور الاخرى ، فدرست فيه حياة اهل ذلك الجيل من نواح شتى ، سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وعلمية ، ودينية ، وادبية .

ولست انكر الصعوبة التي يلقاها الباحث في درس هذه الحقبة من تاريخ

العرب ؛ فان اكثر المآخذ التي يمكنه الرجوع او الاستناد اليها قد وضعت بعد منتصف القرن الثاني للهجرة ، اي بعد ان اذيل من سطوة بني امية الى قوم كانوا من اشد الخصوم عليهم وابطشهم بهم ، اعني بني العباس ، فقد قهر هؤلاء بني امية في الشرق ، وسلبوا ملكهم ، وتربعوا على عرشهم . ودامت دولتهم طويلاً ، كتبت في غضون حكم رجالها اكثر كتب التاريخ العربي . وكان ان شايها اكثر المؤرخين وهم تحت سلطانها رهبة منهم لها ، او ترلفاً لرجالها ، وقلقاً لهم ، والتأساً لعطاياهم ، فكادوا خصومها الامويين اهل الدولة السابقة ، ودرسوا عليهم من الشوائب والمقتريات ما شاءوا .

وكان من سوء طالع بني امية ايضاً ان وقعت اكثر الثورات الكبرى في تاريخ الاسلام مدة ملكهم ، فقد ناهضهم بنو هاشم ، وقاومهم عبد الله بن الزبير ، وناوأتهم الخوارج ، واثارت بهم المدينة ، وهاجت مكة ، واطلعت الفتنة رؤوسها من العراق . وكان ان قهروا هذه الثورات والفتن بشيء من الشدة والعنف ، فحاربوا علياً ، وقتل عمالهم الحسين ، واستباحوا المدينة ، وفتحوا مكة ، وحملوا على الخوارج فضيقوا الخناق عليهم ، واخضعوا العراق وقتلوا مصعباً ، ومثلوا باخيه عبدالله ؛ فصار من الطبيعي بعد هذا الا ينصفهم المؤرخون المتأخرون من اشياح هؤلاء الرجال ، او هذه الاقطار والاحزاب ، فلا هم سلموا - كما ترى - من اشياح بني العباس ، ولا هم نجوا من جماعة علي ، وآل الزبير ، والخوارج ، وغيرهم من الاحزاب .

واذاً ، فن اللزوم على الباحث - والحالة هذه - ان يتحفظ ويحتاط قبل الحكم على رجال هذه الدولة الاموية وعصرها ، وان يدقق في الاقوال التي تروى عنه للتثبت من صحتها او بطلانها .

غير ان هذا كله لا يمنع ان يكون بعض هؤلاء الزعماء من بني امية وغيرهم من ابناء اشراف الحجاز ، من هاشميين ومخزوميين وزبيريين وسواهم ، من خصوم واصحاب ، سلكوا - فيما يكاد يجمع عليه المؤرخون - طرقاً غير تلك التي سنها لهم الاسلام ، فقد كانت هناك عوامل شتى ، اشترت الى بعضها في هذا الكتاب ، يسرت لامثال هؤلاء سبلاً للهو والعبث .

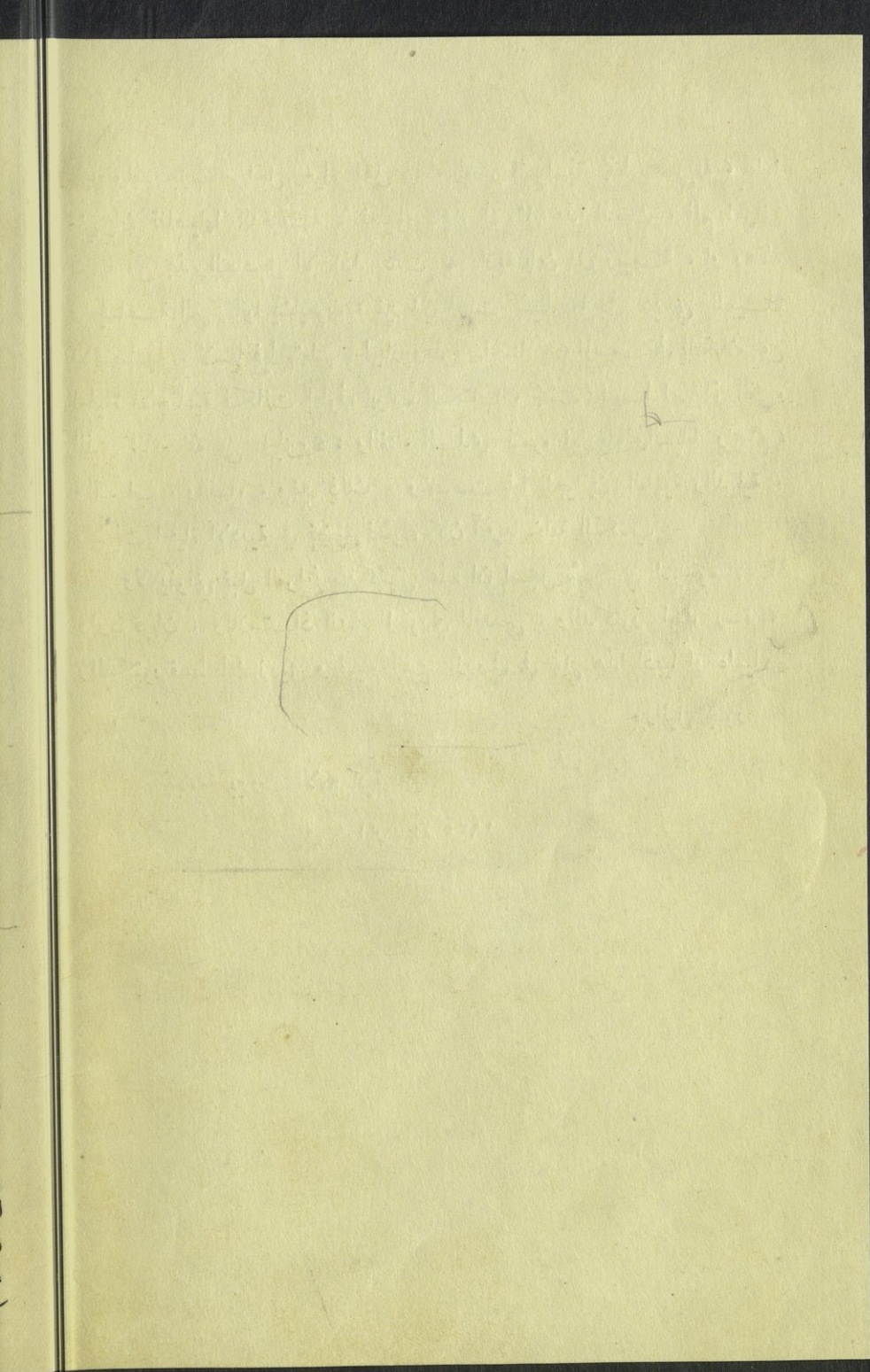
ولقد جرت مراحل حياة اهل ذلك العصر السياسية بخطى سريعة ، علماً
مني بان تفاصيلها الدقيقة لا تمنينا كثيراً في مثل هذا البحث ، فلم اعرض
لشيء من هذه التفاصيل الا اذا كانت له علاقة بابه ابي ربيعة ، او رهطه
والجماعة التي كانوا يشايعون ، غير اني اطلت شيئاً ما في درسي للحياة
الاقتصادية ، لاسيما فيما يتعلق بالحجاز وطن صاحبنا . ووسعت في الكلام عن
الحياة الاجتماعية فكانت اطول ابواب الكتاب ، بحثت فيها امر اثر الفتي
الذي افاءه الله على الجزيرة ، والفناء الذي نشره الارقاء والسبايا وغيرهم ،
والشراب ، والنساء ، وغير ذلك . وخصصت باباً للحياتين العلمية والدينية .
وعالجت الحياة الادبية في بضعة فصول كان آخرها خاتمة الكتاب .

ولا يفوتني قبل الفراغ من كلمتي هذه ان اسجل شكري للمرحوم الاستاذ
داود قربان ، وللستاذ انيس الخوري المقدسي ، والدكتور اسد رستم ،
والدكتور قسطنطين زريق وجميع الذين آزروني في عملي هذا ادبياً او علمياً .

جبرائيل جبور

جامعة بيروت الاميركية

في ٨ ايار سنة ١٩٣٥



توطئة

في الليلة التي طعن فيها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، بمنجر مولى المغيرة ابن شعبة ، فيروز الفارسي النجار ، وضعت بمكة ، فيما ذكر الرواة ، امرأة من حمير ، يقال انها سبية ، اصحابي قرشي كريم من آل مخزوم ، طفلا سمي باسم الخليفة المقتول وكني بكنيته : هو عمر ابو الخطاب ابن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي^(١) .

ونشا هذا القرشي الصغير ، وشب ، فاذا به شاعر قرشي الذي لا ينازع ، رويوا « ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شي . الا في الشعر ، فانها كانت لا تقر لها به ، حتى كان عمر بن ابي ربيعة ، فاقرت لها الشعراء بالشعر ايضا ، ولم تنازعها شيئا . »^(٢)

ولم يكن عمر شاعر قرشي فحسب ، بل كان شاعر الحجاز في عصره في الغزل^(٣) ، حمل لواء الشعر الغزلي ، ونشره ينشد الحب والجمال ، وسار وراءه الشعراء الغزلون يقتفون آثاره ، فكان زعيمهم ، وكان امامهم ، وكانت مدرسة غزلية ، خلفت في الادب العربي اثرا قيما ، وحفظت للاجيال تراثا عظيما .

(١) الاصبهاني ١: ٢٤ وابن خلكان ١: ٥٣٩ و ٢: ١٥٩ والبغدادى ١: ٢٤٠ والعيني ١:

٣١٥ والدميري ١: ٢٣٦

(٢) الاصبهاني ١: ٢٥

(٣) يذهب طه حسين في كتابه «حديث الاربعة» الى ابعد من هذا ، فيزعم ان عمر زعيم الغزلين على الاطلاق ، قال : « فعمرا اذن زعيم الغزلين الامويين جميعا لا نستثني منهم احدا ، ولا نفرق فيهم بين اهل البادية واهل الحاضرة ، بل نحن نذهب الى ابعد من هذا ، فزعم ان عمر بن ابي ربيعة زعيم الغزلين في الادب العربي كله على اختلاف ظروفه وتباين اطواره منذ كان الشعر العربي الى الآن ٢: ١٢٧

ومن غريب الصدف ، ان تبدأ حياة هذا الشاعر حين استلام البيت الاموي زمام أمر المسلمين ، اي حين تولى الخلافة عثمان بن عفان الاموي ، بعد موت عمر بن الخطاب ، ثم يقع اول شبابه عند تغلب معاوية على خصومه الهاشميين ، اي حين انتزع الخلافة من ايديهم ، واسس دولة قوية لبني امية في دمشق ، جعلها ملكاً له ووليته ، ويستمر شباب هذا الشاعر مدة شباب هذه الدولة ، فيعاصر معاوية مدة سلطانه ، ثم يورخ موته ، في اواخر القرن الاول للهجرة ، ازهى عصر فيا نرى ، عرفته الامة العربية منذ عرفت في التاريخ حتى هذه الساعة . كان لها في هذا العصر

شرف يُنطَحُ السماء برؤيته وعز يُقفل الاجبالا

كان لها جند ، في اسبانية ، يتحدّر الى اوربة ، وكتائب تجوب مجاهل الهند ، وصوائف وشوات تهدد بيزنطة معقل الروم .

وجدير بنا الان ، ان نلقي نظرة عجيلى على هذا العصر ، قبل التعرض لشاعرنا ، علنا نستطيع فهم شي . عن الجو الذي عاش فيه ، والحياة التي كان يحياها شباب العرب من معاصريه ، فلقد كان هذا العصر الذي وجد فيه عمر بن ابي ربيعة ، عصر تطوّر سريع ، وانقلاب غريب ، دفعا بالامة العربية من عزلتها في جزيرتها القاحلة الجدياء ، فخرجت منها ، واشتبكت مع امم اخرى لا تزال مرتبطة مع بعضها حتى اليوم .

ولقد بدأ هذا التطور قبل مولد صاحبنا بنحو ربع قرن ، ذلك انه قد ظهر في هذه الجزيرة نبي عربي ، يدعو الى دين جديد ، هو الاسلام ، فالتقت حوله بمكة جماعة تشد ازره ، ثم ما لبثت ان خوصت ، ثم اضطهدت ، فهاجرت الى المدينة ، وهناك في يثرب نصرت ، فاذا بها جيش كثيف ينقض كالصاعقة على مكة ، البلد الذي رفض النبي ، فيخضعها ، واذا بالجماعة دولة ، تبث جندها في اطراف الارض فتخضع الشرق والغرب ، وتغلب الفرس والروم ، في ادنى الارض وفي اقصاها وتبسط ظلها على كثير من ممالك العالم ، فيخيم غرباً على شالي افريقية كلها ، والاندلس ، وبعض فرنسة ، وينتشر شرقاً حتى قلب السند والهند ، ويذهب جنوباً فلا يوقفه الا المحيط الحضم ، ويندفع شمالاً حتى تكاد

تطأ سنايك خيل الفاتحين عاصمة هرقل ! كل ذلك بمدة لا تريد عن قرن ،
ملأوه فتحاً ونصراً وازرعوه ادباً وديناً ، فكان لهذه الدولة الفتية ، جند رابض
عند اسوار بيزنطة ، وفي حدود تور ، وجبابة يجوبون خراج الاراضي المحتلة من
شالي افريقية حتى شرقي فارس ، وكان لها قراء يتلون آيات قرآنها في اقصى
الشرق عند حدود الهند ، وشعراء غزلون يتفتنون ببدايع منظوم شعرها في قلب
الجزيرة ، فيتردد صدى اصواتهم في طليطلة وعلى حدود بيزنطة وسمرقند ، وفي
مصر وفارس والشام .

وكان هذا التطور جد سريع . فقد كان هذا العصر ، على الفتوحات التي
وقعت فيه ، عصر احزاب واضطرابات ، عصر فتن اهلية ، وثورات داخلية ،
كانت تندلع السنة ناراها بين الحقة والآخرى ، ويشتد لهيها ، حتى يكاد يلتهم
جسم الدولة . تندلع من الحجاز ، ومن اليمن ، ومن العراق ، حتى يوشك ان
يجرق لهاها الشام .

ومن الغريب ، ان هذا العصر قد كان على فتوحاته ، وعلى فتنه وثوراته ،
عصر لهو ودعابة ومجون ، لاسيا في الحجاز ، في بلد النبي العربي ، وفي دار
هجرته ، حيث ولد شاعرنا ، وحيث شب ونشأ ، رفعت فيه للهو راية ، حملها
ابناء الامشرف من اولاد الصحابة واحفادهم ، من مهاجرين وانصار وغيرهم ،
وقد شجعهم على ذلك بعض الخلفاء والامراء انفسهم ، فضربوا بتعاليم الدين
الجديد جانباً ، واعرضوا عن شرائعه ، وخرجوا عن جادة وصاياه

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكان لهذه التطورات المختلفة ، اثر كبير في حياة ابناء ذلك الجيل ، لاسيا
الحجازيين ، وبنوع خاص اشراف الحجاز ، نتج عنه تطوّر في الادب . وسنحاول
الآن درس هذه التطورات ، علنا نستطيع ان نلمّ ببعضها ، ونتلمّس آثارها .

مكتبة
الملك
الفاهد

الحياة السياسية

وربما كان رجوع السلطة الى بني امية ، اول ما يجب ان نلتفت اليه ، ولعل القارئ لا يجهل ، ان هذا البيت الاموي ، كان اشد بيوت قريش معارضة للدعوة الجديدة — الاسلام — خاصها ، لانها حاولت ان تنقص من سطوته في مكة ، وزعامته في قريش ، ولانها كادت تسد في وجهه بعض سبل الرزق ، او الربح ، الذي كان يجنيه من العرب ، زوار الكعبة قبل الاسلام ، فلقد ظل هذا البيت في معارضته للاسلام ، ولمحمد وجماعته ، حتى اجلوهم عن مكة ، وحتى استطاع النبي ان يجد من اهل المدينة انصاراً له ، فيؤلف منهم بعد ثلثي سنوات من هجرته ومن الذين هاجروا معه جيشاً قوياً ، انقض به على مكة ، فسقطت تحت قدميه .

ابو سفيان زعيم المعارضة

ولم يرَ ابو سفيان ، رئيس هذا البيت الاموي وزعيم المعارضة ، امامه ، الا واحداً من سبيلين ، اما متابعة الحرب واعلان الخصومة حتى النهاية ، والمرجح فيهما هلاكه وهلاك بيته وحزبه ، او الاستسلام ، وقبول الاسلام ، قبول الامر الذي لا بد منه .

واحب ابو سفيان الحياة ، وآثر البقاء ، فاعتنق هو وحزبه هذا الدين الجديد ، ولعلمهم لم يقتهم ان يترقبوا الفرص لاستعادة شيء من سلطتهم وزعامتهم ، وكان النبي جدّاً حكيم ، فتألف قلوبهم ، ثم مات النبي ، واستُخلف ابوبكر ، فاشتراكوا مع المسلمين في حروب اهل الردة ، وفتوح البلدان ، فكان منهم قواد ، وكان منهم امراء ، حتى كانت خلافة عثمان بن عفان الاموي ، واذا بالفرصة سانحة ، واذا بالخليفة من بيتهم .

عثمان بن عفان اول خليفة اموي

وكان عثمان من الرعييل الاول في قبول الاسلام ، وكان قد سبق قومه بني امية في اعتناق الدين الجديد ، فقد اسلم قبل الهجرة ، وتعرض لسخطهم ، غير انهم ، بعد ان أسلموا ، راوا في خلافته مطية لاغراضهم ، ورأوا في شخصه ليناً وتساهلاً معهم ، فكان منهم ، فيما يذهب اليه اكثر المؤرخين ، عدد كبير من عمال الدولة ولولاها ، ويروى انه قيل لعبد الرحمن بن عوف ، وكان ذا اثر عظيم في انتخابه ورفعته الى كرسي الخلافة : هذا كله فعلك ، فقال : لم اظن هذا به ، لكن لله علي ان لا اكلمه ابداً . ومات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه ، فتحول الى الحائط ، ولم يكلمه^(١) .

ولعل القارى لاحظ اننا جعلنا خلافة عثمان هذا ، اول الحكم الاموي ، وقد جرى اكثر المؤرخين على ان معاوية هو مؤسس سلطة بني امية ، ضاربين صفحاً عن خلافة عثمان ، لانه من الخلفاء الراشدين . ومهما يكن من الامر ، فليس من شك في ان البيت الاموي ، مدة خلافة عثمان ، كان القابض على زمام الاحكام في اكثر اجزاء الدولة ، منهم الخليفة ، ومنهم الطائفة الكبرى من العمال والولاة^(٢) .

استسلام خطة آل بيته

واستسلم عثمان لخطة آل بيته ، روي انه ابثنى البيوت ، وامتلك القرى والمزارع ، وآثر اقرباءه ، فاعطاهم الاموال ، واقطعهم الضياع^(٣) . وذكروا انه اقطع مروان ابن عمه ارض فذك ، وكانت صدقة ، وبقيت بيد آل مروان حتى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فردّها صدقة كما كانت^(٤) . وزعموا انه عزل الولاة ، وأمر صغار اهل على جلة الاكابر من الصحابة ورجال الاسلام ، وتناول

(٢) المسعودي ٤: ٢٥٧

(٤) البلاذري ٢٠ و ٢١

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٧٢ وابو الفداء ١: ١٧٥

(٣) اليعقوبي ٣: ١٩١ وابن عبد ربه ١: ٢٤٧

مال الفيء، وفرقه عليهم، وذكروا انه اعطى مروان المذكور خمس غنائم افريقية - نصف مليون دينار - فسخط الناس، وقال عبد الرحمن الكندي:

ساحلف بالله جهد اليمين ما ترك الله امرأ سدى
ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبثلى بك او تبثلى
فان الامينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فا اخذا درهما غيلة وما جملا درهما في الهوى
دعوت اللعين فادبته خلافا لسنة من قد مضى
واعطيت مروان خمس العباد م ظلماً لهم وحميت الحمى (١)

وتوسع المسلمون في فتوحاتهم مدة خلافة عثمان، ففتحوا قسماً كبيراً من شمالي افريقية، على يد عبد الله بن سعد بن ابي سرح، اخي عثمان للرضاعة^(٢). وفتح معاوية جزءاً كبيراً من ارمينية^(٣). وتوغل شرقاً، قواد متعددون، ففتحوا فارس وخراسان ونواحيهما^(٤). ويذكر البلاذري ان عثمان ارسل الى عامله في العراق، يأمر ان يوجه الى ثغر الهند من يعلم علمه^(٥). وفتح معاوية قبرص^(٦). وغنموا مالا كثيراً من كل هذه البلدان التي فتحوها.

واستمر عثمان في خلافته نحو اثنتي عشرة سنة، استرد الامويون اثناءها شيئاً من سلطتهم قبل الاسلام، وعاشوا هنئاً على تلك الاموال التي افاءها الله على الدولة، حتى انهم امتلكوا المزارع، وكتزوا الذهب، وخزنوا الاموال^(٧). بل كان هناك من اتهمه باكثر من هذا، فقد ورد في خطبة عبيدة بن هلال، امام عبد الله بن الزبير، يوم وفد عليه مع نافع بن الازرق، ان نافعا، قال لعبيدة: صف لهذا (يعني لعبد الله بن الزبير) امرنا الذي نحن عليه، والذي ندعو الناس اليه. فخطب مستعرضاً امرهم، وامر الخلفاء السابقين، حتى بلغ عثمان، فقال: «ثم ان الناس استغلفوا عثمان بن عفان، فحمى الاحماء، فأثر

(١) الطبري I: ٢٨١٨ وابن عبد ربه ٢: ٢٧٢ وابو الفدا ١: ١٧٨

(٢) الطبري I: ٢٨١٠ (٣) البلاذري ١٦٨

(٤) البلاذري ٤٠٣-٤٠٨ (٥) البلاذري ٤٢٢

(٦) الطبري II: ٢٠٥

(٧) الطبري I: ٢٨٢٥ و ٢٨٦٠ وابن عبد ربه ٢: ٢٧٢ والسيوطي ٦٠

القري واستعمل الفتى ، ورفع الدرة ، ووضع السوط ، ومزق الكتاب ، وحقر المسلم ، وضرب منكري الجور ، وآوى طريد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وضرب السابقين بالفضل ، وسيرهم ، وحرّمهم ، ثم اخذ في الله الذي افاده عليهم ، فقسّمه بين فساق قريش ومجان العرب ^(١) .

الفئة زمن عثمان

وازدادت عوامل السخط على حكومة عثمان . وتحرك الهاشميون وغيرهم من مهاجرين وانصار ، كانوا اقدم عهداً بهذا الاسلام من الامويين ، واكثر اثراً فيه ، واحسن مساعدة للنبي منهم ، فكانت الفتنة الاولى . وقتل الخليفة عثمان . وتقلصت سطوة بني امية في الحجاز .

معاوية يطلب نأر عثمان

وكان معاوية في الشام ، فانبرى يصرخ من هناك : يا ثارات عثمان ^(٢) . وكانت فتن وحروب اهلية ، كادت تهدّ دعائم الوحدة التي ثبتها النبي والخليفان ، وكان الجرح العميق الذي مرّت عليه القرون ولم يلتئم . روى ابن عبد ربه ، قال : « كان ثامة الانصاري عاملاً لعثمان ، فلما اتاه قتله ، بكى ، وقال : اليوم انتزعت خلافة النبوة من امة محمد ، وصار الملك بالسيف ، فن غلب على شيء أكله » ^(٣) .

(١) الطبري II : ٥١٦

(٢) قال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضحّوا باسمط عنوان السجود به يقطع الليل تسليحاً وقرآناً
لنسمعن وشيكاً في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان

ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٢

وراجع ايضاً حسان بن ثابت ٢٢ والمسدودي ٤ : ٢٨٥ وابن عبد ربه ١ : ٢٢٦ . وقد ذكر ابن عبد ربه والسيوطي ، ان معاوية كان يحاور ابا (الطفيل) ، وينعى عليه عدم نصرته لعثمان ، فردّ عليه قائلاً : انت وعثمان ، كما قال الشاعر :

لا فئيتك بعد الموت تطلبني وفي حياتي ما زودتني زاداً

ابن عبد ربه ٢ : ١٤٤ والسيوطي ٧٧

خلافة علي وثورة عائشة

وبويح لملي بالخلافة في الحجاز ، فثارت عليه عائشة ، وثار عليه الزبير وطلحة . وكانت واقعة الجمل التي يروي البعض ان صاحبنا عمر نظم شعراً في رثاء قتلاها كما سيجي . واخذ علي الثورة .

اهل الشام واهل الحجاز

ثم نشب النزاع بينه وبين معاوية ، او ان شئت فقل بين اهل الحجاز والعراق ، وبين اهل الشام . ذلك ان كثيراً من العرب اخذوا يشعرون بعصبية جديدة ، هي عصبية الاقليم الذي استقروا فيه ، فالذين حلوا الشام واستوطنوها ، صاروا شاميين ، وشعروا ان وطنهم الشام ، وكذلك شعر الذين تولوا العراق ، وكذلك احسن من بقي في الحجاز ، ولم تر هذه الجماعات بأساً في ان تلتف كل منها حول زعيم من اقليمها ، وتسعى في ان تكون لها وحدة سياسية مستقلة عن غيرها من الوحدات ، وربما ذهبت هذه الجماعات في هذه البقاع المختلفة ، الى ابعد من الاكتفاء بوحداتها ، فسعت لان تتنازع ، الواحدة مع الاخرى ، وكانت الخصومة صريحة ظاهرة ، ولعلنا نعود الى بحثها في غير هذا الموضع .

بنو امية واهل الشام

ويظهر ان الامويين عرفوا كيف يستغلون هذه الظاهرة ، ويستعينون بها . فقد كتب معاوية الى علي في امر اختلافهما ، في بعض كتبه اليه : « وقد ادبى اهل الشام الا قتالك ، حتى تدفع لهم قتلة عثمان ، فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ، وانما كان الحجازيون هم الحكماء على الناس ، والحق فيهم ، فلما فارقه ، كان الحكماء على الناس اهل الشام ^(١) . » وقال له في الكتاب نفسه : « ولعمري ، ما حجتك على اهل الشام ، كحجتك على اهل البصرة ^(٢) . » وتغلبت سياسة معاوية على سياسة علي ، وخرجت على هذا الخوارج ، فرجع الى العراق

يحاربها ، وُقِلَ في الكوفة ، فبويغ للحسن ابنه بعده ؛ واستطاع معاوية ان يحمل الحسن على مصاحته ومبايعته .

وقد استعان بنو امية باهل الشام ، في نزاعهم مع خصومهم من اهل الاقطار الاخرى ، واستطاع معاوية بقوة اهل الشام ، ان يثبت ملكاً لبني امية في دمشق ، وان يخضع الاقطار الثائرة ، ويحمد الفتن التي كانت تنشب فيها ، ويقضي على سلطة الهاشميين وغيرهم من المهاجرين والانصار حتى في قلب الحجاز ، وكان اذا اظهرت الفتنة رأسها ، قطعه بالدهاء والحيلة ، او خنقه بالمال ، وكان يخنق معه شيئاً من الحرية الاجتماعية والسياسية^(١) .

واستقام الامر لمعاوية ، واستتب الامن ، حتى روي ان زياداً ، عامله على العراق ، كان يقول : « لو ضاع جبل بيني وبين خراسان ، عرفت من اخذ به^(٢) » . وهكذا ، في مدة لا تزيد عن نصف قرن ، تم لهذه الامة العربية ما لم يتم لغيرها في اجيال ، قهرت المرتدين ، واستعمرت الامصار ، وأسست نظاماً جديداً لهذه المملكة الكبرى .

في ظل معاوية

واتيح لهذه الامة ، بعد هذا التطور السريع ، ان تستريح نحو عشرين عاماً ، في ظل معاوية ، رجل قريش ، في ما ارى ، بعد محمد ، وكانت هذه العشرون سنة نفسها ، سني شباب صاحبنا الشاعر المخزومي عمر . ذلك الشباب الذي قضاه بين مكة والطائف والمدينة ، يسلك سبل اللهو وراء الغانيات في مواسم الحج ، وفيضان العقيق ، ومنتزهات الطائف ، ثم ينشد ذلك اللهو اشعاراً ، تبعث في الحجاز فيرن صداها في خراسان والشام ، وكان في هذا العهد نفسه ، حبه ، وشعره في المحبوبة التي اشتهر بها وعرفت به - الثريا - التي تعرفها كتب الادب بصاحبة عمر^(٣) او تذكر اسمه مقروناً بذكرها . والتي قضى عليها ان تتزوج من

(١) الطبري II : ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٦ و ١٤٤ وابن عبد ربه ٢ : ٢٠٣

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠

(٣) الاصبهاني ١٠ : ١٠٣ و ١٠٥ : ٨٥ و ١٢٩ : ٣ وابن خلكان ١ : ٥٢٨

غيره ، فيحرم منها فما ترفّ الى بعلها سهيل حتى تطير ابيات عمر فيها في الآفاق
 اجماع المنكح الثرياً سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
 هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقلّ يان (١)

يزيد بن معاوية

ومات معاوية بعد ان مكن لابنه يزيد من الخلافة ، فتولاها هذا بعده .
 ثم لم يكد يعتلي يزيد عرش المملكة ، حتى اظهرت الفتنة رأسها من
 جديد ، فاضطربت البلاد العربية ، لاسيما الحجاز ، وعم الاختلاف .

اختلاف كلمة المسلمين

وقد ظهر هذا الاضطراب باشكال مختلفة ، فقد ثار الحسين ، وهب الى
 العراق ، فقطعت عليه الطرق ، وسدت بوجهه السبل ، ثم قتله رجال بني امية ،
 وحملوا رأسه الى يزيد . وثارت المدينة ، وأجلت الامويين ، فسير اليها قائده
 مسلم بن عقبة ، وكانت كلمته اليه بشأنهم ، فيما يظهر من كلام الرواة ، العنف
 والشدة ، السيف والمنجنيق ، حتى يبايعوا على انهم خولة ليزيد ، بن معاوية ،
 يحكم في دمائهم واموالهم واهليهم ما شاء . وتحركت مكة وقد ثار فيها
 عبد الله بن الزبير ، فحوصرت ، ورمي البيت الحرام بالمنجنيق ، واحتارت الكعبة ،
 وقضى الله ان يموت يزيد قبل تحقيق كل احلامه ، فعادت الفتن في العراق
 والحجاز واليامة ، وقويت الثورة على بني امية ، واشتد الاضطراب ، وتعددت
 الوانه ، حتى اختلف بنو امية فيما بينهم ، واختلفت القبائل العربية الموالية لهم
 فيما بينها ، واندلعت نار الشقاق بين القيسيين واليهنيين ، وانفصمت عرى الوحدة
 العربية في سائر الاقطار :

وتفرقوا شعباً فكل جزيرة فيها امير المؤمنين ومنبر

(١) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٤٢٩ (ع) ٥٨٦ والمبرد ١: ٢٧٣ والاصماني ١: ٩٢ وابن
 خلكان ١: ٥٢٨ والنووي ٤٦١ وابن قتيبة ٢٥٢
 (٢) الطبري II: ٤٠٩ و ٤٢٠ وراجع ايضاً من الجزء نفسه ٤٢٢

روى الطبري انه في سنة ٦٨ هـ . وافت عرفات اربعة الوية ، واحد لابن الحنفية ، وآخر لابن الزبير ، وثالث لنجدة الحروري ، ورابع لبني امية^(١) .

معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم

وبويع لمعاوية بن يزيد ، فلم يمكث في خلافته طويلاً حتى مات . واستطاع مروان بعده ان يقهر القيسيين الذين كان هواهم مع ابن الزبير ، ثم مات .

عبد الملك بن مروان وعمر بن سعيد

فقام بعد مروان ، ابنه عبد الملك ، وقتك بعمر بن سعيد ، مساوئه على الزعامة ، فقتله غدراً^(٢) . وضعفت قوة العرب في الشام ، حتى ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من المسلمين ، فاضطر عبد الملك ان يصالح ملك الروم ، على ان يؤدي اليه كل جمعة الف دينار ، خوفاً منه على المسلمين^(٣) .

عبد الله بن الزبير خليفة في الحجاز

وقوي امر عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق ، بعد ان بويع له بالخلافة فيها ، فكانت مكة مركز خلافته ، وكان من اعوانه نفر من بني مخزوم ، منهم الحارث بن ابي ربيعة اخو شاعرنا عمر ، فقد ولاه ابن الزبير بعض العراق ، والتف اكثر المخزوميين حول ابن الزبير . وبقيت الخوارج تعيش في العراق ، رغم ان الحارث هذا استطاع مرة ان يجلبهم عن اراضي الكوفة كلها^(٤) .

المختار

وظهر المختار ، فقام بشورته المشهورة في العراق ، وقوي نفوذه بالكوفة ، فقلب عليها بينما كان الحارث في البصرة ، واعلن انه يتجرد للانتقام لبعض من اودوا في سليل بيت علي ، وللاخذ بالثأر من قتلة الحسين ، فقتل البعض ، وعذب البعض الآخر ، وبلغه مسير عبيد الله بن زياد اليه ، من قبل بني امية ، فسير

(٢) الطبري II : ٧٩١

(٤) الطبري II : ٧٦١

(١) الطبري II : ٧٨٢

(٣) الطبري II : ٧٩٦

للملاقاته ابن الاشتر ، وكانت معركة خازر في ارض الموصل وقتل ابن زياد وهزمت اصحابه ^(١) .

مصعب بن الزبير

وعين عبد الله بن الزبير اخاه مصعباً على العراق كله ، فاستعان هذا بالحارث وعينه على الكوفة ، وتغلب مصعب على المختار ، وامر بقتل امرأة المختار الانصارية التي ابت ان تقول في زوجها الا خيراً . وهنا نسمع بصاحبنا عمر ، كان لم يكن في كل تلك المعارك الدامية ما يثير بنفسه الشعر ، حتى قتلت هذه المرأة الجميلة فتناول ذلك في شعره وقال :

ان من اعظم الكبائر عندي قتلَ حنساء غادة عطبول
فُتِلْتُ باطلاً على غير ذنب ان لله درهما من قتيل
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المحصنات جرُّ الذبول ^(٢)

ثم تغلب مصعب على ناثر آخر يدعى عبيد الله بن الحر . ودانت العراق له ، وكان شجاعاً ذا بأس وحزم وشدة ، زعموا انه قال لاهل البصرة في خطبته عندما قدم عليهم : يا اهل البصرة ، بلغني انكم تلقبون امراءكم ، وقد سميت نفسي الجزار ^(٣) .

عبد الملك بنفع الثورة

ولم تسترح هذه الامة العربية مرة ثانية ، حتى كان عبد الملك بن مروان قد قضى من سني ملكه تسعاً في تهدئة الفتن واخماد نار الثورات التي اندلعت في اجزاء هذه المملكة المترامية الاطراف ^(٤) ، استطاع في اواخرها ان يتخلص من آل الزبير اشد خصومه ، فقد سار بنفسه الى قتال مصعب امير العراق ، فصمد له مصعب ، بعد ان تفرق عنه اصحابه العراقيون ، وابت ان يفر او ينزل

(١) الطبري II : ٧٠٧-٧١٦

(٢) الطبري II : ٧٤٤ غير اننا آثرنا نقل الايات عن ابن ابي ربيعة (ش) في ٤١٢

(٣) الطبري II : ٧١٧

(٤) الطبري II : ١١٧٢

على ارادة خصومه ، و جالد حتى قتل هو وابنه عيسى بن مصعب . ثم سیر عبد الملك الى عبدالله اخي مصعب ، الحجاج بن يوسف ، فذهب مع جند الى الطائف ، ومنها تحدر الى مكة ، وقد امده عبد الملك بمدد ، فحصر ابن الزبير في مكة نحواً من تسعة اشهر ، اضطرّ في اواخرها ان يتحصّن بالكعبة نفسها ، غير ان اهل الشام تغلبوا عليه ، وفتحوا به ، ثم بعث الحجاج برأسه الى المدينة فنصب بها ، ثم اخذه معه الى عبد الملك^(١) .

وكان البأس ، والاقدام ، والشجاعة ، والبسالة ، وشدة الشكيمة ، التي اظهرها ابناء الزبير ، في معاركهم الاخيرة مع جند بني امية ، مضرب المثل^(٢) . قالوا : أتى عبد الملك برأس مصعب ، فنظر اليه ، فقال : متى تعذو قريش مثلك^(٣) . وقال : هذا سيد شباب قريش^(٤) .

بعض عمال عبد الملك

والتفت عبد الملك الى تهدة الفتن في العراق ، والى ملاحقة الخوارج ، وعين عمالاً على العراق كانوا اشداء على العصاة . ويكفي ان نذكر من هؤلاء العمال خالداً القسري^(٥) ، والحجاج بن يوسف ، وقد ارسل الاول في بعض كتبه ، يقول لقوم من العراقيين ، كانوا ارتدوا عن قتال الخوارج ، بعد موت بشر بن مروان : « ايها المسلمون اعلموا على من اجترأتم ، ومن عصيتم ، انه عبد الملك ابن مروان ، امير المؤمنين الذي ليست فيه غمزة ، ولا لاهل العصية عنده رخصة ، سوطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على انفسكم سبيلاً ، فاني لم آلكم نصيحة - عباد الله ارجعوا الى مكتبكم ، وطاعة خليفتمكم ، ولا ترجعوا عاصين مخالفين ، فياتيكم ما تكرهون ، اقم بالله لا اثقف عاصياً بعد كتابي هذا الا قتلتنه ان شاء الله^(٦) » .

(١) الطبري II : ٨٤٤ - ٨٥٢

(٢) ابن ابي حديد : ٣١٤ : ٣١٩

(٣) الطبري II : ٨١١ وابن عبد ربه ٢ : ٢٢٢

(٤) الطبري II : ٨٥٨

الحجاج بن يوسف

اما الحجاج ، فقد اتى بعد خالد والياً على العراق ، واهل العراق لا يزالون في خوف من محاربة الخوارج ، فقال خطبته المشهورة ، فيما يروون ، تلك التي خيروهم فيها بين الموت ، وبين اللحاق في المهلب بن ابي صفرة ، لحرب الخوارج . وابي عمير بن ضابط المسير ، فحقق الحجاج وعيده فيه ، وقتله وهو شيخ ، فارعب العراقيين خوفاً ، وقال احد شعرائهم

تخبر فاما ان ترور ابن ضابط عميراً واما ان ترور المهلباً ١)

في ظل عبد الملك

واستراح عبد الملك في الاثنتي عشرة سنة الاخيرة من ملكه ، واستراحت الاقطار العربية من الفتن والثورات . وكانت هذه الحقبة ، عصر راحة وهدوء ، بعد اعياء وتعب ، لاسيما للحجازيين ، الذين عادوا الى الدعة والسكون . ولعل هذه السنين التي ارتاحت بها الامة العربية ، كانت اكثر السنين انتاجاً في حياة العرب الادبية .

الوليد بن عبد الملك

وانتفتت الامة العربية من جديد ، الى التوسع في الفتوحات ، زمن الوليد ابن عبد الملك ، خليفة ابيه ، وبينما كان صاحبنا عمر ، في ايامه الاخيرة ، شيخاً ضعيفاً يعيش متوكلتاً على يدي مولى له ، كان جند هذه الدولة قد بلغ الاندلس غرباً ، والسند والهند شرقاً ، وكانت الخلافة العربية في ابان مجدها الذي اسرنا اليه .

الحياة الاقتصادية

الجهاز والخط التجاري

لقد كانت شمالي الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ارضاً مقفرةً جرداء ، الا في بعض مواضع معينة ، وصار ان اتخذتها بعض القوافل التجارية ممراً لتجارتها ، فعمرت على هذا الخط التجاري ، بعض المدن او القرى الكبيرة ، وكان في الحجاز - القطر الذي يجاذي شاطئ البحر الاحمر الشرقي من الشمال - مدينة من اعظم مدن هذا الخط التجاري شأناً ، هي مكة وكان فيه ايضاً ، مدينتان أخريان ، المدينة والطائف ، وكانتا ، بعيدتين عن ممر الخط التجاري ، غير انهما لم تعدما بعض الوسائل التي ساعدت على غوهما ، من زراعة في الواحدة ، وجودة مناخ وغيرها في الاخرى .

فقر الجهاز

وكان اهل هذا القطر محصورين الى حد كبير في حجازهم هذه ، الا بعض عائلات من قریش اتخذت التجارة مهنة لها ، منها عائلة صاحبنا عمر ، «آل مخزوم» ، وكانت لهذه العائلات القرشية رحلات في الشتاء وفي الصيف ، الى سوريا او اليمن او الحبشة وما اليها ، غير ان هذه القافلات التجارية ، لم يكن يوسعها ان تحيي قطراً كبيراً كهذا ، غير ذي زرع ولا ضرع ، فتمنع جذبهم ، او تريل بؤسهم ، وكان من الطبيعي ، ان يكون هذا القطر القاحل المجذب ، فقيراً في المال ، وفقيراً في الموارد التي تستجلب المال ، وفقيراً في الحضارة والعمران اللذين يكادان يكونان نتيجة لازمة للغنى والثروة .

وكان اهلهم فيما يروي بعض الرواة ، على خشونة وشظف من العيش ، حتى زعم ابن خلدون انه «لم تكن امة من الامم ، اسفب عيشاً من مضر ، لما كانوا

بالحجاز ، في ارض غير ذات زرع ولا ضرع . ثم يقول : « قرياً من هذا ، كانت حالة قریش في مطاعمهم ومساكنهم . »^(١)

الاسلام يخرج الجزيرة من عزلتها

وجاء محمد بالاسلام ، ودان عرب الحجاز بهذا الدين الجديد ، وزحفت جيوشهم تصارع امم الارض ، واحتلوا بلاد فارس والروم وشالي افريقية ، وورثوا الاكسرة والقيصرة ، في البلاد التي فتحوها ، فغنموا الغنائم ، وفرضوا الجزية ، وجمعوا الاموال .

الفني ، يسبل الى الجزيرة

وكان في عظيم ، افاده الله على جزيرة جاثعة فاشبعها ، وسالت الاموال والمون الى الحجاز ، من سوريا ومصر ، ومن العراق والبحرين^(٢) . فلقد ذكر البلاذري ان عمر بن الخطاب بعث الى عمرو بن العاص ، بعد فتح مصر ، يعلمه بما فيه اهل المدينة من الجهد ، ويأمره ان يحمل ما يفيض من الطعام في الخراج الى المدينة ، عن طريق البحر ، فكان ذلك يحمل ، ويحمل معه الزيت ويقسم بين الناس بمكيال ، ويذكر البلاذري ان هذا انقطع في الفتنة الاولى ، ثم نحل في ايام معاوية ويؤيد ، ثم انقطع الى زمن عبد الملك بن مروان ، ثم لم يزل يحمل حتى خلافة المنصور^(٣) .

ويقول السيوطي ان عمر بعث يستغيث عمراً ويقول : « سلام عليك ، اما بعد ، فلعمري يا عمرو ، ما تبالي ان شبت انت ومن معك ، ان اهلك انا ومن معي ، فيا غوثاه ! ثم يا غوثاه ! » فاجابه عمرو : « فيا لييك ! ثم يا لييك ! هوذا قد بعثت لك بعير ، اولها عندك ، وآخرها عندي ، والسلام »^(٤) .

اهل الحجاز يستقنوه

ويقول الطبري ، ان عمرو بن العاص استشار عمر بن الخطاب ، في حفر نهر

(١) ابن خلدون ١٧٧ (٢) الطبري I : ٨٠-٨١ و ٢٨١٤ و ٢٨٦٠
(٣) البلاذري ٢١٦ (٤) السيوطي (ح) ٦٨ : ١ وراجع ابن ابي حديد ١٠٥ : ٣

او قناة توصل الى البحر الاحمر ، يسهل بعدها النقل ، ويصير سعر الطعام في المدينة كسعره في مصر ، غير انه يخشى معها انكسار خراج مصر ، فكتب اليه عمر : اعمل فيه وعجل ! اخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها ، فعالجه عمرو وهو بالقلزم ، فكان سعر المدينة ، كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر الا رخاءاً^(١).

ويذكر الطبري وابو الفداء ، انه لما كتب عمر الى امراء الامصار ، يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ، ويستمدهم ، كان اول من قدم عليه ابو عبيدة بن الجراح في اربعة الاف راحلة من الراد ، وقسم عمر ذلك على المسلمين ، حتى رخص الطعام بالمدينة واستغنى اهل الحجاز^(٢).

ووفد ابو هريرة من البحرين على عمر ، فسأله عن الناس ، ثم قال له : « ما جئت به ؟ » قال : « جئت بخمس مئة الف » قال : « هل تدري ما تقول ؟ » قال : « مئة الف ومئة الف » ، وعد خمساً . فقام عمر في صبيحة اليوم الثاني ، يخطب في الناس ويقول : « انه قدم علينا مال كثير ، فان شئتم ان نعدّه لكم عدداً ، وان شئتم ان نكيله لكم كيلاً »^(٣).

مضار الفبي

ذكر البلاذري ان عبد الله بن ابي سرح ، « صالح بطريق افريقية ، بعد فتحها ، على ثلاثة قطار من الذهب^(٤) » . وفي رواية الواقدي التي نقلها البلاذري انها مليونان ونصف من الدنانير^(٥) . وذكر البلاذري ايضاً ان خراج السواد بلغ ، على زمن عمر بن الخطاب ، مئة مليون درهم^(٦) . وروى ابن خرداذبه ان عمر امر بسح السواد ، ثم وضع الجباية عليه ، فكانت مئة وثمانية وعشرين مليون درهم^(٧).

(١) الطبري I: ٢٥٧٧ وراجع السيوطي (ج) ١: ٧٦-٧٧

(٢) الطبري I: ٢٥٧٦-٢٥٧٧ وابو الفداء ١: ١٧٢

(٣) البلاذري ٤٥٣ (٤) البلاذري ٢٢٧

(٥) البلاذري ٢٢٧ (٦) البلاذري ٢٧٠

(٧) ابن خرداذبه ١٤

وكان سعيد بن العاص ، والي الكوفة لعثمان ، يقول : « ما السواد (يعني العراق) الا بستان قریش ، ما شئنا اخذنا وما شئنا تركنا ^(١) . » قيل ، فقال له الا شتر : أتجعل ما افاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك ؟ ^(٢)

نوع القتيبة ومضار ما قبر بمحورته الفرد

ولعل هذا كله ، لم يكن كثيراً ، اذا قيس بالمال الذي روى الرواة انه صار في حوزة الافراد ، من غنائم مدائن كسرى ، وبلاد الفرس ، وغيرها . فقد روى ابن خلدون ، ان بجار الرفه زحرت لديهم ، حتى كان يقسم للفارس الواحد ، في بعض الغزوات ، ثلاثون ألفاً من الذهب او نحوها ^(٣) . ناهيك بالروقي والسبايا والمواشي على انواعها ، التي كانوا يغنمونها ويبيعونها اذا شاءوا . روى الطبري عن فتح قتيبة بيكند ، وعماً اصابه فيها العرب من الغنائم ، فقال :

« اصابوا فيها من انية الذهب والفضة ما لا يحصى ، فولي الغنائم والقسم عبد الله بن وألان العدوي احد بني ملكان ، وكان قتيبة يسميه الامين بن الامين ، واياس بن يهس الباهلي ؛ فاذا بالآنية والاصنام ، فرفعا الى قتيبة ، ورفعا اليه خبث ما اذا بالها ، فوهبه لها ، فاعطيا به اربعين ألفاً ، فاعلماه ، فرجع فيه وامرهما ان يذبياه ، فاذا باله فخرج منه خمسون ومئة الف مثقال ، او خمسون الف مثقال . واصابوا في بيكند شيئاً كثيراً . وصار في ايدي المسلمين من بيكند شيء . لم يصيبوا مثله بخراسان . ورجع قتيبة الى مرو ، وقوي المسلمون ، فاشتروا السلاح والحيل ، وجلبت اليهم الدواب ، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة ، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين ، وقال الكميث :

يوم بيكند لا تحصى عجائبه وما بخاراء مما اخطأ العدد ^(٤)

وروى الطبري ايضاً ، ان رجلاً من البراجم قال بعد حرب خوارزم والسغد : « وسلبنا من جيد السلاح ، وكريم المتاع ، ومناطق الذهب ، ودواب فرهة ، فنفلنا

(١) الاصبهاني ١١ : ٣٠ وانظر (الطبري) I : ٢٩١٦ (٢) المسعودي ٤ : ٢٦٢

(٣) الطبري II : ١١٨٨

(٤) ابن خلدون ١٧٧

ذلك قتيبة كله ^{١)}.

وقال شاعرهم يومئذ :

كل يوم يحوي قتيبة خبياً ويزيد الاموال مالا جديدا ^{٢)}

الحجاز لم تعدم عظمها من الفبي زمن بني امية

ولم تعدم الحجاز حظها من الفبي. زمن بني امية فقد روي عن الوليد بن عبد الملك ، انه حج في خلافته ، وقسم بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس ، وأتية من ذهب وفضة ، واموالاً ^{٣)}.

وروي ايضاً انه في خلافة ابن الزبير انخلبت عليه الاموال فهدم الكعبة وجدد بناءها ^{٤)} و« ان مصعب بن الزبير شخص الى مكة في حدود سنة ٥٧٠ هـ . فقدمها باموال عظيمة ، فقسمها في قومه وغيرهم ، وقدم بدواب كثيرة وظهر واتقال ، فارسل الى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبة وعبد الله بن مطيع مالا كثيراً ، ونحر بدننا كثيرة ^{٥)}.

الزروة التي خلفها بعضهم

وهكذا فان هذا الفبي. ما زال ينصب عليهم ، منذ اول الاسلام ، وما زالوا يجردون في جمعه ، حتى روى المسعودي ، ونقله عنه ايضاً ابن خلدون في مقدمته ، ان الخليفة عثمان ، كان له يوم قتل ، عند خازنه ، خمسون ومئة الف دينار ، والف الف درهم ، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرها ، مائة الف دينار ، وخلف خيلاً وابلاً كثيرة . وانه قد بلغ ثمن ملك الزبير ، بعد وفاته ، خمسين الف دينار ، وخلف الزبير الف فرس والف امرة . وان غلة طلحة من العراق ، كانت في كل يوم الف دينار . وقيل اكثر من ذلك . وبناحية الشراة اكثر مما ذكر ، وانه كان على مربط عبد الرحمن بن عوف الزهري ، مائة فرس ، وله الف بعير ، وعشرة الاف شاة من الغنم . وبلغ بعد وفاته الربع من ماله ، اربعة وثمانين الف دينار . وان زيد بن ثابت حين مات ،

(١) الطبري II : ١٢٤٢ (٢) الطبري II : ١٢٥٢ (٣) الطبري II : ١٢٣٣

(٤) الدينوري ٢٩٦ (٥) الطبري II : ٧٩٦-٧٩٧

خلف من الذهب والفضة ما كان يكسّر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مئة الف دينار^(١). وان يعلى بن منبه خلف يوم مات خمسمائة الف دينار وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة، ما قيمته ثلثمائة الف دينار. ويقول المسعودي: «وهذا باب يتسع ذكره، ويكثر وصفه، فيما تملك من الاموال في ايامه ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب، بل كانت جادة واضحة، وطريقة بيّنة. وحج عمر، فانفق في ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر ديناراً»^(٢).

وذكر ابن عبد ربه انه لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل، وجدوا في تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة. والبهار مزود من جلد عجل^(٣). وذكر ايضاً ان عروة بن الزبير تولى تركة ابيه بعد ان قتل يوم الجمل، قال عروة: «ونظرت في دينه فاذا هو الف الف ومائة الف، قال: فبعت ضيعة له بالغابة بالف الف وستائة الف، ثم ناديت من كان له قبل الزبير شي. فليأتنا نقضه، فلما قضيت دينه، اتاني اخوتي، فقالوا: اقسم بيننا ميراثنا، قلت: والله لا اقسم حتى انادي اربع سنين بالموسم: من كان له على الزبير شي، فليأتنا نقضه. فلما مضت الاربعة سنين، اخذت الثلث لولدي، ثم قسمت الباقي فصار لكل امرأة من نسائه، وكان له اربع نسوة، في ربع الثمن، الف الف، ومئة الف، فجميع ما ترك مائة الف الف، وسبعماية الف الف»^(٤).

ولرب معترض يقول ان الواقدي والبلاذري والمسعودي وابن خلدون وابن عبد ربه هم، او من نقل اليهم هذه الروايات، قوم قد ضخموا هذه الارقام، ثم بالغوا في اقوالهم فيها. ولكن لو سألنا بذلك، انستطيع تجاهل ما يستخلص من هذه الاخبار؟ الا تدل على ان فيناً كثيراً قد افاءه الله على العرب، وبالاخص في الحجاز، فكثرت اموالهم، وكثر ميلهم لجمع الاموال وخزنها، والتعنم بها؟ روى البلاذري، ان الحجاج بن يوسف وجه محمد بن

(١) المسعودي ٢٥٠: ٢٥٣ وراجع ابن خلدون ١٧٨ وابن قتيبة (م) ٩٤-١٢٦

(٢) المسعودي ٢٥٠: ٢ ولاحظ فيها الاختلاف في بعض الارقام والنصوص

(٣) ابن عبد ربه ٢٧١: ٢ (٤) ابن عبد ربه ٢٨٠: ٢ ويظهر ان الالف الاخيرة زائدة

قاسم الثقفي لفتح الهند والسند ، وانفق عليه الاموال الطائلة ، وذكر انها بلغت ستين مليون درهم ؛ وسار ابن القاسم ، ووفق في غزوته ، ففتح ما احجم العرب عن فتحه ايام عثمان ، وعاد الى الحجاج بقيه كثير ، روي انه بلغ مئة وعشرين مليون درهم ، فقال الحجاج : شفينا غيظنا ، وادركنا ثأرنا ، وازدونا ستين مليون درهم ^(١) . ويروي الطبري ان قتيبة صالح اهل سمرقند على مليونين ومئتي الف في كل عام ^(٢) ، وانه احرق اصنامهم ، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين الف مثقال ^(٣) . ويذكر الطبري ايضاً خبر بعض الغارات التي شتها المسلمون على الروم ايام عثمان ، فيقول : « فاصاب الناس ما شاءوا من سبي ، وملئوا ايديهم من المغنم ، واقتتحوا بها حصوناً كثيرة » ^(٤) .

أثر ذلك الفتي ، وتلك الثروة في عمرانه الحضري

ومهما يكن من الامر كله ، فالذي يهمننا ، هو ان شيئاً كثيراً قد افاءه الله على العرب بعد الاسلام ، فتفرقت فيهم ، وبالاخص في اهل الحجاز ، لاسيما القرشيين ، فاحيي ذلك القطر ، وجعل منه بلداً عامراً ، اجري فيه انهاراً ، وحفر آباراً ، وصير لاشرافه جنائن وبساتين ، لم يعرفوها من قبل ، وليس من شك ان الطائف قد اتسعت رقعة بساتينها القديمة ، وكثرت اشجارها وازدادت اثمارها ، وفي الاغاني ذكر الى انه كانت تبعث منها الفاكهة كل يوم الى اسواق مكة ^(٥) . وصرنا نسمع فيما يروي لنا ابو الفرج الاصبهاني في اجزاء اغانيه المختلفة ، وغيره ، ان اشترى فلان بستاناً بناحية كذا ، او كان فلان عند بستان كذا يغني ، او باع فلان بستانه بثمان بسمك كذا ، او استحضر فلان عملة يعملون له ببستانه في المدينة عام كذا ، او وجد فلان ببستان كذا ^(٦) . بل قد روى ابن عبد ربه ان الخليفة سليمان بن عبد الملك ، الخليفة الذي الف في دمشق وغيرها من مدن سوريا الجنائن والبساتين ^(٧) ، قدم الطائف ، فدخل هو ونفر معه ، بستاناً لعمرو

(٢) الطبري II : ١٣٤٥

(١) البلاذري ٤٤٠

(٥) الاصبهاني I : ٨٥

(٦) الطبري I : ٢٨٠٨

(٣) الطبري II : ١٣٤٦

(٦) الاصبهاني I : ١٠٧ و ١٢٦ و ١٧٠ و ابن قتيبة (م) ٦٧ و ١٠١

(٧) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٢

ابن العاص ، فجال فيه ساعة ، ثم قال : « ناهيكم بالكم هذا مالا ، ثم القى صدره على غصن وطلب الطعام ^(١) . وروى ايضا ان سليمان هذا ، نظر الى بيادر الزبيب ، فقال : ما تلك الحار ^(٢) السود ؟ قيل له : « ليست بجوار ^(٣) يا امير المؤمنين ، ولكنها بيادر الزبيب . » ^(٤)

المزارع والبساتين

واخذ بعضهم يلتفت الى اهمية الزراعة وامتلاك المزارع . روى ابن قتيبة ان سعيد بن عثمان لما عاد من خراسان معزولا ، اقبل معه برهن كانوا في يديه من اولاد الصغد الى المدينة والقاهم في ارض يعملون له بالمساحي ^(٥) . وذكر الطبري انه لما كانت العرب تفتح بلاد رتييل شرقي تركيا ، احب عبد الله بن ابي بكرة مصالحة القوم على شيء يؤدونه ، فنعى عليه شريح بن هاني هذه المصالحة ، وعيره مجبه للمال وجمعه وقال : انما حسبك ان يقال بستان ابن ابي بكرة وحمام ابن ابي بكرة . ومضى يقاتل حتى قتل ^(٦) . « وسأل معاوية صعصعة ابن صوحان عن احسن المال فقال : ان افضل المال لبرة سمراء في تربة غبراء ، او نعجة صفراء في نبعة خضراء ، او عين خراة في ارض خوارة . قال معاوية : لله انت فابن الذهب والفضة ؟ قال : حيران يصطكان ، ان اقبلت عليهما نفدا وان تركتهما لم يزيدا . » ^(٧) ويظهر ان معاوية قد اعتنى في انشاء المزارع والبساتين في بلدته القديمة مكة . فقد روى الازرقى عنه انه حفر اقنية وآبارا ، واقام سدودا لحفظ المياه ، وأنشأ مزارع وبساتين ^(٨) . وذكر المسعودي ، ان عثمان اقتنى اموالا وجناتا وعيوناً بالمدينة ^(٩) . وكانت الطائف كما ذكرنا تصدر من فواكهها الى مكة كل يوم فيما يروون ^(١٠) .

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٥

(٢) في الاصل جرار ولعلها محرفة عن حرار جمع حرة راجع ياقوت ٣: ٤٩٧

(٣) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٠

(٤) ابن قتيبة (م) ١٠١

(٥) الطبري II: ١٠٣٧

(٦) ابن عبد ربه ١: ٢١٣

(٧) المسعودي ٤: ٢٥٢

(٨) الازرقى ١: ٤٤٣-٤٤٤

(٩) الاصمعي ١: ٨٥

ولعل بعض اهل الحجاز كانوا اذا طلبوا فاكهة ، ولم يجدوها في قطرم ، استحضروها من الشام . والرواة يحدثوننا ، ان طويساً المغني اتى ضيوفه ذات يوم بفاكهة من الشام ^(١) .

الآبار والعيون

اما الآبار التي حفرت ، فحدث عنها ولا حرج ، حتى روى ابن قتيبة ان عبد الله بن عامر اتخذ النجاج ، وهي قرية على طريق مكة والبصرة ^(٢) ، وغرس فيها ، فهي تدعى نجاج ابن عامر ، واتخذ القريتين وهي قرية من النجاج ^(٣) ، وغرس بها نخلاً ، وانبط عيوننا تعرف بعيون ابن عامر ، وحفر الحفير ، ثم حفر السمينه ، واتخذ بقرب قباء قصراً ، وجعل فيه زنجاً ليعملوا فيه ، فأتوا ، فتركه واتخذ بعرفات حياضاً ونخلاً ، واحتفر بالبصرة نهريْن ، وحفر نهر الابله ، وكان يقول : لو تركت لخرجت المرأة في حداجتها ، على دابتها ، ترد كل يوم على ماء وسوق ، حتى توفي بمكة . ومات بمكة ودفن بعرفات سنة ٥٩ هـ . ^(٤) وقد اثنى عليه قوم فيما يروى ، امام ابن عمر ، بما اتخذ من الحياض بعرفات ، وبآثاره في الارض ، فقال ابن عمر : اذا طابت المكسبة ، زكت النفقة ، وسترد فتعلم ^(٥) . وروى الازرقى اخباراً كثيرة عن الآبار التي حفرها رجال الاسلام الاول ^(٦) ، وعن العيون التي اجريت في الحرم ، وعن البساتين التي نشأت اثر ذاك ^(٧) ، مما يطول شرحه ، ولا يتسع المقام لذكره ، ويكفي ان نشير الى ان معاوية وحده ، فيما يذكر الازرقى ، اجرى عشرة عيون ، لها مشاريع و« حيطان » اي بساتين ^(٨) . وروى ياقوت ان سعيد بن العاص ابنتى بعوضة العقيق ، قصراً واحتفر بيراً ، وغرس النخل والبساتين ، وكان نخل بستانه ابكر نخل بالمدينة ^(٩) .

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٢

(٢) ابن قتيبة (م) ١٦٤ وراجع ياقوت ٤ : ٧٣٦

(٣) ابن قتيبة (م) ١٦٤ وراجع ياقوت ٤ : ٧٧

(٤) ابن قتيبة (م) ١٦٤

(٥) الازرقى ١ : ٤٤٢-٤٤٤

(٦) الازرقى ١ : ٤٤٣-٤٤٤

(٧) ياقوت ٣ : ٦٤١

الدور والفصور

كذلك لقد بنى هذا الفيلسوف هؤلأ الاشراف من العرب الفاتحين دوراً واشاد قصوراً كـبعض التي شاموها في البلاد التي فتحوها . ولم يقنع بعضهم بدار واحدة ، او قصر واحد ، والتفت البعض الآخر الى تزيين البناء ، وترقيطه بججارة مختلفة الالوان ، او تجسيصه من الظاهر والباطن . ذكر ابن عبد ربه انه كان لعبدالله بن عامر دور وضياع بالطائف ، داعبه في شأنها ذات يوم معاوية بن ابي سفيان ، وسأله ان يهبه اياها^(١) . وذكر المسعودي^(٢) ان عثمان ابنتى داره بالمدينة ، وشيدها بالحجر والكلس ، وجعل ابوابها من الساج والعرع^(٣) . وابنتى سعد بن ابي وقاص داره بالعقيق ، ورفع سمكها ، ووسع فضاءها ، وجعل على اعلاها شرفات^(٤) . وابنتى المقداد داره بالمدينة ، في الموضع المعروف بالجرف ، على اميال من المدينة ، وجعل على اعلاها شرفات ، وصيرها محصنة الظاهر والباطن^(٥) . وشيد طلحة داره بالمدينة وبنائها بالحص والاجر والساج . وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهري فانه ابنتى داراً له ووسعها^(٦) . وروى الطبري ان ابا ذر لما رأى البناء في المدينة ازداد حتى بلغ سلعاً ، ورأى المجالس في اصل سلع ، قال : بشر اهل المدينة بغارة شعواء ، واستأذن عثمان في الخروج قائلاً : لقد امرني رسول الله ان اخرج منها متى بلغ البناء سلعاً^(٧) .

وبنى معاوية في مكة دوراً له يقال لها الرقط ، اولها من جهة الدار البيضاء ، وآخرها دار الحمام ، وجعل لها بنائين فرساً من العراق ، فكانوا يبيتونها بالحص والاجر^(٨) . وقامت الابنية في الكثير من الساحات العمومية في مكة . روى الازرقى ان ابن عباس قال لابن صفوان : هيهات هيهات تركت والله ستة عمر

(٢) المسعودي ٤: ٢٥٢

(١) ابن عبد ربه ٢: ١٥٢

(٣) الساج والعرع نوعان من الخشب ، فالساج فيما يقال لا ينبت الا ببلاد الهند ، والعرع

شجر فارسي كالسرو

(٥) المسعودي ٤: ٢٥٥

(٤) المسعودي ٤: ٢٥٤

(٧) الطبري I: ٢٨٦

(٦) المسعودي ٤: ٢٥٤

(٨) الازرقى ١: ٤٤٩-٤٥٢ والاصبهاني ٣: ٨٦

شأواً ومغرباً ، قضى عمر ان اسفل الوادي واعلاه مناخ للحاج ، وان اجياد وقميعان للمريجين والذاهب ، واتخذتها وصاحبك دوراً وقصوراً^(١) .

ناهيك بالقصور التي شادوها ، او امتلكوها في الطائف ، مصيف الاشراف في ذلك العصر^(٢) . وفي العقيق متزه اهل المدينة ، ووادي لهما . روي انه كان لسعيد بن العاص قصر بالعرصة تغني به الشعراء ، وفضله اقدمهم على ابواب جيرون بدمشق :

القصر فالنخل فالجاء بينهما اشبه الى القلب من ابواب جيرون
الى البلاط فما حازت قرائنه دور ترحن عن الفجشاء والهن (٣)

وقد صار هذا القصر ، بعد وفاة سعيد ، لمعاوية بن ابي سفيان ، ابتاعه من عمرو بن سعيد باحتمال دينه عنه^(٤) . وكان لسكينة بنت الحسين في العقيق قصر يقال له البريدي^(٥) . وكان لعروة بن الزبير فيه ايضاً قصر مشهور قال فيه لما فرغ من بنائه :

بنيناه فاحسنا بناه بحمد الله في وسط العقيق
ترام ينظرون اليه شزراً يلوح لهم على وضوح الطريق
فساء الكاشحين وكان غيظاً لاعداي وسر به صديقي (٦)

واتسع البناء في العقيق ، حتى كاد يفسد جمال عرصته المشهورة ، فنع بنو امية البناء فيها ، ضناً بها ، ومحافظة على جمالها ، غير ان بعضهم تمكن من الحصول على اذن خاص من الوليد بن عبد الملك ، ببناء قصر ، فاقطعه موضعه ، فبناه^(٧) .

وهناك قصور اخرى للكثيرين تجد ذكر بعضها في طبقات ابن سعد^(٨) . وهكذا فقد بني هذا الفي . لهؤلاء العرب ، دوراً وقصوراً ، وكان الامر كما قال الامام عمر بن الخطاب وقد مر على بنيان يبنى بأجر وجص . فقال : لمن

(٢) الاصبهاني ٦: ٢٠٠

(١) الازرق ١: ٢٩٢

(٣) الاصبهاني ١: ٧٠ وراجع الطبري III: ٢٢٢٠ (٤) الاصبهاني ١: ٧٠

(٦) ياقوت ٦: ١١٧

(٥) الاصبهاني ١٦: ١٧٢

(٨) ابن سعد ٣: ١٠٤ و ١٧٤ و ٢٠٤ و ٢٧٩ و ٢٨٠

(٧) ياقوت ٣: ٦٤١

هذا؟ قيل : لعاملك على البحرين . فقال : ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها^(١) نعم ! لقد ابت الدراهم والاموال التي تحدّرت الى هؤلاء العرب ، سواء اكانت عن طريق الفي . او الوظائف في امور الدولة ، الا ان تخرج اعناقها في هذه الابنية المختلفة ، والبساتين والآبار التي استحدثوها في الحجاز .

وكان الجيل الذي عقب الصحابة اكثر حظاً في الحضارة من سابقه فلم يقنع بما قنعوا به .

ارتفاع ثمن الابنية

وارتفع ثمن البناء ، ولا يحدث مثل هذا الا في الرخاء ، حين يتنافس الناس في امتلاك الابنية الفخمة ، فينفقون عن سعة . فقد روى ان معاوية اشترى داراً بالمدينة بستين ألف دينار ، كان صاحبها قد اشتراها فيما يذكرون بزق خمر . ويروون مع ذلك انه قيل لصاحبها : قد غبنك معاوية^(٢) . واشترى معاوية نفسه ايضاً فيما يروون ، داراً من حويطب بن عبد العزى بأربعين ألف دينار^(٣) . وباع آل عقبة بن الأزرق قسماً من دارهم قرب المسجد الحرام ، بثمانية عشر ألف دينار لابن الزبير^(٤) ، فحال دون قبضهم ثمنها قتل مصعب ، وقد حوّلوا عليه بالثمن ، ثم قتل عبد الله بن الزبير ، وابى الحجاج ان يدفع الثمن عن ابن الزبير^(٥) .

قيمة المال في الرخاء

وقلت قيمة المال عند هؤلاء الاشراف ، حتى صارت اعطيات الامراء بالملثات والالوف من الدنانير فيما يروون^(٦) . وحتى صار مهر النساء الكريمات اضعاف اضعاف ما كان قبلاً ، حتى روى الرواة ان عمر بن عبيد الله امهر عائشة بنت طلحة مليون درهم^(٧) . وان مصعب بن الزبير تزوج عائشة بنت طلحة هذه ، بعد وفاة زوجها الاول ، فامهرها خمسمائة ألف درهم واهدى لها مثل ذلك ،

(٣) ابن قتيبة (م) ١٥٩

(٢) ابن قتيبة (م) ١٥٩

(١) ابن عبد ربه ١٨ : ١

(٥) الأزرق ١ : ٤٥٩

(٤) الأزرق ١ : ٤٥٩

(٦) الاصبهاني ٢ : ١٣٨ و ١١ : ٧١ وابن عبد ربه ٣ : ٢٢٧

(٧) الاصبهاني ١٠ : ٥٨

وسمع اخوه عبد الله بذلك فكتب اليه يؤنبه^(١) ، وكذلك تزوج من سكينه بنت الحسين ، فامهرها الف الف درهم ، حتى تقم عليه احد الشعراء ذلك فقال وبعث به الى عبد الله بن الزبير :

ابلق امير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
مهر الفتاة بالف الف كامل وتبيت سادات الجنود جباعا
لولا في حفص اقول مقالتي وابث ما ابنتكم لارتاعا

فلما اخذ الكتاب ابن الزبير ، قال : صدق والله ، لو تقول هذه المقالة لابي حفص ، لارتاع من تزويج امرأة على الف الف ، ثم عزله عن البصرة^(٢) .
وروي ان الخجاج امهر بنت عبد الله بن جعفر تسعين الف دينار^(٣) . وفي بعض الروايات مليونين ونصف درهم^(٤) .

ومن هنا نستطيع فهم بعض هذه الروايات التي تذكر عن صاحبنا عمر ، وغناه ، وانه اعطى ، مثلاً ، مئة دينار ، الذي بشره بزيارة بنت محمد بن الاشعث الكندي له^(٥) . وانه ارسل الى ام الفتاة خمماية دينار هدية^(٦) . وانه اخذ من اخيه الف دينار وسار الى اليمن على ان لا يقول شعراً ، فطرب هناك وقال الشعر^(٧) . وانه قبل هدية من احدى الاميرات بلغت الف دينار ، اشترى فيها طيباً وهدايا ، ثم بعث بها اليها ناشداً اياها ان تقبلها ، والا فهو يشهرها بين العرب^(٨) . وانه كان ابن غنى وثرورة انفق كثيراً منها في سبيل اللهو على المغنين والنساء كما سنرى .

شباب الحجاز ينعهم بالمال

ولم يكن بنو امية ، وهم اصحاب الملك وبيت المال ، يضنون على اشراف اهل الحجاز ، وشبابه ، بالمال والاعطيات^(٩) بل لعلمهم كانوا يسعون في ان

- | | |
|---|---|
| (١) الاصبهاني ١٠: ٥٦ | (٣) الاصبهاني ١٦: ١٧١-١٦٨ وابن قتيبة (ش) |
| (٢) ١٧٢ و(م) ١٢٠ | (٤) ابن عبدربه ٣: ٢٩٢ (٤) ابن عبدربه ١: ١٤٦ |
| (٥) الاصبهاني ١: ٤١ | (٦) الاصبهاني ١: ٤١ |
| (٧) الاصبهاني ١: ٤٩ | (٨) الاصبهاني ١: ٦٩ |
| (٩) ابن عبدربه ١: ١٤٤ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٥ و ٢٠٥ و ٣: ٢٢٧ و ٢٢٩ والاصبهاني | |
- ٤٢٢ و ١٠٥: ١٣ و ١٠٥: ١٣ و ٤٠٢: ٤٢٢

يُحجزوا هذا الشباب من ابناء الصحابة والتابعين ، في الحجاز ، بحيث لا يتعدونها الى موضع آخر ، يحدثون فتنة فيه ، وكانوا يجرمون اكثرهم من ادارة الاعمال في الدولة ، وينفقون عليهم العطايا بالوقت نفسه ، ليشغلهم عن السياسة ، وسرعان ما كان هؤلاء ينفقون هذه الاموال والاعطيات في سبيل الله والطرب ، او العبت والمجون ، او الضيافات والكرم ، حتى روى الرواة ان عبد الله بن جعفر ، احد اصدقاء صاحبنا عمر ، كان يعطي المئة الالف ، فما تبت عنده وزعوا ان يزيد بن معاوية اعطاه اربعة الاف الف ، فلم على ذلك ، فقال : ويحكم ! انما اعطيتها اهل المدينة اجمعين ، فما يده فيها الا عارية^(١) . وكان عبد الله هذا يفد الى الشام ويحظى باعطيات بني امية ، فيعود الى الحجاز ، لينفق ما ناله منهم على اهل المدينة ، لجوده ولوهو ، ناهيك بما كان ياتيه ايضاً من الحجاج بن يوسف واليههم في العراق^(٢) . نعم لقد كانت هذه الخيرات وهذه العطايا مدعاة للهو ، حتى زعم الرواة ان عبد الله بن جعفر هذا التقى بعبد الله بن صفوان فقال له هذا : لقد صرت يا ابا جعفر حجة لقتياننا علينا ، اذا نهيناهم عن الملاحية ، قالوا ، هذا ابن جعفر ، سيد بني هاشم ، يحضرها ويتخذها^(٣) . وقل مثل هذا عن ابن ابي عتيق ، والحارث بن خالد المخزومي ، وابن ابي ربيعة ، وغيرهم من اشراف ذلك العصر ، فلقد كان اذن ، لهذا التوسع السياسي ، وما استتبعه من الرخاء الاقتصادي ، والسعة والعمران ، اثر كبير في حياة اهل ذلك الجيل الاجتماعية ، فن الخير الآن ان نفتح باباً جديداً لدروسه .

(١) ابن عبد ربه ١: ١٤٥

(٢) ابن عبد ربه ١: ١٤٦ و ١٤٨

(٣) ابن عبد ربه ٢: ١٥٢

الحياة الاجتماعية

ليس غريباً ان تتطور حياة العرب الاجتماعية في ذلك العصر ، بل الغريب ان لا تتطور ، بعد هذا الانقلاب السياسي العظيم ، وما استتبعه من انقلاب اقتصادي كبير ، حاولنا فيما سبق درس بعض ظواهره . نعم لم يكن طبيعياً ، ألا يحيا عرب الحجاز ، بعد فتحهم بلاد فارس والروم ، واحتلالهم مصر وشالي افريقيا ، وبعد احتكاكهم بهذه الامم التي غلبوها ، وتمتعهم بهذا الفيء الذي افاده الله عليهم ، من مال مصر والعراق وسورية ، وسبايا هذه الاقطار وريقها ، اقول لم يكن طبيعياً بعد هذا كله ، الا يحيا عرب الحجاز حياة جديدة ، تختلف عن حياتهم الاولى التي الفوها .

تغير نظم العيش وارتفاع مستوى

والواقع انه قد كان هناك تطور اجتماعي عظيم في حياتهم ، وفي خلقهم ، وفي سبل عيشهم ، فلقد تغيرت كثير من هذه النظم التي كان الحجازيون قد الفوها ، في مطاعمهم ، ومشاربهم ، وملابسهم ، ومساكنهم ، قبل الاسلام ، فانتقلوا من خشونة العيش وشظفه ، للذين وصفهما ابن خلدون فيما اخذنا عنه سابقاً ، الى رغدته وهنائه وسعته .

وبعد ما بين وارد رفة علل شربه ووارد خمس

ذكر الطبري انه لما فتح قتيبة سمرقند ، او بعض كور خراسان ، استخرجوا منها قدوراً عظاماً من نحاس ، فقال قتيبة لواحد من رجاله ، اسمع الحصين ، مداعباً اياه : « ياأبا ساسان ، اترى رقاش كان لها مثل هذه القدور ؟ قال : لا ولكن ، كانت لصيلان قدر مثل هذه القدور . فضحك قتيبة وقال ادركت بشارك^(١) . »

وارتفع مستوى المعيشة ، بوجه عام ، الى حد كبير ، فلم يمتنع اهل هذا الجيل الاسلامي الاول ، بما كان يقنع به آباؤه من قبل ، من مطعم وملبس ومسكن ، ولقد رأيت كيف اظهرت الاموال اعناقها في هذه المساكن التي اخذوا يشيدون في مكة والمدينة والطائف ، وفي هذه البساتين التي اخذوا ينشئون ، وفي هذه الآبار التي شرعوا يحفرون .

بُسُوهُ وَبُصْفُوهُ

بل قد ذهبوا الى ابعد من هذا ، فجعلوا يشتون في موضع ، ويصيفون في موضع آخر ، فيقضي بعضهم شتاءه وربيعه في مكة ، او في العقيق ، في ذلك الوادي البهيج ، جنة المدينة ، ومنتزه لهوها ، في قصر اتخذ فيه ، يستمع الى غناء المغنين ، وينظر الى هو اللاهين ، حتى اذا جاء فصل الصيف ، انتقل الى الطائف يصيف فيه . ذكر ابو الفرج انه لما تليت عائشة بنت طلحة ، كانت تقيم بمكة سنة ، وبالمدينة سنة ، وتخرج الى مال لها عظيم بالطائف ، وقصر كان لها هناك ، فقتله فيه ، وتجلس بالعشيات ، فيتناضل بين يديها الرماة^(١) . وكان الشعراء يمرُّون بها وينشدونها من اشعارهم فتصلهم باعطياتها^(٢) .

ويذكر النيمري في شعر له ، قاله في صاحبه ، ما يشير الى ترف نساء هذه الطبقة الارستقراطية في ذلك العصر :

تشتو بمكة نعمةً ومصيفها بالطائف
احببتك موافقاً وبزيب من واقف
وغريرة لم يبقها بؤس وجفوة حائف
غراء يحكيها الغزال م بقللة وسوالف (٣)

وقال عمر في احدى صاحباته :

الحيف مزلها ومسكنها وتخل مكة ان شئت قصرا (٤)

وروى ابو الفرج ، ان سكينه ، ناقلت مالها بالزوراء ، الى قصر في العقيق ،

(٢) الاصبهاني ٢٠:٦

(١) الاصبهاني ٢٠:٦

(٣) ابن خرداذبه ١٢٤ والاصباني ٢١:٦ (٤) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٦٨

يقال له البريدي ، ويظهر ان بعض الناس قد لامها في هذا الامر ، او اظهروا لها انها غبت في هذه المبادلة ، غير ان سكينه كانت تنظر بغير العين التي بها ينظرون ، اذ روى ابو الفرج ، انه لما سال العقيق ، خرجت ، ومعها جواربها ، تمشي حتى جاءت السيل ، فجلست على جرفه ، ومالت برجليها في السيل ، ثم قالت : كذا وكذا للمغبون ، والله لهذه الساعة في هذا القصر ، خير من الزوراء^(١) .

ولم تتفرد سكينه في حبها للعقيق ، ولقصور العقيق ، ولحياة اللهو والمرح في العقيق ، بل قد شاركها في ذاك كثيرون من شريقات ذلك العصر واشرافه كما سنرى .

أثر اضطراب العرب بالامم الغلوية

وتعلق العرب بأسباب من حضارة الامم التي غلبوها ، كالفرس والروم ، بعد احتكاكهم بهم في بلادهم واتصالهم بالسبايا والرقيق الذي وزع بينهم ، فلقد بُعث الى الحجاز طائفة كبيرة من السبايا والرقيق ، وزعت على اهله ، بحيث قل ان يخالو بيت عربي منها ، فقد ذكر البلاذري ، عن الواقدي ، ان سبي قيسارية بلغوا اربعة آلاف رأس ، بُعث بهم معاوية الى عمر بن الخطاب ، فقسّمهم على يتامى الانصار ، وجعل بعضهم في الكتاب والاعمال للمسلمين^(٢) . وذكر ايضاً ان المسلمين غنموا يوم المدائن جوارب من جوارب كسرى جي . بهن من الآفاق^(٣) . ولو شئنا تتبع اخبار السبايا والرقيق ، ممن وزع في الحجاز ، منذ اول الاسلام الى آخر القرن الاول ، لرأينا بينهن طائفة كبيرة من بنات الملوك والامراء . وعامة الناس يصعب حصرها هنا .

علاقة السيرة برفقة

غير اننا لا نرى بدءاً من الاشارة الى بعض العلاقات التي كانت بين العرب

(١) الاصبهاني ١٤ : ١٧٢

(٢) البلاذري ١٤٢

(٣) البلاذري ٢٦٤

وهؤلاء الارقاء والسبايا من الامم المغلوبة ، ويكفي ان نعلم ان السيد العربي يحق له ان يمتلك ما استطاع من الرقيق ، ولعل القارئ لاحظ هذه الكثرة منهم فيما خلفه من الارث بعض رجال الاسلام الاول ، كأن يموت احدهم عن كذا وكذا من الذهب والفضة ، وعن نحو الف امة والف عبد ، وقد كان لصاحبنا عمر ، ولابيه من قبله ، عدد كبير من العبيد والجواري كما سنرى ، منهم من كانت تملكه هذه العائلة قبل الاسلام ، ومنهم من ملكته بعد الاسلام . ويحق للعربي من ناحية ثانية ان يتزوج ممن شاء من السبيات اللواتي يملكن ، فاذا ولدت له احدهن ، حرها وصارت ام ولد ، ولقد قصدنا التوصل الى هذه العلاقة ، لانه روي عن صاحبنا عمر ، انه ابن ام ولد .

أمر بعض الجواري الازمبيات

ولقد كان هذا العدد الكبير من السبايا والارقاء ، قد تحدّر من بلدان مختلفة ، ومن طبقات اجتماعية مختلفة ، فكان بين النساء من كنّ اميرات ، او بنات ملوك ، او بنات علماء ، او بنات غنى وثروة ونعيم ، وكان منهن من كانت على مستوى راقٍ في العيش قبل سبيها ، وكان منهن من نالت حظوة في عيني سيدها ، فاصبح لها دالة عليه ، بل ربما بلغت احدهن ان تصل الى الخليفة نفسه ، فتسير الكثير من امور الدولة ، تولي وتغزل .

حبابة وسلامة

نقول هذا ونحن نذكر حبابة وسلامة وما كان لهما من الشأن عند الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حتى ذكر الرواة انه لما ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك ، قال : ما تقر عيني بما اوتيت من الخلافة حتى اشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري وحبابة جارية للاحق المكية ، فاشتريتا له ، فلما اجتمعنا عنده ، قال : انا الآن كما قال القائل :

فالت عصاها واستقرت بما النوى كما قرّ عيناً بالاياب المسافر (١)

نعلو العرب بني، من حضارة الامم المغلوبة

فزرى بعد هذا كله ، انه قد كان لاحتكاك العرب بهذه الامم المغلوبة ، واسترقاقهم من رجالها ، وتسريهم من نساؤها ، واستخدامهم لهم لاسيا المتعلمين والمتعلمات منهم ، واتصالهم ببعض هؤلاء العبيد والسراري ، والموالي والمواليات الذين حرروهم ، والاختلاط معهم الى حد بعيد في شؤون الحياة العامة والخاصة ، اقول كان لهذا كله ، ولما كان يقع تحت انظار العرب من اساليب الحضارة والعمران في سائر البلدان التي فتحوها ، شأن في تطور الحياة الاجتماعية ليس بقليل ، واثر ليس الى انكساره من سبيل . فقد نقل هؤلاء الارقاء والموالي ، وغيرهم من اهالي الاقطار المغلوبة ، من فرس وروم وغيرهم ، الى اسيادهم العرب الغالبين ، امورا كثيرة من اساليب حياة اقوامهم ، من مطعم ، وملبس ، واثاث ، ورياش ، وغيرها . قال ابن خلدون في مقدمته :

« واهل الدول ابداً يقلدون في طور الحضارة واحوالها الدولة السابقة قبلهم ، فاحوالهم يشاهدون ، ومنهم في الغالب يأخذون ، ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح ، وملكوا فارس والروم ، واستخدموا بناتهم وابنائهم ، ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة ، فقد حكى انه قدم لهم المرقق ، فكانوا يحسبونه رقاعا ، وعثروا على الكافور في خزائن كسرى ، فاستعملوه في عجينهم ملحا ، ومثال ذلك كثير ، فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم ، واستعملوهم في مهتهم وحاجات منازلهم ، واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك ، والقومة عليهم ، افادوهم علاج ذلك ، والقيام على عمله ، والتفنن فيه ، مع ما حصل لهم من اتساع العيش ، والتفنن في احواله ، فبلغوا الغاية في ذلك ، وتطوروا بطور الحضارة والترقى في الاحوال ، واستجدادة المطاعم ، والمشارب ، والملابس ، والمباني ، والاسلحة ، والفرس ، والآتية ، وسائر الماعون والخرثي ، وكذلك احوالهم في ايام المباشرة والولائم ، وليالي الاعراس ، فاتوا من ذلك وراء الغاية »^١ .

بعض ما نقلوه من حضارة الامم الاخرى

وهكذا ، فقد تعلق العرب باسباب من حضارة الامم التي غلبوها ، وتعرفوا على بعض سبل لهُوم ، وعبثهم وطرق معيشتهم ، وحاكهم بشيء من عاداتهم واخلاقهم . ذكر البلاذري في خبر تمصير البصرة ان العرب اخذت تبني الحمامات والقصور^(١) .

وروى ابن عبد ربه ان ابن ابي عميق دخل على عبد الملك ، فوجده جالسا بين جارتين قائمتين عليه عيسان كغصني بان ، بيد كل جارية مروحة تروح بها عليه ، وقد كتب في كل منهما شعر بالذهب^(٢) .

وروى السيوطي عن ابن عساكر « ان اول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس طيران الحمام والرمي على الجلاهقات »^(٣) .

وروى ابو الفرج : « ان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي ، كان قد اتخذ بيتاً فيه شطرنجاً وزدات وقرقات ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتاداً ، فن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفتراً ، فقرأه ، او بعض ما يلعب به ، فلعب به مع بعضهم »^(٤) . وينتهي ابو الفرج بحديثه عن هذا البيت ، او ان شئت فقل النادي ، الى ان الاحوص الشاعر المدني ، وهو احد اصحاب عمر في المدينة ، قد زار هذا المكان فعلق رداؤه ، وحل ازراذه ، ثم اجتز الشطرنج وطلب من يلعب معه^(٥) .

وروى ايضاً انه كان لنساء الامراء والاشراف حجلات خاصة^(٦) وان اسمعيل ابن يسار النسائي ، كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس^(٧) .

وذكر ان بعض النساء كن يستعملن الاسرة ، وروى ان الغريز كان يبكي ويندب في مأتم الثريا ، صاحبة عمر ، وهو واقف بين عمودي سريره ينوح بشعر عليها^(٨) .

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٩

(٤) الاصبهاني ٤ : ٥٢

(٦) « ٢ : ١٢٨

(٨) « ٢ : ١٢١

(١) البلاذري ٢٥٢-٢٥٥

(٣) السيوطي ٦٤

(٥) الاصبهاني ٤ : ٥٢

(٧) « ٤ : ١١٩

وكان بعض هؤلاء الارستقراطيين ، من رجال العرب ونسائهم ، لا يهتمون
الالتفات الى معالجة ما قد يعرض لاجسامهم مما يشوه الوجه او يسيء الى صحتهم ،
وكانوا يرجعون بهذا الى اطباء اخصائيين في الامر ، والرواة يحدثننا ان الفرزدق
اصيب بالدبيلة (وهي دا. يصيب القدم) فقدم به الى البصرة ليعالج عند رجل
متطب من بني قيس^(١).

وهم يحدثننا ايضاً انه حدث لابن ابي ربيعة في احدى مغامراته الحبية ان
اصيب بطلمة ، كادت تقلع ثنيتيه ، فخاف ان تسقطا ، فقدم البصرة ، فعولجتا
له فثبنتا واسودتا^(٢).

بل قد زعم بعضهم ان سكينة بنت الحسين احتملت آلام عملية جراحية
كبيرة في وجهها ، تحت حدقة العين ، في سبيل ازالة سلعة ، خرجت في اسفل
عينها ، وكان ان برئت بعد هذه العملية فيما يزعمون ، وبقي اثر الخرازة في
مؤخر عينها ، قالوا : فكان احسن شيء في وجهها من كل حلي وزينة ، ولم
يؤثر ذلك في نظرها ولا في عينها^(٣).

ويروي عن عثمان انه كان شد اسنانه بالذهب^(٤). وروي عن موسى ابن طلحة
ايضاً انه كان شد اسنانه بالذهب^(٥). ومثل هذا ايضاً روي عن عبد الملك بن
مروان^(٦).

ويروي القفطي ان معاوية سير ابا الحكم الدمشقي ، مع ولده يزيد ،
طبيباً الى مكة ، عندما سير يزيد اميراً على الحليج^(٧).
وكان للحجاج ، فيما يروي القفطي ، طبيب خاص ، اشتهر في العصر الاموي ،
اسمه تياذوق ، وكان له تلاميذ اجلة تقدموا بعده^(٨). ويروي ايضاً ان للحجاج
طبيباً آخر اسمه ثاذون افرد له ترجمة مستقلة^(٩).

(٢) الاصبهاني ٩١: ١

(١) الاصبهاني ٤٦: ١٩

(٤) ابن قتيبة (م) ٩٦ السيوطي ٥٨

(٣) « ١٧٣: ١٤

(٦) ابن قتيبة (م) ١٨٢

(٥) ابن قتيبة (م) ١٢٠

(٨) الففطي ١٠٥

(٧) الففطي ١٧٨-١٧٩

(٩) الففطي ١٠٨ ، ويذكر ابن عبد ربه ٢٨٧: ٣ طبيباً للحجاج باسم يتنادون ونحشى ان
تكون هذه الاسماء محرقة ، وانه ليس هناك أكثر من طبيب واحد.

الكاتب
الحسين بن الحسين

التأني في الملبس والمطعم والربصة

وصار العرب يتأنقون في الملبس والمأكل ، واخذت بعض النساء العريسات ومولاتهن يلتفتن الى التزين في الثياب والهندام والمهيئة ، ورغبن في احراز الحجارة الكريمة ، واللاكي ، وانواع الخلي ، وكن يتزين بها ، ولقد روي ان مصعباً اهدى عائشة بنت طلحة مرة ثماني حبات من اللاكي ، قيمتها عشرون ألف دينار^(١) . وان سكيئة كانت تثقل ابنتها من مصعب بالخلي واللاكي ، وانها قالت : ما البستها اياه ، الا لتفضحه^(٢) .

وروي ابن سعد ان عائشة بنت سعد بن ابي وقاص ادركت نساء النبي ، وكانت تدخل عليهن ، وعليها خلي من قلائد الذهب وفريقات الذهب ، ولا يعين ذلك عليها^(٣) . وروي ايضاً ان حفصة بنت انس بن مالك كانت تقول : كان ابي يحلينا الذهب ويكسوننا الحرير^(٤) .

وقد بعض امراء بني امية النساء . قال ابو الفرج : انما اغلى الجوهر بنو امية ، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مراراً كما تغير الثياب شفقاً^(٥) فكان يجمه من كل وجه ويغالي به^(٦) .

وبلغ ببعضهن ان ابتدعت موضعة خاصة . فقد كانت سكيئة بنت الحسين تصفف شعرها بشكل جميل خاص عرف فيما بعد بالجمّة السكيئية ، وقد شاعت هذه الموضعة بين الرجال والنساء ، وقتنت بعض الناس فيما يظهر ، بحيث انكرها الخليفة عمر بن عبد العزيز كما يروون ، فكان اذا وجد رجلاً يصفف جمته السكيئية ، جلده وحلقه^(٧) .

تفنن النساء في الملبس

واخذت النساء تلبس القمص الاسكندرانية الرقيقة ، والثياب القوهية المصفرة تكاد تشف عن اجسادهن^(٨) . واخذن يضعن على وجوههن الحجب ، او

(١) الاصبهاني ١٠: ٥٧ (٢) الاصبهاني ١٤: ١٦٨ (٣) ابن سعد ٨: ٣٤٣

(٤) ابن سعد ٨: ٣٥٢ (٥) كذا في الاصل ولعلها «شفقاً» (٦) الاصبهاني ٦: ١٢٩

(٧) الاصبهاني ١٤: ١٦٥ (٨) الاصبهاني ٧: ١٤٣ و ١٤٤ وابن عبد ربه ٣: ٢٨٠ و ٢٦٣

الحمر الرقيقة ، وانك لتري أثر بعض هذا في شعر اكثر شعراء ذلك العصر ، وبالاخص عمر . قال يصف حديثاً بين صاحبه واحدى رفيقاتها :
 واشفي البرد عنك له كي تشوقه اذا نظرا (١).

وقال يشير الى حجابها او ستارها الرقيق المصنوع من الحرير القز :

اقول وشف سجف القز عنها أشمس تلك ام قر منبر (٢)

وقال في ثوب اخرى :

شف عنها مرقق جندي فهي كالشمس من خلال السحاب (٣)

وله ايضاً ، واصفاً رقة ثوب حبيته ونعومة بشرتها :

لو دب ذرّ رويداً فوق قرقرها لاثّر الذرّ فوق الثوب في البشر (٤)

«ونقل عن معاذ بن جبل انه قال : انكم ابتليتم بفتنة الضراء ، واني اخاف عليكم فتنة السراء ، وهي النساء اذا تحلين بالذهب ، ولبسن ريط الشام وعصب اليمن ، فاتعن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يطاق» (٥).

حظ الرجال من اللبس

واخذ بعض الرجال يلبسون القلائس ، ورقيق الثياب ، ومصبغاتها ، وثمنها وصقلها ، وكان لرجال قريش في هذا السبيل الحظ الاكبر ، بحيث صار يعرف القرشي من هيئته (٦). ولنا في صاحبنا عمر خير مثال كما سنرى . وقد قال في نفسه :

من المسبّين رفاق البرود م اكسو الثعال فضول الازر (٧)

وذكر صاحب الاغانى ، ان الشعبي دخل مرة على بشر بن مروان ، عامل اخيه عبد الملك على الكوفة ، فرأى عليه غلالة صفراء رقيقة ، وملاءة تقوم قياماً من شدة الصقال (٨).

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٨٢

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ٢٨١

(٤) « α α ٢١١

(٣) « α α ٧٤

(٦) ابن عبد ربه ٣: ٢٧٩

(٥) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٢

(٧) ابن ابي ربيعة (ع) (٢٠٠) وراجع اصبهاني ٢٠: ١٦٦ حيث ترى ان جبراً كان

لبس في بعض الاحيان قلنسوة وراجع ابن عبد ربه ٢: ٢٤٤ (٨) الاصهاني ٢: ١٢٤

وذكر ابن عبد ربه ، ان طويساً المغني ، كان يلبس ملاءة مصقولة^(١) .
 وذكر الطبري ، ان عبيد الله بن زياد قال في خطبته امام اهل البصرة : « والله
 لقد لبسنا الخز واليمنة واللين من الثياب حتى لقد اجننا ذلك واجتمه جلودنا »^(٢) .
 وكان بعضهم لا يقنع في الثوب الواحد ، فقد روي ، ان مروان بن ابان
 ابن عثمان ، كان يلبس سبعة قصص ، كانوا درج ، بعضها اقصر من بعض ، وفوقها
 رداء عدي بالفي درهم^(٣) .

واخذوا يتأنقون في هندامهم وهيئتهم ، حتى روي ان زياداً كان يفرق
 شعره ، ويلبس قباء سندس ومطرف خز^(٤) . وكان جبير بن مطعم يلبس
 الطيلسان ويروي انه اول من لبسه بالمدينة^(٥) . وكان القاسم بن محمد يلبس
 الخز^(٦) . وكان عبد الله بن جعفر يهدي الهدايا بينها الكسوة والحري^(٧) . ويروي
 عن غائشة كلام ، تشير به الى تغيير الحال في الملبس ، قالت فيه عن ثوبها زمن
 النبي : « اما والله ! ما كان خزاً ، ولا قزاً ، ولا ديباجاً ، ولا قطناً ، ولا كتاناً » .
 ثم سئلت عنه ، فقالت : « سداه من الشعر ، ولحمته من اوبار الابل »^(٨) . واشترى
 بكر بن عبد الله المزني طيلساناً باربعة مئة درهم ، ثم اخذه لحياط يخيظه له ،
 فاراد الحياط ان يقطعه (يفصله) ، فذهب ليذر عليه تراباً ، علامة لموضع
 القطع ، فقال له بكر : لا تعجل ! وامر بكافور فمسح ، ثم ذره عليه^(٩) . وكان
 بكر حسن اللباس ، وكانت قيمة كسوته اربعة الاف درهم^(١٠) .

اكثر الخلفاء الاول برغبونه عن الحياة الجديرة

ولقد انكر الخلفاء الأول على بعض علمهم ورجلهم ، سيرهم وراء الحياة
 الجديدة ، حتى ان الامام عمر بن الخطاب ، بعث الى ابي موسى الاشعري يوبخه ،
 ويقول : « وقد بلغ امير المؤمنين ، انه فشت لك ولاهل بيتك ، هيئة في لباسك

(١) الطبري II : ٤٣٩

(٢) الطبري II : ١١٥

(٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤٩

(٤) ابن عبد ربه ١ : ٢٩٤

(٥) ابن قتيبة (م) ٢٢٢

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٤١

(٣) الاصمغاني ١٧ : ٨٩

(٥) ابن قتيبة (م) ٢٧٤

(٧) ابن عبد ربه ١ : ١٤٧

(٩) ابن قتيبة (م) ٢٢٢

ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها^(١) .

ولما لقي معاوية عمر بن الخطاب ، عند قدومه الى الشام ، كما يذكر ابن خلدون ، ورأى زيه من العديد والعدة ، وما هو فيه من آبهة الملك ، استنكر ذلك ، وقال : « اكسروية يا معاوية » ؟ فقال : « يا امير المؤمنين . أنا في ثغر تجاه العدو ، وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة »^(٢) .

وروى ابن ابي حديد ، « انه لما قدم عتبة بن مرثد اذريجان ، اتي بالخبيص ، فلما اكله وجد شيئاً حلواً طيباً ، فقال : لو صنعت من هذا لامير المؤمنين . فجعل له خبيصاً في متقلين عظيمين ، وحملهما على بعيرين الى المدينة ، فقال عمر : ما هذا ؟ قالوا : الخبيص ، فذاقه ، فوجده حلواً ، فقال للرسول : ويحك ! أكل المسلمين عندكم يشبع من هذا ؟ قال : لا اقال : فارددهما ! ثم كتب الى عتبة : اما بعد ، فان خبيصك الذي بعثته ، ليس من كد ابيك ، ولا من كد امك ، اشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك ، ولا تستأثر فان الاثرة شر ، والسلام »^(٣) .

ويروى عن عمر انه قال الى نفر من عماله ، وقد دعاهم الى طعامه ، واتاهم بخبز يابس ، واكسار بغير ادام : « لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ، ولكني رايت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم »^(٤) .
ويروى عنه انه قال : « انثروا وارثوا وانتعلوا واحتفوا . . . ودعوا التنعيم وزى العجم »^(٥) .

بنو امية وعملهم برغبون فيها

غير ان الخلفاء الامويين بوجه عام ، وعملهم ، كانوا يرغبون في هذه الحياة

(٢) ابن خلدون ١٧٧

(١) ابن عبد ربه ١ : ٣٤٠

(٣) ابن ابي حديد ٣ : ١٠١

(٤) ابن عبد ربه ١ : ٧ وفيه ان الصلائق شيء يعمل من اللحم ، فنها ما يطبخ ومنها ما يشوى . والسبائك يريد الحواري من الخبز ، وذلك انه يسبك فيؤخذ خالصة والعرب تسمي الرقاق السبائك . والصناب طعام يؤخذ من الزبيب والخردل .

(٥) ابن عبد ربه ١ : ٦٩

الجديدة ، وكانوا حريصين على ان يظهروا باحسن هندام واجمل زي .
روي ان معاوية حج مرة ، فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء ،
عليها رحائل الارجوان ، فيها الجوازي ، عليهم الجلابيب والمعصرات ، ففتن
الناس ^(١) .

وروي ان عبيد الله بن زياد كان اول من حصل الدواوين ، ومشى بين
يديه بالعمد ، ووضع الكراسي وعمل المقصورة ولبس الزيادي ^(٢) .
وكان بعضهم يائي ان يلبس الرداء مدة طويلة . ذكر صاحب التاج في
اخلاق الملوك ان يزيد بن معاوية ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، كانوا لا
يلبسون القميص الا لبسة واحدة ، الا ان يكون القميص نادراً معجباً غريباً ^(٣) .
وروي الطبري ان العير كانت تأتي عليها الورس والحلل من اليمن الى
يزيد بن معاوية ، من عامله ^(٤) .

ويروي عن عبد الملك انه لبس مرة حلة تتلأأ كأنها الذهب ^(٥) .
اما هشام بن عبد الملك ، فقد رووا انه كان مغرمًا بالزينة والهندام ، حتى
زعموا انه لم يكن في بني مروان اعطر ولا البس منه ، وانه خرج حاجاً ،
فحمل ثياب ظهره على ستاية حمل ^(٦) . بل لقد بلغ به تائقه ، فيما يروي الطبري ،
ان كلف رجاله ان يبقروا بطون الماشية عن السخال ، يطلبون الفراء الابيض
الناعم ، فيقتلون الف شاة في جلد ^(٧) . وهو امر ، ربما لم تحلم به اغنى سيّدة او
ممثلة او ملكة من غاويات اللبس في هذا العصر .

وروا عن عمر بن عبد العزيز ، انه كان من احسن الناس لبساً ، واطيبهم
ريحاً ، واخيلاهم في مشيته ، وذلك قبل ان يستخلف ^(٨) . وقيل انه كان يشتري
له الثوب ، وهو والي على المدينة ، باربعمئة ، فيقول : ما اخشنه واغلظه ^(٩) .

(٢) ابن عبد ربه ٤: ٣

(٤) الطبري III: ٣٧٧

(٦) ابن عبد ربه ٤: ٣٢٨

(٨) ابن سعد ٥: ٢٤٤

(١) ابن عبد ربه ٢: ٢٢٧

(٣) الجاحظ (ت) ١٥٤

(٥) ابن عبد ربه ١: ١٤٨

(٧) الطبري I: ٢٨١٦

(٩) ابن سعد ٥: ٢٤٦

ومدح كثير عبد العزيز بن مروان وقومه، فقال :

وانت فلا تفقد ولا زال منكم امام يمي في حجاب مسدن
اشم من الفادين في كل حلة عيسون في صبغ من العصب متقن
لهم ازر حمر الحواشي بطوخا باقواهم في الحضرمي اللسن ١)

تقسيمهم في المأكّل

واما المأكّل ، فقد تفننوا فيه قدر ما امكنتهم حضارتهم الجديدة ، فصاروا يأكلون ، فيما يقول زيدان ، السكباچ ، والفاالوذج ، واللوزينج ، والجوزاب ، والحشاف ، والجلاب ، وغيرها ، وتفننوا بمعالجة اللحوم بالالبان والخضار والتوابل ، على اساليب شتى ^{٢)} .

وكان بينهم ، في ذلك العصر ، من كان يصنع طعام العرس ، ويبيعه ، فيشتريه منه من اراد التعميس من المتجملين ، ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك . وقد روي عن النسائي انه كان يكون عنده طعام العرسيات ، فمن طرقه وجده عنده معداً ^{٣)} .

وقد حاول الحجاج مرة فيا يروون ، وقد اولم في اختتان بعض ولده ، ان يقلّد مرازمة الفرس في ولائهم ، فاستحضر بعض الدهاقين ، واخذ يسأله عن ولائم الفرس ، وقال : « اخبرني باعظم صنيع شهدته ا فقال له : نعم ايها الامير : شهدت بعض مرازمة كسرى ، وقد صنع لاهل فارس صنيعاً ، احضر فيه صحاف الذهب ، على اخونة الفضة ، ارباعاً على كل واحد ، وتحمله اربع وصائف ، ويجلس عليه اربعة من الناس ، فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المائدة بصحافها ووصائفها ، فقال الحجاج : يا غلام ، انخر الجزر ، واطعم الناس » ^{٤)} . غير ان الرواة ^{٥)} روى ان الحجاج كان يقيم الولائم في رمضان ، فيضع في كل يوم من ايام رمضان ، الف خوان ، على كل خوان عشرة انفس ، وعشرة الوان ، وسحكة مشوية طرية ، وازرة بسكر ، وكان يدور هو بنفسه على الموائد يتفقدوها ،

(١) ابن عبد ربه ١: ٢٠٢

(٢) زيدان (ت) ٥: ٧٨ ولم يذكر المصدر الذي استند اليه في هذا

(٣) ابن خلدون ١٥١

(٤) الاصبهاني ٤: ١١٦

وكان يضع في غير رمضان خمسمئة خوان^(١). وكان بعض عماله يفعل ما يقارب هذا في بعض المدن^(٢). ودعا يزيد بن المهلب يوماً بغذاء لضيوفه ، فاتي بطعام ، ما انكروا منه اكثر مما عرفوا^(٣).

ولي خراسان امية بن عبد الله بن خالد لعبد الملك بن مروان ، فاقام بها مدة ثم كتب الى عبد الملك قائلاً : ان خراج خراسان لا يفي بمطبخي^(٤).

«وقيل للجارود بن ابي سبرة : ماذا تصنعون عند عبد الاعلى اذ كنتم عنده . قال : يشاهدنا باحسن استماع واحسن حديث ، ثم ياتي الطباخ ، فيمثل بين عينيه فيقول ما عندك ، فيقول عندي لون كذا وجدي كذا ، ودجاجة كذا ، ومن الحلو كذا ، قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليقصر كل رجل عما لا يشتهي ، حتى ياتيه ما يشتهي ، ثم يأتون بالخوان فيتضايق وتتسع ويقصر ونجتهد .»^(٥)

وروا ان زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، كان انجل قرشي ، ومع ذلك فقد ذكروا عنه ، انه حج مرة ، ومعه امراته سكيينة بنت الحسين ، فلم يدع اوزة ولا دجاجة ولا بيضاً ولا فاكهة الا حمله معه^(٦).

وقد كان بعضهم كما ذكرنا يستحضر الفاكهة احياناً من الشام^(٧).

« وروي ، أن الحسن البصري قال لفرقد : بلغني انك لا تأكل الفالوذج ، قال : يا أبا سعيد ، اخاف ان لا اؤدي شكره ، قال : يا لكع اوهل تؤدي شكر الماء البارد في الصيف ، والحر في الشتاء ، اما سمعت قول الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم .»^(٨) وسمع الحسن ايضاً رجلاً يعيب الفالوذج ، فقال : « باب البر ، بلعاب النحل ، بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم »^(٩).

وكانت سفرة سليمان بن عبد الملك غنيةً بالوان الطعام ، زعموا انه تزل ضيفاً

(٢) ابن خلكان ١١٥:١

(٤) الاصبهاني ٥٦:١٣

(٦) « ١٧٢: ١٤

(٨) ابن عبد ربه ٣: ٢٨١

(١) ابن عبد ربه ٦: ٣

(٣) « ١١٥: ١

(٥) الجاحظ (ب) ١: ١٤٢

(٧) ابن عبد ربه ٣: ٢٤٢

(٩) « ٣: ٢٨١

على شمر دل، وكيل عمرو بن العاص في الطائف «فقدّم له جدياً ودجاجاً هندياً، وحريرة، فأكل، ثم نادى برئيس طعامه، فقال: افرغت من غدائي؟ قال: نعم! قال: وما هو؟ قال: ثمانون قدراً! قال: انتني بها قدراً قدراً، قال فساكثر ما اكل من كل قدر ثلاث لقم، واقل ما اكل لقمة»^(١).

ونقل الابشيهي «ان العرب كانت لا تعرف كثرة الالوان في اطعمتهم، انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمان معاوية فاتخذ الالوان»^(٢).

بعض قصص الرواة عن هذا التطور

ولعل بعض الرواة القدماء، كانوا يحاولون تصوير هذا التطور، عندما رووا القصة التالية عن مشاهدات اعرابي في حواضر المسلمين. روى ابن عبد ربه ان «محمد بن يزيد بن معاوية، كان نازلاً يجلب على الهيثم بن عدي، فبعث الى ضيف له من عذرة - اعرابي - فقال له: حدث ابا عبد الله بما رايت في حضر المسلمين من الاعاجيب. قال: نعم! رايت اموراً معجبة، منها اني دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالي، واذا انا بدور متباينة، واذا خصاص بيض، بعضها الى بعض، واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون، وعليهم ثياب حكوا بها انواع الزهر، فقلت لنفسي: هذا احد العيدن، الفطر او الاضحى، ثم رجع اليّ ما عذب من عقلي، فقلت خرجت من اهلي في عقب صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك. فبينما انا واقف اتعجب، اذ اتاني رجل، فاخذني بيدي، فادخلني بيتاً، قد نجد، وفي وجهه فرش ممهدة، وعليها شاب ينال فرع شعره كتفيه، والناس حوله ساطين»^(٣)، فقلت في نفسي، هذا الامير، الذي يحكى لنا جلوسه وجاوس الناس حوله، فقلت وانا مائل بين يديه: السلام عليك ايها الامير ورحمة الله، قال، فجذب رجل بيدي، وقال ليس بالامير، اجلس! قلت: فمن هو؟ قال: عروس. قلت: وائكل اماء! الرب عروس بالبادية، قد رايت هون على اصحابه من فلم البث ان ادخلت الرجال علينا آتات متدورات من خشب، اما

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٥ و ٢٢٢ وراجع الابشيهي ١: ١٦٤ تراخياً اختلافاً بين الروايتين

(٢) كذا.

(٣) الابشيهي ١: ١٦٢

ما خفّ منها فتحمّل حملاً ، واما ما ثقل فيدحرج ، فوضعت امامنا ، وحلّق القوم عليها حلّقاً ، ثم اتينا بخرق بيض ، فالقيت عليهما ، فهمت والله ان اسأل القوم خرقه منها ارفع بها قيصي ، وذلك اني رايت لها نسجاً متلاحماً ، لا يتبين له سدى ولا لحمة ، فلما بسط القوم ايديهم ، اذا هو يتمزق سريعاً ، واذا صنف من الخبز لا اعرفه ، ثم اتينا بطعام كثير من حلو وحامض وحر وبارد فاكثر منه «... الخ»^(١)

ورروا عن اعرابي آخر ، «انه حضر سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما اتى بالفالوذج ، جعل يسرع فيه ، فقال سليمان : اتدري ما تأكل يا اعرابي ؟ فقال : بلى يا امير المؤمنين ! اني لاجد ريقاً هنيئاً ومزرداً ليناً ، واظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه»^(٢).

والحق ان الحياة العربية لم تستطع ان تتغلب على حياة الامم المغلوبة ، بل اخذت تخضع لها تدريجياً ، واخذت تنقل عنها بعض مظاهرها ، فكانت نتيجة هذا الفتح والاحتكاك ، كما اسلفنا ، انتصار المغلوب بكثير من عاداته ، واخلاقه وترفه ، واسباب حضارته ، واساليب لهوه ، على الغالب ، بينما ظل خاضعاً لخصمه العربي الذي غلبه ، فصار يحكم الفتح نفسه سيده في غير هذه الامور .

الغناء

وقد حمل هذا المغلوب معه اسباباً كثيرة للهو والترف والحضارة غير ما ذكرنا ، وكان من اهم ما نقله الغناء .

الغناء القديم

ليس هنا مجال البحث المطول في مصدر هذا الغناء ، وفي الشيء الذي كانت تعرفه منه عرب الحجاز قبل الفتوحات الاسلامية ، اذ يكاد لا يختلف المؤرخون الآن ، في ان هذا الغناء الذي عرفه العصر الاموي كان غير غناء الجاهلية .

وذلك لا يعني ان العرب لم تكن تعرف شيئاً من الغناء ، فقد كان لليمن حظٌ من الحضارة والتمدن قبل الاسلام ، لم تعرفه الحجاز ، وخضعت اليمن لوقت ما ، لكل من سلطتي الاحباش والفرس ، قبل خضوعها لسلطة الاسلام ، فكان من الطبيعي ان يعرف فيها شيءٌ من الغناء . والرواة يروون لنا ان اشئى بنى قيس بن ثعلبة ، كان يزور نجران ، ويمدح اساقفتها وملوكها ، ويقم عندهم ، يستقونه الخمر ، ويسمعونه الغناء الرومي^(١) . ويحدثوننا ايضاً ، ان امرأ القيس ، كان يسير في احياء العرب ، ومعه اخلاط من شذاذهم ، فاذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام ، فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ، ثم عاد ، فاكل ، واكلوا معه ، وشرب الخمر ، وسقاها ، وغنته قيانته^(٢) .

لا بل هناك اخبار تشير الى ان اهل المدينة — وبين اهل المدينة واليمن علاقة لا تنكسر — كانوا يحبون الغناء ، ويعجبهم الغزل ، ويروى ان النبي العربي قال لعائشة : اهديتم الفتاة الى بعليها ؟ قالت : نعم ، قال : فبعثتم معها من يغني ؟ قالت : لا ، قال : او ما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ، الا بعثتم معها من يقول :

اتيناكم اتيناكم فحيونا نخيكم
ولولا الحبة السمراء لم نخلل بواديكم (٣)

ويروون انه كان عند حسان بن ثابت ، زمن النبي ، جارية تغنيه بزهراها^(٤) وانه كان عند جبلة بن الايهم القسائي مغنيات روميات ، يغنين بالرومية بالبرابط ، ومغنيات اخريات ، يغنين غناء اهل الخيرة ، وانه كان يفسد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها^(٥) .

ويروي القفطي ان الحرث بن كعدة ، الطبيب العربي الجاهلي ، كان يضرب العود ، وقد تعلم ذلك من فارس واليمن ، ويقال انه ادرك الاسلام^(٦) .

(٢) الاصبهاني ٨ : ٦٨

(٤) « ١٠ : ١٦٩

(٦) القفطي ١٦٣

(١) الاصبهاني ٦ : ٧٣

(٣) ابن عبد ربه ٣ : ٣٢١

(٥) الاصبهاني ١٦ : ١٥

وذكر ابن عبد ربه شيئاً عن اصل الغناء ومعدنه فقال: «وانما كان اصل الغناء ومعدنه في امهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً، وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة جندل واليمامة، وهذه القرى مجامع اسواق العرب»^(١)

نعم! السنا نشك في ان العرب كانت تعرف الغناء، وانه كان للحجاز بعض الحظ منه، ولكن هذا الغناء، فيما يظهر من اخبار الرواة، لم يكن واسع الانتشار، كما صار في صدر الدولة الاموية، ولا كان متقناً كالغناء الذي اشرنا اليه في اول الكلام، فان هذا غناء جديد، ادرك المؤرخون جدته، واهميته، ورقته، واثره، وسرعة انتشاره. حدثت خارجه بن زيد عن غناء شهده حسان بن ثابت، فقليل لخارجه: كان يكون هذا الغناء عندهم؟ قال: يكون في العرسان، ولم يشهد بما يشهد به اليوم من السعة^(٢). وقال ابن عبد ربه: ان اول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق، طويس، وقد علم ابن سريج والدلال ونومة الضحى^(٣).

مصدر الغناء الجدير

ويظهر ان هؤلاء الرواة والمؤرخين قد ادركوا ان مصدر هذا الغناء الجديد، في العصر الاموي، كان من غير الجزيرة، فقد روى ابو الفرج ان اول من غنى هذا الغناء العربي بمكة، ابن مسيحه، مولى بني مخزوم، وذلك انه مر بالفرس، وهم يبنون المسجد الحرام، فسمع غناءهم بالفارسية، فقلبه في شعر عربي، وهو الذي علم ابن سريج والغريص^(٤). وذكر في موضع

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٤١

(٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٤١

(٣) الاصبهاني ١٦: ١٥٠

(٤) الاصبهاني ٣: ٨٤ وراجع الاصبهاني ١: ١٥١ وفيه «ان ابن محرز، كان يسكن المدينة مرة، ومكة مرة، فاذا اتى المدينة، اقام بها ثلاثة اشهر، يتعلم الضرب من غزاة الميلاء، ثم يرجع الى مكة، فيقيم بها ثلاثة اشهر، ثم يشخص الى فارس، فيتعلم الخان الفرس، وغناءهم، ثم صار الى الشام، فتعلم الخان الروم، واخذ غناءهم، فاسقط من ذلك ما لا يستحسن من

آخر ، ان ابن مسجح هذا ، رأى الفرس يفتون بالفارسية ، وهم يبنون دور معاوية ، فاشتق غناه على ذلك^(١) . وفي الموضع نفسه ، انه اول من غنى الغناء العربي المنقول عن الفارسي . ويقول عنه في موضع قبل ذلك : « انه نقل غناء الفرس ، الى غناء العرب ، ثم رحل الى الشام ، واخذ الحان الروم والبرنطية والاسطوخوسية ، وانتقل الى فارس ، فاخذ بها غناء كثيراً ، وتعلم الضرب ، ثم قدم الى الحجاز ، وقد اخذ محاسن تلك النغم ، والقي منها ما استقبه ، من الثبرات والنغم التي هي موجودة في نغم الفرس والروم ، خارجة عن غناء العرب ، وغنى على هذا المذهب ، فكان اول من اثبت ذلك ، ولحنه وتبعه الناس »^(٢) .

وهناك رواية اخرى ، في كتاب ابي الفرج نفسه ، تشير الى ان اول من عمل العود بالمدينة ، وغنى به ، سائب خاثر ، مولى بني ليث ، واصله من في كسرى ، وانه اخذ عن اماء نائحات ، اتى بهن الى المدينة ، وعن رجل فارسي يستمى نشيطاً ، كان يغني بالفارسية . فصنع مثل غنائه بالعربية^(٣) .

وقد ذكر ابن رشيقي شيئاً عن انواع الغناء عند العرب ، فوصف الاوجه التي كان عليها قبل الاسلام ، من حداً وغيره ثم قال : « قال اسحق [ويعني به اسحق بن ابراهيم الموصلي] هذا كان غناء العرب ، حتى جاءهم الله بالاسلام ، وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء المجزأ المؤلف ، بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعبدان والطناير والمعازف والمزامير . »^(٤)

وروي ابو الفرج ، ان ابن خرداذبه نسب الى اكثر الخلفاء غناء تغنوا به ، وذكر بينهم عمر بن الخطاب ، ثم انتقد ابو الفرج رواية ابن خرداذبه ، لاسيما في ما يتعلق بعمر ، فقال : « فاما عمر بن الخطاب ، فلو جاز هذا ، (اي الغناء) ان يروي عن كل احد ، لبعد عنه ، ولما روي ، انه تمثل بهذا البيت ، وقد ركب

نغم الفريقين ، واخذ محاسنها ، فزج بعضها ببعض ، والف منها الاغاني التي صنعها في اشعار العرب ، فاق بما لم يسمع مثله ، وكان يقال له صناج العرب . »

(١) الاصبها في ٣ : ٨٤

(٢) الاصبها في ٣ : ٨٦

(٣) ابن رشيقي ٢ : ٢٤١

(٤) « ٢ : ١٨٨

ناقة ، فاستوطأها ، لا انه غنى به ، ولا كان الغناء العربي عرف في زمانه ، الا ما كانت العرب تستعمل من النصب والحداء ، وذلك جار مجرى الانشاد ، الا انه يقع بتطريب وترجيح يسير وترفيح للصوت «^{١)} .
 وذكر المسعودي ، ان في ايام يزيد ، ظهر الغناء ، بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهي^{٢)} .

الغناء الجديد ينقل بعمر الفتح

نستخلص من هذا كله ، ان هذا الغناء الذي نشير اليه ، هو غناء جديد ، انتشر في الحجاز اول الامر ، بعد احتكاك العرب بالامم المغلوبة ، وبعد استراقهم هذه الالوف من الرقيق ، واستخدامهم العدد الكبير من هؤلاء العمال الاجانب في مشاريعهم المختلفة في الحجاز .

انتشار الغناء واثره

وهكذا فقد كان الغناء من اهم الامور التي نقلها المغلوب الى الغالب . نقلها ، كما قلنا ، الارقاء والموالي — من الرجال والنساء — الذين صاروا بحكم الفتح والدين الجديد ، عنصراً مهماً في هذه الدولة الجديدة ، لهم علاقات وثيقة مع اسيادهم . وما ان احتك هذا الجيل ، من السبايا والرقيق ، عبيداً وموالي ، باسيادهم الارستقراطيين ، من رجال العرب ونسائهم ، حتى اخذت النظم الاجتماعية لهؤلاء العرب انفسهم ، تتغير شيئاً فشيئاً . وصرنا نرى مجالس اللهو والغناء ، لم تألفها الحجاز من قبل ، وصار هذا الغناء فتناً منظماً يقصد اليه ، له انظمته ، وله حدوده ، وله رجاله واصحابه ومعلموه ، ولم يكن كذلك من قبل . واخذ يسير مع الترف جنباً الى جنب ، وانتشر في الحجاز انتشاراً عظيماً ، لاسيما في بلد النبي ، وفي دار هجرته ، ومملك على شباب العرب قلوبهم وعقولهم فاجبوه وشغلوا به ، بحيث نرى الآن كتب الادب القديمة مشحونة باخباره وانتشاره واثره في نفوس اهل ذلك الجيل .

١١
اعرابي يحضر عرساً في بلد

حدث اعرابي بما رأى في حاضر المسلمين يوم عرس ثم قال في آخر حديثه :
 « وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعلت الاصوات بالثناء عليه والدعاء ،
 فخرج فجاء بنجشة ، عيناها في صدرها ، فيها خيوط اربعة ، فاستخرج من
 خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك أذناها وحركها بنجشة في يده
 فنطقت ورب الكعبة ، واذا هي احسن قينة رأيته قط ، وغنى عليها فاطر بني
 حتى استخفني من مجلسي ، فوثبت فجلست بين يديه ، وقلت : يا بني انت
 وأمي ، ما هذه الدابة ؟ فلمست اعرفها للاعراب ، وما اراها خلقت الا قريباً ،
 فقال : هذا البربط ، فقلت : يا بني انت وأمي ، فما هذا الخيط الاسفل ؟ قال :
 الزير ، قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثني ، قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث ،
 قلت : فالاعلى ؟ قال : اليم ، فقلت : آمنت بالله اولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط
 ثالثاً ، وبالم رابعاً ! »^{١)}

ايمان جديد ، بشي جديد ، لم يعرفه هذا الاعرابي للاعراب ، ولم يره
 خلق الا قريباً .

امد ولادة المدينة والغناء

ورواية أخرى ، تشير الى اثر هذا الغناء في نفوس اهل ذلك الجبل ،
 رواها المبرد في كامله ، وابو الفرج في اغانيه ، قال الاخير : « لما قدم عثمان
 ابن حيان المري المدينة والياً عليها ، قال له قوم من وجوه الناس : انك قد
 وليت على كثرة من الفساد ، فان كنت تريد ان تصلح ، فطهرها من الغناء
 والزنا ، فصاح في ذلك واجل اهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة ، وكان ابن
 ابي عتيق غائباً ، وكان من اهل الفضل والعفاف والصلاح ، فلما كان آخر ليلة
 من الاجل ، قدم ، فقال : لا ادخل منزلي حتى ادخل على سلامة القس ،
 فدخل عليها فقال : ما دخلت منزلي حتى جئتكم اسلم عليكم ، قالوا ما

(١) الاصبهاني ١٢ : ٣٦٠ وراجع ابن عبد ربه ٢ : ١٢٧

اغفلك عن امرنا ، واخبروه الخبر ، فقال : اصبروا الى الليلة ، فقالوا : نخاف ان لا يمكنك شي . ، وتنكص ، قال : ان خفتم شيئاً فاخرجوا في السحر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان ، فاذن له ، فسلم عليه ، وذكر له غيبته ، وانه جاءه ليقضي حقه ، ثم جزأه خيراً على ما فعل من اخراج اهل الغناء والزنا ، وقال : ارجو ان لا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك ، قال عثمان : قد فعلت ذلك ، وأشار به عليّ اصحابك ، فقال : قد اصبحت ، ولكن ما تقول امتع الله بك ، في امرأة ، كانت هذه صناعتها ، وكانت تكره على ذلك ، ثم تركته واقبلت على الصلاة والصيام والخير ، واتى رسولها اليك تقول : اتوجه اليك ، واعوذ بك ان تخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده ، قال : فاني ادعها لك ولكلامك ، قال ابن ابي عتيق : لا يدعك الناس ، ولكن تأتيك ، وتسمع من كلامها ، وتنظر اليها ، فان رأيت ان مثلها ينبغي ان يترك ، تركتها ، قال : نعم ، فجاءه بها ، وقال لها : اجعلي معك سُبْحَةً ، وتحشمي ، ففعلت ، فلما دخلت على عثمان حدثته واذا هي من اعلم الناس بالناس ، واعجب بها ، وحدثته عن آبائه وامورهم ، ففكه لذلك ، فقال لها ابن ابي عتيق : اقرأي للامير ، فقرأت له ، فقال لها : احدي له ، ففعلت ، فكثير تعجبه ، فقال : كيف لو سمعتها في صناعتها ، فلم يزل يزلها شيئاً فشيئاً ، حتى امرها بالغناء ، فقال لها ابن ابي عتيق : غني ، فغنت :
سددن خصاص الحتم لا دخلته بكل لبان واضح وجبين

فغنته ، فقام عثمان من مجلسه ، ففقد بين يديها ، ثم قال : لا والله ما مثل هذه تخرج ، قال ابن ابي عتيق : لا يدعك الناس ، يقولون اقرّ سلامة واخرج غيرها ، قال فدعوهم جميعاً ، فتركوهم جميعاً «^١» .

الاسراف والغناء

وروا ان الغريص ، مغني ابن ابي ربيعة ، ورفيق لهوه ، انشد الحارث بن خالد المخزومي ، والي مكة لعبد الملك بن مروان :

(١) الاصبهاني ٨ : ١٠٠ والمبرد ١ : ٣٧٦ وفيه « الرثاء » بدل « الزنا »

غفت الديار فما بها اهل جزأها ودماها السهل

« فقال له الجارث: يا غريض ! لا لوم في حبك ، ولا عذر في هجرك ، ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك ، يا غريض ! لو لم يكن لي في ولايتي مكة حظ الا انت ، لكان حظاً كافياً وافياً ، يا غريض ! انما الدنيا زينة ، فازين الزينة ما فرح النفس ، ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء »^(١).

وروا ايضاً ان الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، خرج يوماً على بغلته الى العقيق ، وقد سال الوادي ، فرأى ابن عائشة المغني ، فارغمه على ان يغني منة صوت ، واندفع ابن عائشة يغني ، ويفتن بصوته قلوب الناس . زعوا انه ما رؤي يوم احسن من ذلك اليوم ، تركوا به اعمالهم وصرفهم ابن عائشة عن كل شيء ، فما رفعت اصواتهم الا باحسنت والله ! احسنت والله ! وتبادروا اليه من المدينة ، وما حولها ، حيث بلغهم الخبر لاستماع غناؤه ، ثم انصرفوا حوله يزفونه الى المدينة زفاً^(٢).

ولما ولي ابان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية ، جاءه طويس ووقف بين يديه ، وغنسه فاطربه ، فصفق ابان بيديه ، ثم قام عن مجلسه ، فاحتضنه ، وقبله بين عينيه ، وقال: يا مومني على طويس^(٣).

ونفي الى عبد الملك بن مروان ، ان سعيد بن مسجع المغني ، افسد فتیان قريش ، وانفقوا عليه اموالهم ، فكتب الى عامله ان اقبض ماله وسيده الي ، ففعل . واحتال ابن مسجع ، قبل ظهوره امام عبد الملك ، في ان استعان باحد القرشيين في دمشق ، وحدا في بيت هذا القرشي المجاور لقصر عبد الملك ، وكان القرشي عند عبد الملك ، فسأله عن صاحب هذا الصوت ، قال : حجازي ، قدم علي ، قال : احضره ، فاحضره ، وقال له : احد مجدداً ، ثم قال له : هل تغني غناء الركبان ؟ فغنائه ، فقال له : هل تغني الغناء المتقن ؟ قال : نعم . قال :

(١) الاصبهان ١٠٧: ٣

(٢) « ٢٣: ٦٤ - ٦٤ وراجع طبعة دار الكتب من الجزء نفسه ص ٢٠٦ وابن عبد

ربه ٣: ٢٤٥

(٣) ابن عبد ربه ٣: ٢٤١

غته ! فتفتنى ، فاهتز عبد الملك طرباً ، ثم قال : اقسام ان لك في القوم لاسماً عظيماً ، من انت وملك ؟ فقال سعيد : انا المظاوم ، المقبوض ماله ، المسير عن وطنه ، سعيد بن مسجع . فتبس عبد الملك ثم قال له : لقد وضع عذر فتيان قريش في ان ينفقوا عليك اموالهم . وامنه ، ووصله ، وكتب الى عامله برد ماله عليه ، وان لا يعرض له بسوء^(١) .

عامة الناس والفناء

ورواية أخرى تشير الى نظر هؤلاء القداماء الى الفناء ، واثره في عامة الناس . زعموا ان جميلة المغنية ، رأت حليماً ، فازعجها وافزعها ، فدعت بالناس ، وجلست لهم مجلساً عاماً ، ثم ذكرت لهم حلمها ، واظهرت لهم فزعها ، ورعبها ، وخوفها من قرب اجلها ، وعزمها على ان تترك الفناء كراهة ان يلحقها منه شيء . عند ربها ، فقال قوم منهم : وفقك الله ، وثبت عزمك ، وقال آخرون : بل لا حرج عليك في الفناء . وكان هناك شيخ ، ذو سن وعلم وفقه وتجربة ، فقام وخطب خطبة ، ان لم تكن حقاً قد صدرت عن رجل في مناسبة مثل تلك ؛ فهي تمثل نظر هؤلاء الحجازيين الى الفناء ، او على الاقل ، تمثل نظر الرواة الى الفناء ، من حيث الأمر الذي كان يتركه في نفوس الحجازيين ، في ذلك الزمن ، وهي على كل حال ، تعطينا صورة ، لا بأس بها ، من رأي الرواة في الفناء ، ودرجة رقيه في هذه العصور العربية الاولى . قال :

« قال الشيخ : قد تكلمت الجماعة ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، ولم اعترض عليهم في قولهم ، ولا شركتهم في رأيهم ، فاستمعوا الآن لقولي ، وانصتوا ولا تشغبوا الى وقت انقضاء كلامي ، فن قبل قولي ، فالله موقعه ، ومن خالفني ، فلا بأس عليه ، اذ كنت في طاعة ربي . فسكت القوم جميعاً ، فتكلم الشيخ ، فحمد الله ، واثني عليه ، وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا معشر اهل الحجاز ، انكم متى تحاذلتم فشلت ، ووثب عليكم عدوكم ، وظفر بكم ، ولا تقلحوا بعدها ابداً ، انكم قد انقلبتم على اعقابكم لاهل

العراق وغيرهم ممن لا يزال ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم ، لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابدم ، بشهادة شريفكم ووضعكم ، يندب اليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم ، فاكثر ما يكون عند عابدم فيه جلوس عنه لا للتحريم لكن للزهد في الدنيا ، لأن الغناء من اكبر اللذات ، واسر للنفوس من جميع الشهوات ، يحبي القلب ، ويزيد في العقل ، ويسر النفس ، ويفسح في الرأي ، ويتيسر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويدل به الجبارون حتى يمتهنوا انفسهم عند استماعه ، ويرى المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد اهل الثروة غنى ، واهل الفقر قناعة ورضا باستماعه ، فيعزفون عن طلب الاموال . من تمسك به كان عالماً ، ومن فارقه كان جاهلاً ، لانه لا منزلة ارفع ولا شيء احسن منه ، فكيف يستصوب تركه ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربنا عز وجل . وكلام كثير غير هذا ذهب على المحدث ، قال : فما ردّ عليه احد ، ولا انكر ذلك منهم بشراً ، وكل عاد بالخطأ على نفسه واقرب بالفضل ، ثم قال لجميلة : اوعيت ما قلت ، ووقع من نفسك ما ذكرت ؟ قالت : اجل ! وانا استغفر الله ! قال لها : فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط ! فغنت :
 افي رسم دار دمعك المترقق سفاها وما استنطق ما ليس ينطق^(١)

فقال الشيخ : حسن والله ! امثل هذا ينزل فيه مشاهد الرجال ، لا والله ! لا ينزل هذا ولا كرامة لمن خالف الحق . ثم قام ، وقام الناس معه ، وقال : الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ، ولا جحود فضيلته ، وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة^(٢) .

هذا قليل من كثير ، مما شغل صفحات عديدة من كتاب الاغانى وغيره من كتب الادب والتاريخ ، فلقد اثر هذا الغناء كثيراً في نفوس فتيان العرب من اهل ذلك الجيل ، فغير من خلقهم ، ولطف من مزاجهم ، ورقق من طباعهم ، فعمدوا الى اللهو ، واخذوا باسبابه ، واستطاع المغنون والمغنيات من موالهم ، ان يحدثوا بعض التأثيرات في الغناء الاجنبى كما رأيت^(٣) ، بحيث يستسيغه الذوق العربي الجديد الذي اخذ يتطور بدوره مع التطورات التي مرت بها الامة العربية .

(١) الاصبهانى ١٤٣: ٧-١٤٣ (٢) الاصبهانى ١٠١: ١ وابن عبدربه ٣: ٤٦٦

الشعراء والغناء

ولقد كان الشعراء اولى الناس في ان يؤثر في حياتهم هذا الغناء ، والواقع كان كذلك ، فكان الشعراء اقرب الناس الى المغنين ، وكان كل من الفريقين محتاجاً الى صاحبه ، راغباً في التمتع بلذة فنه ، كل شاعر طروب ، وكل مغن يرغب في الرقيق من الشعر ، لقد كان شاعرنا ابن ابي ربيعة يسمع غناء جميلة كما سنرى ، فيضطرب حتى يكاد يسقط مغشياً عليه فيما يزعمون ، وكان الحرث بن خالد المخزومي الشاعر يقول ، كما اشرنا : لقد فهم قدر الدنيا من فهم قدر الغناء .

ووفد جرير على المدينة ، فانشده بعض مغنيتها غناء في بعض شعره ، فاعجب بذلك ، فقال له بعض اهل المجلس : فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء ؟ قال : وان له لواضعاً غير هذا ؟ فقالوا : نعم ! هو ابن سريج المكي ، فاخذ على نفسه الا يفارق الحجاز حتى يسمعه ، وسار يطلبه في مكة ، وسمعه ، فزاد اعجابه بالغناء ، وقال : « يا اهل مكة ، ماذا اعطيتم ! والله لو ان نازعاً تزع اليكم ، ليقم بين اظهركم ، فيسمع هذا صباح مساء ، لكان اعظم الناس حظاً ونصيماً ، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام ، وجوهكم الحسان ، ورقة الستكم ، وحسن شارتحكم ، وكثرة فوائدكم » ^(١) .

وكان المغنون يدركون قيمة الشعر الجميل فيلجئون على الشعراء في ان ينظموا لهم الاشعار ، وكان ابن سريج والغريض المغنيان الكبيران في العصر الاموي ، من اصحاب عمر ، وكانا كثيري الملازمة له كما سنرى ، فلا تكاد تقع له حادثة حب او واقعة غرام ، حتى ينظم فيها الشعر ، وما يكاد يفرغ من نظم هذه الاشعار ، حتى يلتقطاها ويضعا عليها الاحيان ، ويذيعاها في الناس ، فتنتشر في كل الاقطار العربية ، وما اجمال الشعر الرقيق ينشده المغني المطرب بلحن عذب جميل ، وقد قرن شعر عمر بلحن ابن سريج فكان فتنة قريش ، حتى قيل : اذا اعجزك ان تطرب القرشي فغنه بشعر ابن ابي ربيعة ولحن ابن

سريع ، فانك ترقصه ترقيصاً^(١) . وهكذا ، فقد كان ابن ابي ربيعة ورفاقه من شعراء الغزل ، من اهم العوامل التي ساعدت على تشجيع الغناء ، وتقديسه بالمنظومات الخاصة ، كما كان الغناء بدوره عاملاً على تنمية هذا الفن الجديد من الشعر .

الجهاز مرشد الغناء

والهم ان نعلم ان مهد هذا الغناء الجديد كان الجهاز لا الشام ، حتى ولا العراق^(٢) . وكانت المدينة اكثر مدن الجهاز حظاً منه ، حتى عرفت فيما بعد بالغناء ، كما عرف العراق بالشراب . روى ابن عبد ربه ان الزهري قال : « قال لي ابو يوسف القاضي ، ما اعجب احركم يا اهل المدينة في هذه الاغاني ، ما منكم شريف ولا دني يتحاشى عنها ، قال فغضبت ، وقلت : قاتلكم الله يا اهل العراق ، ما اوضح جهلكم ، وابتعد من السداد رأيكم ، متى رأيت احداً سمع الغناء ، فظهر منه ما يظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر ، فيترك احدهم صلاته ، ويطلق امرأته ، ويقذف المحصنة من جاراته ، ويكفر بربه ، فاين هذا من هذا ؟ »^(٣)

ويظهر ان هذا الامر ظل مشهوراً معروفاً ، وبلغ الاندلس ، فقال احد ادبائها في القرن الثالث :

ديننا في السماع دين مسديني (م) وفي شربنا الشراب عراقي (٤)

ولم يفت بعض طلاب اللهو ممن اتاحت لهم فرصة القدوم الى المدينة ، ان يطلبوا الاستمتاع بلذة سماع الغناء فيها ، وقد روي عن الفرزدق ، حين قدم المدينة ، انه نزل على الاحوص الشاعر ، فسأله هذا عما يشتهي ، فقال شواء وطلاء وغناء ، فاخذته الاحوص الى قينة وغنته^(٥) .

(١) الاصبهاني ١ : ١١٢ وابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٣٠ وفيه « اختلف الناس في الغناء فاجازه عامة اهل الجهاز وكرمه عامة اهل العراق »

(٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٢ (٤) جبور ١٧ (٥) الاصبهاني ٢ : ٤١

رقي الغناء

ويظهر ان الغناء قد بلغ في ذلك العصر من الرقي مبلغاً كبيراً ، ومن يطالع كتب « فارمر » و « ريبيرا » المستشرقين اللذين عنيا بدرس غناء العرب وموسيقاهم يستوثق مما نذهب اليه .^(١)

وفي الكتب العربية اخبار كثيرة تدل على ازدهار الغناء ، او كثرة الطلب على سماعه ، بحيث اتخذت له اندية خاصة ، فيها مغنون اخصاء ، وعُقدت له اجتماعات خاصة ، منها ما قصر على تكريم مغنٍ ، كما فعلت سكيكينة ، حينما وفد حنين على المدينة ، فدعته الى منزلها ، واذنت للناس اذنأ عاماً ، فلم يُرَ يوم كان اكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ^(٢) ، ومنها ما كان لغير ذلك . ولقد وصف ابو الفرج حفلة خاصة اقامتها جميلة لطائفة من مغتني الحجاز ، اشترك فيها جميعهم . فغنى كل واحد بدوره ، وقرظت كل واحد بدوره ، ثم دنا الغداء ، فاولت لهم ، واقتهم بالوان من الاطعمة وانواع من الفاكهة ، ثم ما زالوا يومهم ذلك باطيب مجلس واحسن حديث ، حتى جئهم الليل ، فدعت بالشراب ، ثم دعت لكل واحد منهم بعود ، واخذت هي عوداً ، فضربت ، ثم قالت : اضربوا ، فضربوا عليها بضرب واحد ، ثم غنت بشعر لامرئ القيس ، « فما سمع السامعون بشيء احسن من ذلك ، ثم قالت : تغنوا جميعاً بلحن واحد ! فغنوها هذا الشعر والصوت بعينه كما غنته ، وعلم القوم ما ارادت بهذا الشعر ، فقال ابن عائشة : جعلت فداك ، نرجو ان يدوم مجلسنا ، ويوثر اصحابنا المقام بالمدينة ، فنواسيهم من كل ما نملكه ، قال ابو عباد : وكيف بذلك ، ثم باتوا بانعم ليلة واحسنها . قال اسحق : قال ابي : قال لي يونس : قال ابو عباد : لا اعرف يوماً واحداً مذ عقلت ، ولا ليلة عند خليفة ولا غيره ، مثل ذلك اليوم ، ولا احسبه سيكون بعد ، قال يونس : ولا ادر كنا نحن مثل ذلك اليوم ولا بلغنا . قال اسحق : ولا انا ، ولا احسب ذلك اليوم يكون بعد^(٣) . »

(٢) الاصبهاني ٢ : ١٢٧

(١) راجع جبور ١٢-١٤

(٣) الاصبهاني ٧ : ١٢٨-١٢٩

جميلة وعفانها — المغنونة بلبسونه لباساً خاصاً

وكانت جميلة هذه تقيم بالمدينة حفلات الغناء لعبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة وصحبهم من الشعراء وطلاب اللهو^(١). وكانت في بعض الحفلات تتخذ لباساً خاصاً، وتلبس من كان عندها من المغنين مثل ذلك^(٢).

مدرستها

وكان عندها، فيما يروي أبو الفرج، مدرسة للغناء تعلم الجواري فيها، وعنهما أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيمة والشمسيتان خليدة وربيعه^(٣).

عزة الميلاء

وشيء يقرب من هذا بلغته عزة الميلاء في المدينة أيضاً، بحيث زعموا أنها قتلت رجالها ونساءها. ورووا أن أمير المدينة بعث رسولاً إليها يقول لها: ادعي الغناء، فقد ضحك أهل المدينة منك، وذكروا أنك قتلت رجالهم ونساءهم! غير أن ابن جعفر وابن أبي عتيق كانا حاضرين معها، فارجعا الرسول ورداه إلى أميره خائباً، وقالوا لها: لا يهولنك ما سمعت وهاتي فقتينا^(٤).

المغنونة كأنه على رؤوسهم الطير

وروا أنها كانت إذا جلست جالوساً عاماً، فكان الطير على رؤوس أهل مجالسها، من تكلم أو تحرك نقر رأسه^(٥).

أبهم ينشد الغناء

وكان الغناء أكثر ما ينشد في مثل هذه الحفلات التي ذكرنا، وفي الولائم، وفي الأعراس، وفي حفلات الحتان، وحلقات اللهو، والمتنزهات كوادي العقيق وغيره، كما وأن المغنين كانوا يطربون الحجاج على طريق مكة، وفي مكة نفسها أيام الحج.

(١) الاصبهاني: ٧: ١٢٩-١٣٥ و ١٤٥-١٤٦ (٢) الاصبهاني: ٧: ١٤٣-١٤٤

(٤) « ١٦: ١٩-٢٠

(٣) « ٧: ١٢٤

(٥) « ١٦: ١٤

روت امرأة قالت : سمعت ابن سريج على اخشب منى غداة النفر يغني :

جددي الوصل يا قريب وجودي لمحبة فراقه قد الما

ليس بين الحياة والموت الا ان يردوا جمالم فترما

قالت : فما تشاء ان تسمع من خباء ولا مضرب حنيناً ولا انيناً الا سمعته^(١).

بل روى الرواة انه كان ، في اطراف مكة ، دار ياتيها ابن سريج والغريض المغنيان ، في كل جمعة ، ويجتمع لها ناس كثير ، فيوضع لكل واحد منهما كرسي يجلس عليه ، ثم يتناقضان الغناء ، ويترادانه^(٢) . وكان لبعضهم دار بقعيقعان بمكة يجتمع فيها مغنو البلدة^(٣) . وقد انتشر في الحجاز كما راينا ثم صار يصدر منها الى سائر الاقطار الاسلامية .

الخلفاء والغناء

ولم يفت بعض الخلفاء الامويين المتقدمين ، ان يستمعوا الى هذا الغناء ، سواء اكان ذلك في الشام او في الحجاز ، والرواة يذكرون ، انه لما قدم عبد الله ابن جعفر وافداً على معاوية ، اتزله في داره ، فسمعت امرأة معاوية فاختة غناء عند ابن جعفر ، فشكت ذلك الى معاوية ، فجاء ، وحضر وسمع شيئاً حركه واطربه ، وقال : والله اني لاسمع شيئاً تكاد الجبال تخر له ، وما اظنه الا من تلقية الجن^(٤) . وهم يذكرون ايضاً ان معاوية استمع على يزيد ذات ليلة ، فسمع عنده غناء اعجبه ، فلما اصبح ، قال : من كان مالميك البسارحة ؟ قال : سائب خاتر ! قال : فاكثر له من العطاء^(٥) . وتروى عن معاوية قصص اخرى عن استماعه الغناء وطربه له^(٦) .

اما يزيد ابنه ، فكان اكثر حظاً منه في هذا السبيل ، وكذلك قل عن عبد الملك بن مروان . واذا تعديتهما الى بعض الخلفاء المتأخرين ، الفيت اقبالا على الغناء ، وتشجيعاً للمغنين . حتى سليمان بن عبد الملك فانه روي عنه انه حينما حج سبق بين المغنين ببدره^(٧) . وكان البعض كيزيد بن عبد الملك ، والوليد ابنه ،

(١) الاصبهاني ١١٥ : ١ (٢) الاصبهاني ١٠٨ : ١ (٣) الاصبهاني ١ : ٢٨

(٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٧ (٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢٥٤

(٦) « « ٣ : ٢٢٧ (٧) الاصبهاني ١ : ١٢٦

يستحضرون المغنين من الحجاز ، ويغدقون عليهم العطايا^(١) . وقد تقدم ذكر شي . من شأن حباة المغنية ورفيقتها سلامه مع يزيد بن عبد الملك ، واما الوليد فقد روى عنه انه ارسل الى المدينة فحملوا له المغنين^(٢) . وله قصص مع بعضهم تشير الى انه فاق اياه في الاندفاع في هذا السبيل^(٣) .

وقد روى الجاحظ خبراً يفيد - ان صح - ان اكثر خلفاء بني امية اتخذوا المغنين ، وشجعوا الغناء ، وسنقله بحرفه قال :

« قلت لاسحاق بن ابراهيم : هل كانت الخلفاء من بني امية تظهر للندماء والمغنين ؟ قال : اما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليان وهشام ومروان بن محمد ، فكان بينهم وبين الندماء ستارة ، وكان لا يظهر احد من الندماء على ما يفعله الخليفة ، اذا طرب للمغني والتدء ، حتى ينقلب ويشي ويحرك كتفيه ويرقص ويتجرد حيث لا يراه الا خواص جواريه ، الا انه كان اذا ارتفع من خلف الستارة صوت ، او نغير طرب ، او رقص ، او حركة بغير تجاوز المقدار ، قال صاحب الستارة : حسبك يا جارية ! كفي ! انتهي ! اقصري ! يوم الندماء ان الفاعل لذلك بعض الجواري . »

« فاما الباقيون من خلفاء بني امية ، فلم يكونوا يتحاشون ان يرقصوا ، ويتجردوا ، ويحضرُوا عراً بحضرة الندماء والمغنين . وعلى ذلك لم يكن احد منهم ، في مثل حال يزيد بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، في المجون والرفث بحضرة الندماء والتجرد ما يباليان ما صنعا . »

« قلت : فعمربن عبد العزيز ؟ قال : ما طن في سمعه حرف غناء منذ افضت الخلافة اليه ، الى ان فارق الدنيا ، فاما قبلها وهو امير المدينة ، فكان يسمع الغناء ، ولا يظهر منه الا الامر الجليل ، وكان ربما صفق بيديه ، وربما تمرغ على فراشه وضرب برجليه وطرب ، فاما ان يخرج عن مقدار السرور الى السخف فلا . »^(٤)

(١) الاصبهاني ٣: ٦٨ وابن عبد ربه ٣: ٢٥٢ والاصبهاني ٦: ١١٥ و ١٢٢

(٢) الاصبهاني ٢: ٧٢

(٣) ابن عبد ربه ٢: ٢٤٢

(٤) الجاحظ (ت) ٢٢

ومها يكن من امر رواية الجاحظ هذه ، فليس من شك في ان بعض خلفاء بني امية ، قد شجعوا الغناء ، وساعدوا على ازدهاره في دمشق آخر القرن الاول ، غير ان الحجاز ظلت طيلة القرن الاول اعظم موطن للغناء وافصح ميدان للمغنين .

المنافسة بين المغنين

وكثر المقبولون على السماع في حواضر الحجاز ، فاخذت المنافسة تلعب دورها بين المغنين ، حتى روي ان ابن صفوان سبق بمكة بين المغنين جائزة^(١) . وان سكيمة اقامت للمغنين حفلة عامة ، اذنت فيها للناس اذنأ عاماً ، وكان في بيتها من المغنين يومئذ ابن سريج والفريض ومعبد وحنين الحيري^(٢) . وان جميلة المغنية اضافت نخبة من اشهر مغني ذلك العصر ، فعقدت لهم حفلة تباروا فيه ، وكانت ليلة زعموا انه لم يرَ انعم او احسن منها^(٣) .

ثم تناولت بعض مدن الحجاز ، وظهرت الخصومة الموسيقية بين اشهر مدينتين - مكة والمدينة - فضع معبد (مغني المدينة) الحانا سبعة ، تاه بها وفضلها على المداين التي افتتحها قتيلة في حروبه في بلاد الفرس . فلحقته المكين غيرة شديدة ، واجتمعوا وعرضوا الحان مغنيهم ، فاختاروا من غناء ابن سريج سبعة ، اكثر اشعارها لابن ابي ربيعة صاحبنا ، فجعلوها ازاء سبعة معبد ، ثم خairoا اهل المدينة فانتصفوا منهم^(٤) .

الشراب

مظهر من

ولقد سار مع هذا الغناء ، ضرب آخر من اللهو ، هو الشراب ، ويظهر ان بعض الشباب في ذلك العصر ، كانوا يجمعون بين هذين الضربين من اللهو ، فيسمعون ويشربون ، او يشربون ويسمعون ، غير ان امر هذا الشراب يختلف

(٢) الاصبهانى ١٢٧:٢

(٤) الاصبهانى ١٤٣:٨ و ٩١

(١) الاصبهانى ٢١:١

(٣) « ١٢٦:٧

عن الغناء ، فالغناء بشكله الجديد امر حديث كما رايت ، لم يكن في القدم لشباب العرب منه حظ كبير ، امر تعرفوا اليه بعد الفتوحات ، فاحبوه ، واخذ يتسرب الى بلادهم عن طريق هؤلاء الغرباء من فرس وروم وغيرهم ، واخذ ينشره بينهم هؤلاء الارقاء والموالي من رجال ونساء صاروا يحكم الفتوح والدين عنصرًا هامًا في هذه الدولة الجديدة ، اما الشراب فقد الفه بعض شباب العرب قبل الاسلام ، بل قد عرفه رجال الاسلام الاول ، وسكر به الكثيرون منهم ، قبل ان ينهى الاسلام عن تعاطيه^(١) .

الاسلام ينهى عن الخمر

وفرق آخر بين الاثنين ، هو أن الشراب قد منعه الدين الجديد ، وكان المنع فيما يظهر تدريجيًا ، ذلك انا نرى في القرآن آيات معدودات ، فيها اشارات صريحة الى امر المسكر ، جاءت اولها في سورة النحل ، وهي مكية ، تنص على طيب ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب . « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون »^(٢)

ووقعت الثانية في سورة البقرة ، وهي مدنية ، مشيرة الى ان في الخمر اثماً ونفعاً ، ولكن اثمها اكثر من نفعها ، « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس واثمهما اكبرُ من نفعهما »^(٣) .

ووردت الثالثة في سورة النساء ، وهي مدنية ، تنهى عن ان يقرب المؤمنون الصلاة ، وهم سكارى . « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »^(٤) . . .

وهناك آيتان متابعتان في سورة المائدة ، وهي ايضا مدنية ، فيهما نص صريح بمنع الخمر . « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأثصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » * « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم المداواة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن

(٢) القرآن - النحل - ٦٩

(١) البيضاوي (١٠: ٢١)

(٤) - النساء - ٤٦

(٣) القرآن - البقرة - ٢١٦

ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون...»^{١)}
ويظهر — كما أشرنا — أن هذه الآيات ، قد نزلت على الترتيب الذي
أوردناه ، فقد قال البيضاوي في تفسير « يسألونك عن الخمر والميسر » ما نصه :
« روي أنه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكراً ، فآخذ المسلمون يشربونها ، ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة قالوا :
افتننا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل ، فنزلت هذه الآية ، فشربها قوم
وتركها آخرون ، ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم ، فشربوا وسكروا ،
فأمّ أحدهم ، فقرأ : قل يا أيها الكافرون اعبدوا ما تعبدون ، فنزلت لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، فقل من يشربها ، ثم دعا عتبان
بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد
سعد شعراً فيه هجاء الانصار ، فضربه انصاري بلحي بغير فشجه ، فشكا الى
رسول الله صلعم ، فقال عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ! فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله : فهل أنتم منتهون ، فقال عمر : انتبهينا يا رب .»^{٢)}

الغناء من اللهو المباح

أما الغناء فهو من اللهو المباح ، إذ ليس في القرآن كله فيما أعلم ، نص
بتحريمه ، أو بعدم جواز الاستماع اليه ، ويصعب أن نعلم هل ورد في الحديث
ما يشير الى تحريمه ، بل يصعب أن نطمئن الى مثل هذا الحديث أن وجد ،
لأننا نرى فيما روي عن النبي ما ينفي ذلك . وقد احتج من إباح الغناء واستحسنه ،
بما روي عن النبي في هذا السبيل . روى ابن عبد ربه أن من المسلمين من
احتج في إباحة الغناء واستحسنه ببعض ما روي عن النبي قال : « قال لعائشة :
أهديتم الفتاة الى بعلها ؟ قالت : نعم ! قال : فبعثتم معها من يغني ؟ قالت : لا !
قال : أو ما علمت أن الانصار قوم يعجبهم النزل ؟ إلا بعثتم معها من يقول :
اتيناكم اتيناكم فحيونا نخيكم

(١) القرآن - المائدة - ٩٣ و ٩٤

(٢) البيضاوي ١ : ١١٥ وراجع الطبري (ج) ٢ : ٢٠٠ - ٢٠٤

ولولا الحبة السمراء لم نخلل بواديكم

واحتجوا بحديث عبد الله بن اويس ابن عم مالك، وكان من افضل رجال الزهري، قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع وهي تغني: هل عليّ ويحكم ان لهوت من حرج

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حرج ان شاء الله! ^(١)

وروى البخاري باسناد عن عائشة «ان ابا بكر، دخل عليها، والنبي صلى الله عليه وسلم عندها يوم فطر او اضحى، وعندها قيتان تغنيان با تقاذفت الانصار يوم بُعث، فقال ابو بكر: مزار الشيطان - مرتين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعهما يا ابا بكر، ان لكل قوم عيداً وان عيدنا هذا اليوم.» ^(٢)

وهكذا فان الكثيرين من اهل ذلك الجيل، لم يروا بأساً في سماع الغناء، ولم يلفوا فيه ما يخالف سيرة المتقدمين من رجال الاسلام، فصار الشائع والمعروف عند اهل هذا الجيل الذي ندرس، لا سيما الحجازيين، انه لا بأس على السامع، ولا بأس على الملحن، ولا بأس على المغني ^(٣). وقد استمع الى الغناء كثير من الفقهاء والائمة الاول، ولم يروا في ذلك بأساً. ^(٤)

روى ابن عبد ربه ان ابن جريج سئل عن الغناء، فقال: لا بأس به، شهدت عطاء ابن ابي رباح في ختان ولده، وعنده ابن سريج المغني، فكان اذا غنى لم يقل له اسكت، واذا سكت لم يقل له غن، واذا لحن ردّ عليه. ^(٥)

وروى ان عبد الله بن عمر دخل على عبد الله بن جعفر، وكان يحبه، وعنده جارية تغنيه، ومعها عود، فقال له ابن عمر: ما هذا؟ قال: وما تظن به يا

(١) ابن عبد ربه ٣: ٢٢١

(٢) البخاري ٥: ٢٤٧ وراجع ايضاً البخاري ٣: ٢٠٩

(٣) ابن عبد ربه ٣: ٢٢٠-٢٣٥

(٤) الاصبهاني ٨: ١٠ وابن عبد ربه ٣: ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٢٥

(٥) ابن عبد ربه ٣: ٢٢٢

ابا عبد الرحمن ، فان اصاب ظنك ، فلك الجارية ، قال : ما اراني الا قد اخذتها ،
هذا ميزان رومي ! فضحك ابن جعفر ، وقال : صدقت ، هذا ميزان يوزن به
الكلام ، والجارية لك ، ثم قال : هات ! فغنت :

اياشوقاً الى البلد الامين وحي بين زمزم والحجون

ثم قال له : هل ترى بأساً ؟ قال : هل غير هذا ؟ قال : لا ! قال : فما ارى بهذا
بأساً .^{١١}

غورد الى الشراب

إذا فالشراب يختلف عن الغناء . وفي تعاطيه خروج على الدين الجديد .
وقد شربه الكثيرون من شباب ذلك العصر ، وخرجوا على الدين .

السباب بين امرئيه

والحق ان كثيراً من شبان هذا الجيل الجديد ، قد وقعوا بين امرئين مهمين
متناقضين ، وكان موقفهم للتخلص منهما دقيقاً جداً . هنا الاسلام ، هذا الدين
الجديد ، بما فيه من شرائع وحدود يقيد بها اتباعه الذين لم يألفوا ان يتقيدوا
بمثلها ، وهناك حالة تعددت فيها العناصر ، منها ميل الى الرجعة ، الى الحياة القديمة
التي ابطل بعضها الاسلام ، من عادات واخلاق ومراسيم ، ومنها التأثر بما صاروا
اليه ، والاخذ مما حمله هذا الفتح من امور غريبة ، والتعلق بأسباب جديدة
للمعيشة ، تلذ لمثلهم ، رأوها عند الامم التي احتكوا فيها ، والرقيق الذي غنموه
واستعبدوه ، ومنها ايضاً كثرة هذا المال بين ايديهم ، وازدياد هذا الفنى الذي
افاءه الله عليهم ، بعد فتحهم البلدان المختلفة ، والمال يدفع في اكثر الاحايين
الى الترف واللهو .

فانت ترى ان هذا النزاع لم يكن نزاعاً بين القديم والحديث فحسب ،
ولم يكن نزاعاً بين عاملين مستقلين ، بل كان نزاعاً تعددت فيه العوامل ،
ولعلنا ، اذا حاولنا تحديده بكلمة وجيزة على وجه الاجمال ، لا نخطئ اذا

قلنا ، هو نزاع بين الاسلام كما فهموه ، وبين الخروج عنه كـ ولم يكن طبيعياً لهذه الطبقة من الناس ان يرتدوا عن هذا الدين الجديد ، وهو الدين الذي اعزهم ، وهو الدين الذي تدين به حكومتهم وخالقتهم ، وهو الدين الذي جاهد بعضهم في سبيل نصرته ، وهو الدين الذي رفع مركزهم في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، واعلى شأنهم في الاولى وفي الآخرة ، ولم يكن من الطبيعي بالوقت نفسه ، ان ينقطعوا كل الانقطاع عن كل قديمهم وعاداتهم التي افوها قبل الاسلام ، او الفها اباؤهم ، او ان لا تؤثر فيهم هذه العوامل الجديدة التي طرأت على الحياة العربية بعد هذا الفتح . اتريد ان يكون هذا الامتزاج العظيم ، بين العرب وغيرهم من الامم التي فتحوا ارضها وسبوا من نساءها واسترقوا من رجالها وتسروا من قتياتها ، اتريد ان يكون هذا الامتزاج ، وهذا الرخاء والسعة ، وهذه الحياة الجديدة بالوانها المختلفة ، ولا يكون لها اثر كبير في خلق العربي وطبعه وحياته ؟ واذاً ! فما الذي يفعله ابناء هذا الجيل ؟ واي حياة يحيون ؟ هم لا يريدون ان يتكروا الاسلام ، وهم لا يستطيعون بالوقت نفسه ان يعتزلوا هذه الحياة الجديدة . واذاً فليكونوا مسلمين ، وليأخذوا من هذه الحياة الجديدة ما استطاعوا ان يأخذوا ! فليقيموا هذه الفروض التي فرضها الاسلام عليهم ، وليخرجوا عن بعض تعاليمها متى فرغوا من اقامتها ! وان لم يستطيعوا ان يجمعوا بين هذه المتناقضات ، فليقيموا من هذه الفرائض ما تيسر ، وليحيوا هذه الحياة الجديدة الطيبة ، وليعيشوا هذا العيش الجديد الرغد . والواقع ان النزاع بين هذين العاملين ، كان في اكثر الاحيان سجالاً ، يوم لهذا ويوم لذاك ، او ان شئت فقل كان النصر فيه لكلا الطرفين . فالدولة مسلمة ، والحياة في كثير من اقسامها خروج عن مبادئ الاسلام . وهذا النفر من الشباب الارستقراطي مسلم ، وحياة الكثيرين من افراده لا يقرها الاسلام . هم يحبون ، ولكنهم بعد حجتهم يلهون . وهم يصلون ، ولكنهم بعد صلاتهم يعبثون . وهم يصومون ، غير انهم بعد صومهم يشربون ويطربون . وهكذا فقد كان الكثيرون منهم مسلمين بالاسم ، وخارجين على الاسلام بالفعل .

الخلفاء الأول والشرب

ولقد سعى الخلفاء الأول في قمع هذه الروح ، ووقفوا بعض التوفيق لا كله . فقد ذكر لنا الرواة انه على كل ما اتخذ الخلفاء من الحيلة لقهر هذه الروح ، كان كثير من الشبان يمتحنون الى ما منعه الاسلام . وما قواك في ان يشرب الخمرة ، في عهد عمر بن الخطاب نفسه ، ابناؤه عبد الرحمن وعاصم وعبيد الله ، وقد حدوا في شربها^(١) ، وان يشربها الصحابي قدامة بن مظعون ، فيجده عمر نفسه^(٢) ، والصحابي نعمان بن عدي^(٣) ، وكان عامل عمر على البصرة ، فيسوء عمله هذا عمر ويعزله عنها ؟ زعموا انه قال في شربه :

من مبلغ الحسنة ان خليلها
بيسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غتني دهاقين قرية
وصناجة تجذو على كل منم
لمل امير المؤمنين يسوءه
تنادمنا بالجوسق التهدم

فلما بلغت ابياته هذه عمر ، قال : اي والله ، انه ليسوئي ذلك ، وعزله^(٤) .
وشربها ايضاً الاسود بن عوف ، اخو عبد الرحمن بن عوف ، فوجده عمر بمكة شارباً ، فامر به ، فيجلده الحد^(٥) .

بل قد روي عن صحابي ، اسمه نعيان ، كان ممن شهد بدرآ ، انه كان يشرب حتى في زمن النبي ، وان النبي جلده في الخمر اربع مرات^(٦) .
وكذلك شرب الخمرة في عهد عثمان بن عفان ، اخوه لأمه وعامله على الكوفة الوليد بن عقبة ، فشهد عليه اهل الكوفة انه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات ، وهو سكران ، ثم التفت اليهم فقال : ان شئتم زدتكم ا فجلده علي ابن ابي طالب بين يدي عثمان^(٧) . وقد زعم البعض انه تقياً في المحراب ، وهو يصلي بالقوم سكران ، وقرأ بهم ، وهو رافع صوته :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

(٢) ابن عبد ربه ٤٠٧: ٣

(١) ابن عبد ربه ٤٠٧: ٣

(٣) في النويري ١٢٥: ٤ النعمان بن علي بن فضلة

(٤) البلاذري ٢٨٥: ١ وابن هشام ٢٠٥ وابن عبد ربه ٤١٦: ٣

(٥) ابن قتيبة (م) ١٢١ (٦) ابن قتيبة (م) ١٦٨

(٧) ابن عبد ربه ٤٠٦: ٣ وراجع الاصبهاني ١١: ١ وابن عبد ربه ٢٧٣: ٢

a good
man.

وكان هناك محقق فظن ان هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ^(١) . وهو القائل :

اي ساع سعى ليقطع شرني حين لاحت للصايح الجوزاء
واستظل العصفور كرها مع الضب واوفى في عوده الحرياء
وقد رروا انه لما تولى الكوفة بعده سعيد بن العاص ، امر بعض الناس
من اهلها بغسل منبرها وتطهيره من رجاسة الوليد بن عقبة ونجاسته ^(٢) . وكان
الوليد بن عقبة نديم يشرب معه الخمر احيانا ، هو الوليد بن عثمان بن عفان ،
ابن الخليفة الذي قتل مكباً على القرآن ، ورووا انه كان يصاب بالخمار ، حتى
خيف عليه ، وشقت عليه النساء الجيوب ^(٣) . وشيئ مثل هذا قد روي ايضاً عن
عبد الرحمن بن سيجان ، وانه كان ينادم ابن عثمان هذا وابن عقبة ^(٤) . وقد حدّ
مروان ابن سيجان ، فبعث معاوية يوجّهه ، لان ابن سيجان كان حلفه ^(٥) .

وروي ان ابن سيجان دخل على ابن عم له يقال له الحارث بن سريع ،
فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر ، وقال له :
« يا ابن سريع ! ان كنت تشربه على ان نبيذ الزبيب حلال ، فانك احمق ،
وان كنت تشربه على انه حرام ، تستغفر الله منه ، وتنوي التوبة ، فاشرب
اجوده ! فان الوزر واحد » ^(٦) . وابن سيجان هو القائل :

انا لنشرجا حتى نغيل بنا كما غايل وستان بوسنان ^(٧)

وكان في المدينة شاعر ، هو السري بن عبد الرحمن ، عرف بالشرب ،
وكان شراكؤه في الشراب وندماؤه فيه جماعة ذكرهم في شعره ، قال :

اذا انت نادمت العتير وذا الندى جبيراً ونازعت الزجاجاة خالدا
امنت باذن الله ان تفرع العصا وان ينبهوا من نومة السكر راقدا ^(٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه في باب خاص افردته في عقده لمن حدّ من الاشراف
في الخمر وشهر بها ، فيقول في بعض حديثه : ومن شهر بالشراب ، عبد الرحمن

(٢) الاصبهاني ١٨٦: ٤

(٤) « ٨٠: ٢ و ٨١

(٦) « ٨٦: ٢

(٨) « ٦٧: ١٨

(١) الاصبهاني ١٧٨: ٤ و ١٨٠

(٣) الاصبهاني ٨٠: ٢

(٥) « ٨٤: ٢ و ٨٧

(٧) « ٨٧: ٢

ابن عبد الله الثقفي القاضي بالكوفة ، ومنهم ابو محجن الثقفي ، وكان مغرمًا بالشراب ، حدثه سعد بن ابي وقاص في الخمر مراراً ، وشهد القادسية مع سعد وابلى فيها بلاءً حسناً ، وهو القائل :

اذا مت فادفني الى ظل كريمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفلاة فاني اخاف اذا مات ان لا اذوقها (١)

هذا ، واكثر هؤلاء لهم صلة ببعض الخلفاء الراشدين ، الذين لم يعرف عنهم انهم ذاقوا الخمرة بعد نهي القرآن عنها ، وقد عاشوا في عهد كان اقرب اليهود الى النبي وعصر الصحابة الاول ، واكثر اليهود تمسكاً بشرائع الاسلام ، فكيف اذا اعتبرنا الامر في خلافة بني امية ، وقد انتقلت الخلافة الى الشام ، وترك الحجاز يسوسه امير منهم ، او عامل لهم ، واكثرهم من تعرف ، ممن لم يتقيدوا بشرائع الاسلام ، لاسيما فيما يتعلق بالخمر والسكر . ولعلك لاحظت كيف ان معاوية عاتب مروان بن الحكم لحدثه ابن سيحان^(٢) . وزعموا ان عمرو بن سعيد اشار على ابيه عندما كان والياً لمعاوية على المدينة ، ان يضرب ابن سيحان منتي سوط ، فلم يفعل خوفاً من معاوية^(٣) .

خلفاء بني امية والشراب

ولقد شجع الخلفاء انفسهم الناس على هذا بشربهم ، فقد روى الجاحظ في اخبار من سكر منهم قال :

« وكان من ملوك الاسلام من يدمن على شربه ، يزيد بن معاوية ، وكان لا يسي الا سكران ولا يصبح الا مغموراً ، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة ، حتى لا يعقل أفي السماء هو او في الماء ، ويقول : انما أقصد في هذا الى اشراق العقل ، وتقوية منة الحفظ ، وتصفية موضع الفكر . غير انه كان اذا بلغ آخر هذا السكر ، افرغ ما كان في بدنه ، حتى لا يبقى في اعضائه منه شيء ، فيصبح خفيف البدن ، ذكي العقل والذهن ، نشيط النفس ،

قوي المنة . وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويسدع يوماً . وكان سليمان ابن عبد الملك يشرب في كل ثلاث ليال ليلة . ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ افضت اليه الخلافة الى ان فارق الدنيا ، ولا سمع غناء . وكان هشام يسكر في كل جمعة . وكان يزيد بن الوليد ، والوليد بن يزيد ، يدمنان اللهو والشرب . فاما يزيد بن الوليد ، فكان دهره بين حالين ، بين سكر وخمار ، ولا يوجد ابداً الا ومعه احدى هاتين . وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت .^(١)

ولم يتفرد الجاحظ في ذكر مثل هذه الامور عن بعض خلفاء بني امية ، بل جاره كثير من المؤرخين والادباء . القدماء فقد روى ابو الفرج الاصبهاني اخباراً كثيرة عن خلفاء بني امية ، وسكرهم ، وهو سبط واحد منهم ، وحاول ان يدافع عن بعضهم بشكل اشار فيه الى ان البعض الآخر قد شرب وسكر ، فقد اورد رواية فيها ان هشام بن عبد الملك ، دعا حمّاداً واستنشده شعراً ، ثم امر الجارية ان تسقيه خمرًا ، فسقته ثلاثاً ، غير انه علق عليها بقوله : « وهذا لفظ حمّاد عن ابيه ، ولم يقل احمد بن عبيد انه سقاه شيئاً ، ثم يقول : وهذا هو الصحيح لان هشاماً لم يكن يشرب ، ولا يسقي احداً بحضرته مسكراً ، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه .^(٢) » غير ان ابا الفرج نفسه لم يدافع عن امرأة هشام ام حكيم ، بل حدثنا انها كانت منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقه ، قال : « وكاسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس ، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن .^(٣) » ولعلنا بغنى عن سرد الروايات التي في الاغاني عن شرب اكثر الخلفاء الذين ذكرهم الجاحظ للمسكر .

كذلك ذكر ابن عبد ربه بعض من شرب المسكر من خلفاء بني امية ، قال : « ومنهم عبد الملك بن مروان ، وكان يسمى حمامة المسجد لاجتهاده في العبادة قبل الخلافة ، فلما افضت اليه الخلافة ، شرب الطلا ، وقال له سعيد بن المسيب : بلغني يا امير المؤمنين انك شربت بعدي الطلا ، فقال : اي والله ا

وقلت النفس»^(١)

وقال ايضاً: ومنهم الوليد بن يزيد^(٢)، ذهب به الشراب كل مذهب، حتى خلع وقتل^(٣). ومنهم يزيد بن معاوية، وكان يقال له يزيد الخمور^(٤). وقد ذكر النويري اكثر اخبار هؤلاء الذين ذكرنا فلتراجع فيه^(٥).

بعض الاسراف والشراب

وكان غير هؤلاء نفر من رجال الدولة وعملها يشربون، كحارثة بن زيد، وكان مقدماً عند زياد بن ابيه، قليل له: ان هذا قد غلب عليك، وهو رجل مستهتر بالشراب، فما سمع لهم^(٦)، وعبد العزيز بن مروان^(٧)، وقد حده في الشراب عمرو الاشدق^(٨)، وامية بن عبد الله بن اسيد^(٩)، وعبد الله بن عروة ابن الزبير^(١٠)، وكثيرين آخرين^(١١).

وقد رووا ان الاقشير أخرجه الحارث بن ابي ربيعة، لحرب اهل الشام، وكان ماجناً سكيراً، فركب حماره، وانسل بين الناس، وأفلت من الجند ومال الى خمار، فباع حماره، وشرب به خمرًا^(١٢).

وروي ان الفرزدق وفد على ابن شبرمة، فقال: اسقوني: فقالوا له: وما تريد ان نسقيك؟ فقال: اقربها الى الثمانين. يعني حد الخمر^(١٣).

وليس هنا موضع ذكر اختلاف الناس فيما هو المحرم من المشروب، واجتهاد البعض في مسألة ان شرب النبيذ ليس بجرام، انما يهيننا ان نقول انه ربما كان هناك في ذلك العصر من شرب النبيذ على انه غير محرم، وفي

(١) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٨

(٢) في الاصل يزيد بن الوليد وهو خطأ فيا نرى. راجع ابن عبد ربه ٣: ٢٤٢ و ٢٤٣

(٣) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٨ و ٤٠٠ ٢٤٤ و

(٤) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٦ ٢٥ النويري ٥: ١١٢-١٢٦

(٦) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٣ و ٤٠٢

(٨) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٧ ٩ « « ٣: ٤٠٢

(١٠) النويري ٥: ١١٢ (١١) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٠ و ٤١٥

(١٢) الاصمعي ١٠: ٩٦ (١٣) « « ٣: ٤٠٠

رسالة الامام عمر بن عبد العزيز الى الامصار في امر الانبذة، ما يشير الى شيء من هذا الاختلاف في الامر، ويظهر وجهة نظر الامام عمر نفسه الى الانبذة والخمر، ويدل على شيوعهما زمنئذ. «اما بعد، فان الناس كان منهم في هذا الشراب المحرم امر ساءت فيه رغبة كثير منهم، حتى سفه احلامهم، واذهب عقولهم، فاستحل به الدم الحرام، وفرج الحرائر، وان رجلاً منهم ممن يصيب ذلك الشراب يقولون شربنا طلاء، فلا بأس علينا في شربه، ولعمري، ان فيما قرأت مما حرم الله بأساً، وان في الاشربة التي احل الله من العسل والسويق، والنبذ من الزبيب والتمر، لمندوحة عن الاشربة الحرام، غير ان كل ما كان من نبذ العسل والتمر والزبيب، فلا ينبذ الا في اسقية الادم، التي لا زفت فيها، ولا يشرب منها ما يسكر»...^(١)

ومها يكن من الامر كله، فالذي لا شك فيه، ان كثيرين من شباب العرب في ذلك العصر، شربوا الخمرة المحرمة، وكثيرين شربوا انواعاً من النبيذ، مما اختلف في تحريمه. وكان لهذه الخمرة اثر في حياتهم الاجتماعية وادبهم. ولم يقتصر امر هذه الخمرة على قطر، كما لاحظت، ولا على فئة خاصة من الناس، فقد تناول نصيبهم منها اهل العراق واهل الشام واهل الحجاز. ولعل شيوعها كان من العوامل التي شجعت رجلاً مثل الاخطل الشاعر النصراني ان يدخل على الخليفة عبد الملك بن مروان، فيما يذكر، ولحيته تنفض خمرًا^(٢)، بل قد روى الرواة ان الاخطل تجرأ مرة، فسأل الخليفة ان يسقيه خمرًا، ولما ابى عليه الخليفة ذاك، خرج من عنده فلقى من يسقيه^(٣).

أثرها في الادب

وكان لهذه الخمرة اثر في ادبهم، اودّ لو يسعى احد الادباء في درسه، ومقابلته بنجريات العصر العباسي الاول. ولا بد لي هنا من ذكر بعض الابيات من شعر عبد الرحمن بن اربطة بن سكين، وقد كان معاصرًا لمعاوية، ليدرك القارئ وجه المشابهة بينه وبين ابي نواس.

(١) ابن عبد ربه ٣: ٤١١ (٢) الاصبهاني ٧: ١٧٦-١٧٩ (٣) الاصبهاني ٧: ١٧٥

قال عبد الرحمن بن سيجان في حادثته مع ابن عمه التي ذكرنا: ^{١)}

دع ابن سريع شرب ما مات مرة
تدلك على ملك ابن ساسان قادراً
فستان بين الحى والميت فاعترم
فان سريعاً كان اوصى بجهها
ويا رب يوم قد شهدت بني ابي
حسوها صلاة العصر والشمس حية
فاتوا وعاشوا والمدامة بينهم

ولعبد الرحمن ايضاً :

اصبح نديك من صباه صافية
واشرب هديت ابا وهب مجاهرة
حتى يروح كريماً ناعم البال
واختل فانك من قوم اولي خال

وله ايضاً ، وقد حاولوا ان يجدوه فيها :

لا تدميني ندياً ماجداً افقاً
اغز راووقه ملان صافية
تنفي القذى عن جبين غير خزيان
سبيته من قرى بيروت صافية
لا للشربها حتى تغيل بنا
كما تسيل وسنان بوسنان

وله من ابيات قالها في الوليد بن عتبة ، وكان ينادمه :

بات الوليد بباطني مشعشة
لا استطع فحوضاً ان عمت به
حتى اذا الصبح لاح لي جوانبه
كانتي من حمياً كاسه جمل
حتى هويت صريعاً بين اصحابي
وما اخنه من حسو وشراب
وليت اسحب نحو القوم اثوابي
صحت قوائمه من بعد اوصاب ^{٢)}

هذا ، وقد كان عبد الرحمن معاصراً لمعاوية وابنه ، فكيف اذا اعتبرت الامر آخر العصر الاموي . ولعل الوليد بن يزيد اولى شعراء الحمرة في هذه الحقبة بالذکر هنا ، وهو القائل :

اصدع نجي الصوم بالطرب
واستقبل العيش في غضارته
من قهوة زانها تقادها
اشهى الى الشرب يوم جلوسها
وانعم على الدهر بانبث الغنم
لا تقف منه اكار مقتب
فهي عجوز تملو على الخقب
من الفتاة الكريمة النسب

فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير الزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرتقب
في قتيمة من بني امية اهل المجد والمآثر والحسب
ما في الوري مثلهم ولا جم مثلي ولا منتم لمثل ابني

APh

All 23.57

قال ابو الفرج معلقاً على هذه الايات: «وهذا من بديع الكلام ونادره ،
وقد جود فيه منذ ابتداء الى ان ختم ، وقد نقلها ابو نواس والحسين بن الضحاك
في اشعارها^(١)». وقال ابو الفرج في موضع آخر: «والوليد في ذكر الحمر وصفها
اشعار كثيرة ، قد اخذها الشعراء فادخلوها في اشعارهم ، سلبخوا معانيها ، وابو
نواس خاصة ، فإنه سلبخ معانيه كلها ، وجعلها في شعره ، فكررهما في عدة
مواضع ، ولولا كراهة التطويل ، لذكرتها ههنا ، على انها تنبئ عن نفسها^(٢)».

النساء

١٥

الحرّة والامّة

بقي امر ثالث ، كان في كثير من الاحيان متمماً للهوهم في الغناء والشراب ،
وربما كان هذا من اهم العوامل في حياة اهل ذلك الجيل الاجتماعية والادبية ،
كما وانه لا يزال عاملاً عظيماً في حياة الرجل في كل العصور . ذاك العامل
هو المرأة .

ونزيد قبل كل شيء ان نشير الى الاختلاف الكبير الذي كان في
ذلك العصر ، بين المرأة العربية الحرّة ، وبين المرأة الاجنبية التي ملكها العربي
في الفتوحات وبعدها ، فصارت امته ، يتزوج منها اذا شاء ، او يبيعها ، او يهبها ،
او ين عليها بالعتق ، فتكون مولاة له .

ولقد اشرنا بفصل سابق الى كثرة هؤلاء السيّات ، والمحن بشيء من
علاقاتهن باسيادهن ، ولكننا لم نعرض الى درس اثرهن في حياة اهل ذلك
الجيل الاخلاقية .

السيئات والعبث

ويظهر لنا ان هذا السيل الجارف منهم ، من روميات ، وفارسيات ، وغير ذلك ، قد كان داعياً لافساد الاخلاق ، ودافعاً الى ان ينغمس العربي من شباب ذلك العصر الغني المترف ، بالعبث واللهو . فقد كان بإمكان مثله ان يتزوج ممن تستطيع يمينه ان تملك من السيئات ، سواء اكان قد غنمهن في الحرب ، او اشتراهن بالمال . وكانت النخاسة امرأ شائعاً ، فكان تجار الرقيق يعلمونه ويدربونه وينقلونه من بلد الى بلد ، ومن قطر الى قطر . وقد نأى هذا الرقيق عن بلده ، وانفصل عن اهله وذويه ، فكانت صدمة عنيفة ، تفككت اثرها عرى حياة السيئات الاجتماعية ، ولم يعد هناك من رادع ، او وازع ، او زاجر اخلاقي يمنعهن من المنكر او المجون والعبث ، لاسيما عندما يكون في حوزة رجل واحد ، مثلاً ، مئات منهن . كما ان طباع العربي اخذت تتطور حينما كثر لديه المال ، واخذ باطراف الحضارة ، واتصل بسبل لهُ الامم المغلوبة ، وتقلب على بساط الترف ، ففسد العبث ، واللهو ، والمجون ، وظهر في بعض الاوساط فساد اخذ يذيع بين الناس ، فضعفت الغيرة ، وهتكت العفة ، بحيث استطاع الرواة ان يذكروا لنا انه ظهر في ذلك العصر طبقة من الناس ، عرفوا بالمخشيين ، كانوا يفسدون الناس ويجمعون بين الرجال والنساء ، ويتوسطون بينهم بالباطل^(١) .

سلطان بعضهن

وكان من امر بعض هؤلاء السيئات المتفتئات في اساليب اللهو ، من غناء وغير ذلك ، اللواتي كن على قسط من الجلال ، انهن فتن النساء الجديد من شباب ذلك الجيل ، فغيرن من خلقه وطبعه ، فشغف باللهو والعبث ، وملكن عليه عقله ، فعلق بهن ، وخضع لسلطانهن ، بحيث استطاعت المغنية حباية ان تخضع لسلطانها ، فيما يذكر الرواة ، رجلاً مثل يزيد بن عبد الملك ، وقد كانت بيده مقاليد امور المسلمين ، فتعزل ، وتولي ، وتفعل ما تشاء . وروا انها لما صارت عند يزيد هذا ، ظلت تعمل لعمر بن هبيرة في العراق

(١) القالي ٢: ٣١٢ والاصبهاني ١: ١٥٦ و ٨٥: ٩ و ١٠: ١٤١ و ١٦: ٦ و ١٩: ٥٥ و ٦٤

حتى وليها ، ورفعت مكانة ابن هبيرة عند الخليفة ، واعلت منزلته ، حتى كان يدخل عليه في اي وقت شاء^(١).

بعض اخبار هبابة

وتزوج يزيد من سعدة حفيدة عثمان بن عفان ، ثم خطب الى اخيها خالد بنت اخ له ، « فقال : اما يكفيك ان سعدة عنده ، حتى يحطب اليّ بنات اخي ؟ وبلغ يزيد ، فغضب ، فقدم عليه خالد يسترضيه ، فيينا هو في فسطاطه ، اذ اتته جارية لحبابة في خدمها ، فقالت له : ام داود (وهي كنية حبابة) تقرأ عليك السلام ، وتقول لك : قد كلمت امير المؤمنين فرضي عنك . فالتفت ، فقال : من ام داود ؟ فاخبره من معها ، انها حبابة ، وذكر له قدرها ، ومكانها من يزيد ، فرفع رأسه الى الجارية ، فقال : قولي لها ، ان الرضا عني بسبب لست به . فشكت ذاك الى يزيد ، فغضب ، وارسل الى خالد ، فلم يعلم بشي . حتى اتاه رسول حبابة ، فيمن معه من الاعوان ، فاقتلوا فسطاطه ، وقلعوا اطنابه ، حتى سقط عليه وعلى اصحابه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟ قالوا : رسل حبابة ! هذا ما صنعت بنفسك ، فقل : ما لها اخزاها الله ! ما اشبه رضاها بغضبها »^(٢).

والغريب ، ان تكون احدى نساء يزيد ، هي التي اشترت هذه الجارية حين علمت تعلقه بها ، وهو امير ، واهدتها اليه حينما صار خليفة ، حتى تسترضيه^(٣).

يزيد وهبابة

وازداد كلفه محبابة حين صارت اليه فقال لها يوماً فيما يروون : « قد استخلفتك على ما ورد عليّ ، ونصبت لذك مولاي فلاناً ، واستخلفيه لاقم معك اياماً ، واستمتع بك ، قالت : فاني قد عزلته ، فغضب عليها ، وقال : قد استعملته وتعزليته ! وخرج من عندها مغضباً ، فلما ارتفع النهار ، وطال عليه هجرها ،

(٢) الاصبهاني ١٣ : ١٥٦

(١) الاصبهاني ١٣ : ١٥٧

(٣) الاصبهاني ١٣ : ١٥٥-١٥٦

دعا خصياً له ، وقال : انطلق ، فانظر اي شي . تصنع حباية . فانطلق الخادم
ثم اتاه ، فقال : رأيتهما بازار خلوقي ، قد جعلت له ذنبتين ، وهي تلعب بلعبها ،
فقال : ويحك ، احتل لها حتى تمر بها علي . فانطلق الخادم اليها ، فلاعها ساعة ،
ثم استلب لعبة من لعبها وخرج ، فجعلت تحضر في اثره ، فمرت بيزيد ،
فوئب وهو يقول قد عزلته ، وهي تقول قد استعملته ، فغزل مولاه وولاه
وهو لا يدري^(١) . « وغنته حباية ذات يوم :

ألا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا

فطرب ، وشق حلتته ، وقال لها : اتأذنين ان اطير ؟ قالت : والى من
تدع الناس ؟ قال : اليك^(٢) . وغنته مرة :

لمرّك اني لاحب سلعاً لرؤيتها ومن يجنوب سلعاً

ثم تنفست تنفساً شديداً ، فقال لها : ما لك ؟ انت في ذمة ابي ، لئن شئت
لانقلنه اليك حجراً حجراً^(٣) .

وقال يزيد ذات يوم لحباية وسلامة : ايتكما غنتي ما في نفسي ، فلهما
حكمهما ، فغنت سلامة ، فلم تصب ما في نفسه ، وغنته حباية :
حلق من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا

فاصابت ما في نفسه ، فقال : احتكمي ا فقلت سلامة تهبها لي وما لها ،
قال : اطلبي غيرها ، فابت ، فقال : فانت اولى بها وما لها ، فقلت سلامة من
ذلك امرأ عظيماً ، فقلت لها حباية : لا ترين الا خيراً . فجاء يزيد فسالها ان
تبيعه اياها بحكمها ، فقلت : أشهدك انها حرة ، واخطبها الي الآن حتى
ازوجك مولاتي . وقيل من رواية اخرى انه عندما جرعت سلامة ، قالت
لها حباية : لا تجزعي فانما الاعمى^(٤) .

(١) الاصبهانى ١٣ : ١٥٩

(٢) « ١٣ : ١٦٠ ابن الطقطقى ١٥٦ يضيف الى هذا ان يزيد قبل يدها فخرج
بعض خدمه وهو يقول : سخنت عينك فما اسخفك . وراجع الطبري II : ١٤٦٥

(٣) الاصبهانى ١٣ : ١٦٣-١٦٤

(٤) الاصبهانى ١٣ : ١٦٣

وذهب الرواة الى ان يزيد هذا ، لما ماتت حبابة ، اقام ثلاثة ايام لا يدفنها ، حتى انتنت ، وهو يشمها ويوسفها ، فعاتبه ذوو قرابته ، حتى اذن لهم في غسلها ودفنها . وامر فاخرجت في نطع ، وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، وما اقام الا خمس عشرة ليلة حتى دفن الى جنبها^(١) .

وقد بلغ بابنه الوليد بن يزيد مع احدى جواريه من التهلك ما يقارب هذا ، اذ قد روى ابن عبد ربه ، ان الوليد بعث احدى جواريه لتصلي بالناس متاشمة وهي سكرى^(٢)

وليس فيما اعلم من اخبار العرب ، وكلفهم بجواريهم ، وتهتكهم معهن ، ما يفوق هذا الشأن .

اهل الحجاز وعبادة

ولم يكن يزيد وحده مولعاً بحبابة ، فقد كانت فتنة الحجاز ، حتى زعموا انه لما اراد الخروج بها ، قال فيها الشعراء فاكثروا ، وغنى في اشعارهم المغنون من اهل مكة والمدينة^(٣) .

الجواري وائمانهن

وازداد ولعهم بالجواري ، حتى ازدادت ائمان الجميلات منهن ، رغم كثرتهم . روى ان موسى شهوات الشاعر عشق جارية بالمدينة ، وشغف بها ، وسام مولاها في ثمنها ، فاستام بها عشرة الاف درهم ، فجمع كل ما يملكه ، واستاح اخوانه ، واستنجد باصحابه ، فاتمها له واشتراها^(٤) . وقد روى ان الدلفاء الجارية المشهورة كان شراؤها على سعيد بن عبد الملك الف الف درهم^(٥) . وروي ان رسل يزيد بن عبد الملك قدمت الحجاز فاشتروا سلامة المغنية من آل رمانة بعشرين الف دينار^(٦) .

(٢) ابن عبد ربه ٢: ٤٤٥

(١) الاصبهاني ١٣: ١٦٥ وابن عبد ربه ٢: ٣٣٩

(٤) الاصبهاني ٣: ١١٨

(٣) « ١٣: ١٥٦

(٦) « ٨: ١٠

(٥) ابن عبد ربه ٣: ٣٦٣

الجواري والرغبة في اعتدالهن

ولم يحتشم الرواة في أن يذكروا عن عبد الملك أنه أرسل إلى عامله الحجاج يسأله أن يسير إليه الجواري الجميلات ، وأن الحجاج دعا بالنخاسين ، وسيرهم إلى كل الجهات يطلبون ضالة عبد الملك^(١) . وأنه كان يفاضل بين الجواري ، فيقول الرومية تصلح لكذا ، والفارسية لكذا ، والبربرية لكذا^(٢) .

وروى الجاحظ عن عبد الملك أيضاً ، أن صاحب إفريقية أهدى إليه جارية تامة المحاسن ، فآخذ عبد الملك يفحص جمالها وحسن قامتها ، ثم قال لها ، وقد أعجبتني : أنت والله أمنية المثمنين . وكانت أول جارية دعا بها بعد انتصاره على ابن الأشعث^(٣) . وذكر الطبري أن الناس كانت تسأل في زمن الوليد عن البناء ، فصارت تسأل في زمن سليمان بن عبد الملك عن التزويج والجواري^(٤) .

الفسق والفساد

ولم يكتف بعض شباب ذلك الجيل بهذا النوع من اللهو والعبث ، ولم يقتصر على هذه الطرق التي توصلهم إلى المرأة ، بل تعدوها إلى ما منعه الشرع والدين منعاً باتاً ، فسلكوا سبل الفسق والاثم المنكر ، بحيث استطاع الرواة ، كما أشرنا سابقاً ، أن يذكروا أنه كان هناك أناس اتخذوها صناعة لهم أن يجمعوا بين أهل الفسق ، ويتوسطوا بين الفاسقين والفاسقات .

وكان للجواري حظٌ كبير في التوسط بين العشاق ، فكان يحملن الرسائل ، ويغرين النساء ، ويصلحن بين المتجافين ، وينتحلن الاعذار ، وكان لعمر عدد منهن ممن كان يرسلهن إلى معشوقاته ، برع بعضهن في هذه المهنة ، حتى صرن موضوع أحاديث الناس ، وقد قال في أحدهن :

فانتها طيبة عالمة تخط الجدر راراً باللب
تقلظ القول إذا لانت لها وتراخي عند سورات القضب
لم تزل تصرفها عن رأجا وتأنأها برفق وادب

قيل : فالنشدها امام ابن أبي عتيق ، فقال له : « الناس يطلبون خليفة في صفة

(٢) الإشبيلي ٢: ٢١٢

(٤) الطبري II: ١٢٧٢

(١) الإشبيلي ٢: ١٥٥

(٣) الجاحظ (ت) ١٥٧

قواتك هذه ، يدبر امورهم ، فما يجدونه^(١) .
وأُنشدت الابيات امام الوليد بن يزيد ، فقال لحناد : «ويحك ، اطلب لي مثل
هذه ارسلها الى سلمى»^(٢) .

المواطن التي فشا فيها اللغو وموقف الزعماء

ولقد فشا هذا المنكر في حواضر الحجاز ، والعراق ، والشام ، كالمدينة ،
ومكة ، والطائف ، والبصرة ، ودمشق ، وغيرها . وقد هال بعض الخلفاء
والعمال انتشار هذا الفسق ، فسعوا الى اصلاح القوم ، ف منهم من نبه الناس الى
هذا الاثم ، ومنهم من تهدد الفساق ، ومنهم من عاقب وجلد ، ولزياد بن
ابيه ، عامل معاوية ، وقفة في البصرة ، تعرض فيها الى امر هؤلاء الفساق .
روى ابن عبد ربه ان زياداً قدم البصرة والياً لمعاوية ، والفسق بالبصرة ظاهر
فاش ، فخطب خطبته البتراء^(٣) . واليك بعضها : « اما بعد ، فان الجهالة
الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى الموفي باهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ،
وتشتمل عليه حلماءكم ، من الامور العظام ، يثبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى
عنها الكبير ، كاتكم لم تقرأوا كتاب الله ، واستمعوا بما اعد الله من الثواب
الكريم لاهل طاعته ، والعذاب العظيم لاهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي
لا يزول ، اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ،
واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث
الذي لم تسبقوا اليه ، من ترككم هذه المواخير المنصوبة ، والصفقة المسلوبة ،
في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ، لم يكن منكم نهاية ، تمنع القواة عن
دلج الليل ، وغارة النهار . . . كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من
لا يخاف عاقبة ، ولا يرجو معاداً ، ما اتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاؤ . . . »^(٤)
وبعث الامام عمر بن عبد العزيز برسالة الى اهل الامصار ، في امر الخمرة ، تشير
الى ان هذه الخمرة ، كانت تقود الناس الى الفسق والفجور وانتهاك الاعراض^(٥) .

(١) الاصبهاني ٥٩٠ : ٦٠ (٢) الاصبهاني ٥٩٠ : ٥٩ (٣) ابن عبد ربه ١٨٣ : ٢

(٤) « » « ٤١١ : ٣

(٥) ابن عبد ربه ١٨٣ : ٢

بعض الفساق

ولا يتسع المقام لذكر الشواهد الكثيرة التي اوردها الرواة دلالة على فساد بعض هؤلاء الشباب الاستقراطيين في ذلك العصر ، لاسيما هؤلاء الذين كانت تربطهم بنخبة الصحابة امتن القربات والصلات ، غير اننا نكتفي بذكر بعض الاخبار عن امثال هؤلاء ممن ركبوا شر سبيل في هذا المضمار .

روى المبرد والاصبهاني عن سعد بن مصعب بن الزبير انه اتهم في امرأة ، في ليلة مناحة او عرس ، وكان زوجاً لبنت حمزة ابن عمه (عبد الله بن الزبير) ، فذاع امره ، فقال الاحوص الشاعر فيه ، وكان في المدينة رجل يقال له سعد النار :

ولكن سعد النار من تذكره وليس بسعد النار من تذكره
الم تر ان القوم ليلة جمعهم بقوه فالقوه لى شر مركب
فايتبني بالشر لا در دره وفي يته مثل الغزال المرعب (١)

الاحوص

والغريب ، ان هذا الشاعر الذي نعى على ابن مصعب فسقه قد كان من افسق الرجال (٢) . وقد زعم ابو الفرج الاصبهاني ان ابن سلام وضعه في الطبقة السادسة من الشعراء ، لما وضع به الاحوص نفسه من ديني الاخلاق والافعال . ويذكر الرواة عنه اخباراً في منتهى الفسق والخلاعة ، حتى انهم زعموا انه كان يراود الغلمان عن انفسهم ، ويذكرون خبر وفوده على الوليد بن عبد الملك ، وتصديه لغلمان الجبازين في قصره ، وقد جلد الاحوص ، وصب على رأسه الزيت ، واقام على البلس (٣) .

اشهر الفساق في العصر صدر تركيا . طعم الخمر كل من ساء الى ساء
سواء من بيت

العرجي

ومن هؤلاء الفساق العرجي ، وهو سبط عثمان بن عفان ، وقد كان فارساً جواداً ، وقد رواه عنه قصصاً كثيرة في الخلاعة والتهتك والفسق

(٢) الاصبهاني ٤: ٤٤٤

(١) المبرد ١: ٣٩٣ الاصبهاني ٤: ٤٧

(٣) الاصبهاني ٤: ٤٤٤-٤٨

المنكر^(١) . وقد جنى عليه طيشه ، وغزله ، وتصدية لذكر بعض النساء ؛
فضرب بالسياط ، واقم على البلس ، وصب على رأسه الزيت كصاحبه الاحوص ،
وسجن حتى مات في سجنه^(٢) . وهو القائل في سجنه :

اضاعوني واي فتى اضاعوا ليوم كريمة وسداد ثمر (٣)

الوليـد بن عبـة وأهـل بيـته

ومن هؤلاء ايضاً الوليد بن عبـة ، اخو عثمان لأمه ، وقد كان فيما يروون
زانياً ، فاسقاً ، شريب خمر^(٤) . ومنهم السري بن عبد الرحمن بن عبـة بن
عويم بن ساعدة الانصاري ، وكانت لجدّه صـجة بالنبي ، وكان السري من
شعراء اهل المدينة ، وكان من الغزليين والمنادمين على الشراب ، وكان يتنادم
هو وعتيـر بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف ، وجبير بن اين ، وخالد بن ابي
ايوب الانصاري ، وفيهم يقول السري :

إذا انت نادمت العتير وذا الندى جبيراً ونازعت الزجاجـة خالدا
امنت باذن الله ان تفرع العصا وان ينبهوا من نومة السكر راقدا (٥)

وهو القائل :

ليتني في المؤذنين ضارا انهم يبصرون من في السطوح
فيشـيرون او يشار اليهم حبذا كل ذات جيد مليح (٦)

غير انه فيما نرى لم يبلغ مبلغ الذين تقدم ذكرهم . فهو من هؤلاء الشبان
الذين لم يصلوا في لوهـم مع النساء الى مثل هذا الدرك الذي ذكرنا . وقد
التبس الامر على بعض الرواة في هؤلاء ، فاتهمهم نفر ، وبرايم نفر آخر ،
ولعل ظرفهم ، وحبهم للفكاهة والعبث ومحاذلة النساء ، كلنا من الامور
التي جعلت البعض يتهمونهم ، فقد روي عن ابن ابي عتيق ، وهو احد اصدقاء

(٢) الاصبهاني ١: ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٤

(٤) ١٧٧-١٧٨ : ٤

(٦) ٦٧ : ١٨

(١) الاصبهاني ١: ١٥٧

(٣) ١٦٥ : ١

(٥) ٦٥ : ١٨

عمر، انه كان صالحاً عفيفاً^(١)، ومع ذلك ، فقد ذكروا ان زوجته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية هجته ، فقالت :

ذهب الاله بما تعيش به وقرت ليلك ايما قر
انفتت مالك غير محشم في كل زانية وفي الحمر^(٢)

وقد روي عن صاحبنا عمر ، كما سنرى ، انه كان عفيفاً ، يصف ويعف ، ويجوم ولا يرد^(٣) . وروي من ناحية اخرى انه كان فاسقاً ، يتعرض للنساء الحواج في الطواف ، وانه كثير الوقائع والمجون والحلاعة ، سئل عن فسقه فآقر واستغفر الله^(٤) .

والحق ، انه كان هناك بون شاسع ، وفرق كبير ، بين هذين مثلاً ، وبين بعض من تقدم ذكرهم آنفاً .

ومها يكن من ذلك ، فقد كان في حدود الدين ، وسطوة الخلفاء الاول وعالمهم ، ما اوقف تيار هذا اللهو اول الامر ، غير انه لما زالت خلافة الراشدين ، وتحول زمام الامر الى ايدي بني امية في دمشق ، قترت الروح الدينية ، وزال شي . كثير من دهشتها ، واصبح من العسير على زعماء بني امية ، بعد هذا التطور القريب ، والانقلاب الكبير ، ان يكبحوا جماح هؤلاء الشباب ، او ربما لم يرغبوا في التعرض لكبح هذه الروح التي فشت في الحجاز وغيرها ، لعلمهم في ذلك يوطدون نفوذهم ويلهون خصومهم .

المرأة العربية

اما المرأة العربية في ذلك العصر ، فقد كانت تختلف عن الاماء كل الاختلاف في هذا السبيل ، ولست أنكر ان بعضاً من رشاش هذا المجون والفساد الذي فشا بين الاماء قد اصاب بعض العربيات ، فقد روي انه كان لمروان بن الحكم قريية ، كانت هي ورفيقة لها ، من امجن النساء ،

(٢) الجاحظ (ت) ١٣١

(١) الحصري ٢٩١:١ والمبرد ٢٧٤:١

(٣) الاصبهاني ٥٣:١ و٩٣ والحصري ٢٩٢:١ و٢٩٨

(٤) ابن قتيبة (ش) ٢٤٨ وابن خلكان ٥٢٨:١ والاصباني ٦٧:١

تفرغ من طوافها ، فامر المؤذنين ، فاتخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها ،
ثم اقيمت الصلاة ، فصلى بالناس ، وانكر اهل الموسم ذلك من فعله ،
واعظموه ، فغزله عبد الملك ، وكتب اليه يؤنبه فيما فعل ، فقال : ما اهون والله
غضبه ، اذا رضيت به والله ، لو لم تفرغ من طوافها الى الليل ، لآخرت الصلاة
الى الليل . فلما قضت حجتها ، ارسل اليها يقول : يا ابنة عمي ، التي بنا ، او عدينا
مجلساً نتحدث فيه . فقالت : في غير افعل ذلك . ثم رحلت من ليلتها ، فقال
فيها :

ما ضرَّكم لو قلتمُ سُدَّداً ان المطايا عاجلٌ غُدَّها
ولها علينا نعمة سلفت لسنا على الايام نَجِدُها
لو نَعَمْتُ اسبابَ نَعْمَتِها نمت بذلك عندنا يَدُها

الرسالة
الحارث بن العباس
اربعون بيتاً

رووا ان الغريض لحقها بهذه الايات في كتاب من الحارث اليها ، فلما
قرأت الكتاب ، قالت : ما يدع الحارث باطله^١ .
وللحارث فيها حين تزوج منها مصعب ورحل بها الى العراق :

ظعن الامير باحسن الخاق وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن اهل التقى والبر والصديق
فظلكت كالمقهور مهجته هذا الجنون وليس بالعشق
عقب الدهان يجانب الحق عقب العيزر بها
ما صبحت احداً برويتها الا غدا بكواكب الطلق^٢

نوع من اناسهم
شاعر
نوع من اناسهم
شاعر

مطاة المرأة العربية

واعل هنا خير موضع لذكر المكانة والحرية اللتين كانت تتمتع بهما المرأة
العربية الشريفة في ذلك العصر ، كعائشة ام المؤمنين ، وسكينة بنت الحسين ،
وفاطمة بنت عبد الملك ، وعاتكة بنت يزيد ، وعائشة بنت طلحة ، والثريا
بنت علي بن عبد الله ، وزينب بنت موسى الجمحية ، وغيرهن .

فقد روى الرواة ان سكينة كانت حين تزوجت من زيد بن عمرو بن
عثمان احلقته ان لا ينعها سقراً ، ولا مدخلأ ، ولا مخرجأ ، وقد بلغت بها

مكاتها ونفوذها ان منعت زيـداً مرة من زيارتها بالطائف ، حيث اقامت بيت لها ، وحوطت من ورائها بجيطان ، ومنعت زيـداً ان يدخل عليها^(١) . واستأذنها مرة في ان يخرج ، لان الخليفة سليمان بن عبد الملك حاج في ذلك العام ، ولا يمكنه التخلف عن الحج معه ، وكان لزيد في العرج جوار ، فاعلمته انها لا تأذن له الا ان يخرج اشعب خادمها معه ، فيكون عيناً لها عليه ، ومانعاً له من العدول الى العرج ومن اتخاذ جارية لنفسه ، واستطاع زيد ان يغري اشعب بالمال ، وينسل الى العرج ، ولما عاد الى سكيـنة اقر بما فعل ، واهداها الجواري لتبيعهن او تعتقهن^(٢) .

وكانت عائشة — سكيـنة — ذات مكانة كبرى ، حفظت هي وصاحبها سكيـنة مكانة المرأة العربية في ذلك العصر ، ورفعنا مقامها وشأوها ، ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا ان المكانة التي كانت تحرزها المرأة العربية في ذلك العصر لم تصل الى مثلها حتى الآن .

وقد روي عن عاتكة بنت يزيد بن معاوية انها غضبت مرة على زوجها عبد الملك بن مروان ، وهو خليفة ، وكان بين غرفته وغرفتها باب ، فحجبتها ، واغلقت ذلك الباب ، فشق غضبها على عبد الملك ، وشكا امره الى رجل من خاصته ، حتى يجتال له في رضاها^(٣) .

وروي عن عائشة بنت طلحة انها غضبت على زوجها مصعب بن الزبير ، فهجرته ، وقعدت في غرفة ، وهيأت فيها ما يصلحها ، فجهد مصعب ان تكلمه ، فابت ، حتى بعث اليها ابن قيس الرقيات يستعطفها^(٤) . وفي رواية اخرى انه بعث اشعب ، فقال له : ما لي ان رضيت ؟ قال : حكمك ا قال : عشرة الاف درهم قال : هي لك ! فانطلق ، حتى اتى عائشة ، فقال : جعلت فداك ، قد علمت حيي لك ، وميلي قديماً وحديثاً اليك ، من غير منالة ، ولا فائدة ، وهذه حاجة عرضت ، تقضين بها حقني ، وترتهنين بها شكري . قالت : وما عناك ؟ قال : قد جعل لي الامير عشرة الاف درهم ان رضيت عنه .

(٢) الاصبهاني ١٦٧: ١٦٨

(٤) « ١٠: ٥٤

(١) الاصبهاني ١٧: ٦٣

(٣) « ٢: ١٦٩

قالت: ويحك! لا يمكنني ذلك! قال: بالي انت، فارضي عنه، حتى يعطيني، ثم عودي الى ما عودك الله من سوء الخلق. فضحكت منه، ورضيت عن مصعب^(١). ودخل عليها مصعب يوماً، وهي نائمة متصبحة، ومعه ثمان لولوات، قيمتها عشرون الف دينار، فانبهها، ونثر اللولو في حجرها، فقالت له: نومتي كانت احب الي من هذا اللولو^(٢).

وكانت احدى بنات النعمان عند روح بن زنباع، وكانت ذات مكانة ومقام تأبى معها ان تخضع له في كل ما يريد^(٣). وكذلك كان شأنها او شأن اختها مع الحجاج فيا يروون^(٤).

ومما يشير الى مكانة المرأة في ذلك العصر انها لم تكن تنكر التشبيب بها، ولا تتأثر او تغضب اذا ذكرها الشعراء، بل كان من النساء الشريقات من كن يربغن في ان يذكرن في شعر هؤلاء الشعراء، ولا يخشين لوماً، وقد روي عن ام البنين، امرأة الوليد بن عبد الملك، انها كانت تريد ان يشب بها الشعراء، رغم تهديد زوجها لها^(٥).

ويروى عن فاطمة بنت عبد الملك انها ارادت الحج، فكتب الحجاج بن يوسف الى عمر بن ابي ربيعة يتوعده ان ذكرها بشعره، او عرض باسمها، وكانت تحب ان يقول فيها شيئاً، وتعرض لذلك، فلما قضت حجبها، خرجت، فر بها رجل، فقالت له: من انت؟ قال: من اهل مكة. قالت: عليك وعلى اهل بلدك لعنة الله! قال: ولم ذاك؟ قالت: حججت، فدخلت مكة، ومعي من الجواري ما لم تر الاعين مثلن، فلم يستطع الفاسق ابن ابي ربيعة ان يزودنا من شعره ابياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا. قال: فاني لا اراه الا قد فعل. قالت: فأتانا بشيء ان كان قاله، ولك بكل بيت عشرة دنانير^(٦). وكانت عائشة بنت طلحة تسير مرة على بغلة لها بمكة، فلقيا عمر بن ابي

(٢) الاصبهاني ١٠: ٥٧

(١) الاصبهاني ١٠: ٥٤

(٣) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٩ والاصباني ٨: ١٤٠

(٤) الاصبهاني ٨: ١٢٨-١٢٩ والاشبهني ١: ٥١-٥٢

(٦) الاصبهاني ٢: ١٢٨

(٥) الاصبهاني ٦: ٢٧

ربيعة ، فقال لها : قفي حتى اسمعك ما قلت فيك . فلم تغضب ، ولم ترفض ، بل داعبته بقولها : أو قد قلت يا فاسق ! فقال : نعم ! فوقفت ، وانشدها :
 يا ربة البغلة الشهباء هل لك في ان تشري مبتاً لا ترهقي حرجا
 قالت بدائك مت او عش تعالجه فما ترى لك فيما عندنا خرجا
 قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه فان بعدنا فقد عثيتنا حججنا
 استطع حتى لو استطع مما قد فعلت بنا اكلت لحمك من غيظ وما نضجنا
 فقالت : لا ورب هذه البنية ، ما عثيتنا طرفة عين قط ، ثم قالت لبغلتها :
 عدس ، وسارت^(١) . وكانت الثريا تسرّ بشعر عمر فيها ، بل كان من النساء من
 كنّ يرين الجلال ان يذكرن في شعر بعض هؤلاء الشعراء الغزلين ، حتى زعموا
 انه لما قال عمر في رملة :

وجلا بردّها وقد حسرتة نور بدر يضيء للناظرين

سمعت الثريا هذا الشعر — وكانت رملة جهمة الوجه ، عظيمة الانف ، حسنة الجسم — فقالت تعيب على عمر استحسانه لوجهها :

اف له ما اكذبه ! أو ترتفع حسناء ، بصفته لها ، بعد رملة ؟^(٢)

ومما يشير الى مكانتها ايضاً ، لاسيا مكانة تلك التي كانت من نساء الطبقة الارستقراطية ، ذوات المولد الكريم ، من قريش ، وغير قريش ، حياتها الادبية الراقية ، واحاديثها في مجالسها ، ومواكبها اذا سارت الى حج ، ومهرها اذا تزوجت ، وحرثتها في الزواج ممن تشاء ، او على الاقل ، مشاورتها في امر زواجها . وقد روي عن بعضهن في ذلك العصر انهن كن لا يفتات عليهن ، فاذا جاء خاطب ، خطب المرأة الى نفسها^(٣) . ومنهن من عرض عليها الزواج من احد كبار رجال ذلك العصر ، فابت ، لان ذلك الزوج لا يوافق هوى نفسها ، وقد روي ان عمر بن الخطاب خطب ام كلثوم ، اخت عائشة ام المؤمنين ، وكانت صغيرة ، فارسل الى عائشة في ذاك ، فلما ذكرت ذلك عائشة لام كلثوم ، قالت لها : لا حاجة لي فيه . فقالت عائشة : اترغبين عن امير المؤمنين ؟ قالت : نعم ! إنه خشن العيش ، شديد على النساء^(٤) . وخطب

(٢) الاصبهاني ١ : ٨٧-٨٨

(٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٥

(١) الاصبهاني ١ : ٨١

(٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨٠

عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فابت ان تتزوجه ، وقالت : والله لا تزوجني ابو ذباب ، وتزوجت من يحيى بن عبد الحكم ^(١) . وخطب عائشة بنت طلحة بشر بن مروان ، فرفضته ، وتزوجت من ابن عمها ^(٢) .

واما عن مهورهن فالاحاديث حجة ، وقد بلغ مهر بعضهن ، فيما يروى ، مليون درهم . هكذا رووا عن مهر سكيئة وعائشة بنت طلحة من مصعب ^(٣) ، بل قد رووا ايضا ان عائشة نالت من عمر بن عبيد الله بن معمر مثل مهرها من مصعب ^(٤) .

وروا ان الحجاج تزوج من بنت عبد الله بن جعفر على مليونين ونصف ^(٥) . وفي بعض الروايات على تسعين الف دينار ^(٦) .

وسنعرض حياة المرأة الادبية عند درسنا الحياة الادبية في ذلك العصر . وكان بعض النساء يجلسن لخطابهن ^(٧) ، ويتحدثن معهم ليختبرنهم ، وكثيرا ما كان يؤول مثل ذلك الاجتماع الى رفض الخاطب ^(٨) .

وكانت مكانة الوالدة رفيعة عزيزة ، وفي حديث عبد الله بن الزبير مع امه اسماء بنت ابي بكر ، واستشارته لها ، ونصيحتها له ، ما يؤيد هذا . وكان طلحة الطلحات برآ بامه ، وفارقها مرة الى سجستان ، وزارها رسول منه ، ثم عاد اليه ، فسأله عنها ، فقال : بأحسن حالة . قال : انظر كيف تقول ! قال : هذا كتابها . قال راوي الخبر : فعرف الشواهد والعلامات ، وسأله الرسول ان يقرأ كتاب وصيتها ، فاجابه طلحة : ويحك ! لم تأتني بسلامتها ؟ حسبك ! وامر له بنجمين الف درهم ^(٩) .

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨١

(٢) الاصبهاني ١٠ : ٥٨ وراجع ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٢-٢٩٣ حيث ترى اخبار غير هؤلاء من رفض بعض النساء الزواج منهم

(٣) الاصبهاني ١٠ : ٥٨

(٤) الاصبهاني ١٠ : ٥٦

(٥) ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٢

(٦) ابن عبد ربه ١ : ١٤٦

(٧) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨٠ و ٢٨٢

(٨) « ٣ : ٢٨١ و ٢٩٥

(٩) ابن عبد ربه ٣ : ٢٧٩

ويحكى عن عبد العزيز بن مروان انه قال: لا اعطي شاعراً شيئاً، حتى يذكر ليلى امي في مدحه، لشرفها، فكان الشعراء يذكرونها باسمها في اشعارهم^(١).

السفور والحجاب

ويظهر انه كان هناك كثيرات ممن كن يبرزن للرجال، حتى من نساء الامراء، وقد روي عن عائشة بنت طلحة، وهي عند مصعب، انها كانت لا تستر وجهها من احد^(٢).

ويروي عن هند بنت النعمان بن بشير، انها كانت تشرف على وفد عند زوجها سافرة^(٣).

وكانت امرأة عبد الملك العنبرية ام الوليد وسليان، تسفر^(٤). ويروي ابو الفرج عن سكينه انها كانت عفيفة، سلمة، برزة من النساء، تجالس الاجلة من قريش، وتجتمع اليها الشعراء، وكانت ظريفة مزاحة^(٥).

ويروي عن عمرة صاحبة ابي دهل الجحفي انها كانت امرأة جزاة، تجالس الرجال، وتحادثهم، وهي سافرة^(٦).

وهناك اخبار كثيرة عن نساء من غير الشريقات، كن يبرزن للرجال سافرات، لا سيما في بعض المواسم الخاصة، كحفلات الغناء، او مسيل العقيق. ويروي عن الاحوص، وكثير، ورفيق لهما، انهم ساروا غب يوم امطرت فيه السماء يطلبون العقيق، ليمتعوا فيه ابصارهم، فلبسوا، وترينوا، وركبوا، حتى اتوا العقيق، فجعلوا يتصفحون، ويرون بعض ما يشتهون، حتى رفع لهم سواد عظيم، فاموه حتى اتوه، فاذا وصائف، ورجال من الموالي، ونساء بارزات، فحلفنهم ان يتزلوا، فزلوا، ولهووا عندهن بسماع الغناء^(٧).

(١) الاصبهاني ١: ١٣٦

(٢) الاصبهاني ١٠: ٥٤ والحصري ١: ٢٠٣ والتويري ٢: ٢٨٩

(٣) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٩ (٤) ابن عبد ربه ٣: ٢٨٩

(٥) الاصبهاني ١٤: ١٦٥ (٦) الاصبهاني ٦: ٣٥٥

(٧) « ١: ١٤٢

وكان النساء في الطواف يتعرضن للظهور ، فيرى الرجل وجوههن ، فكان يسهل على الشباب الاتصال بالنساء والتحدث اليهن . وسنرى في اخبار صاحبنا عمر انه استطاع ان يرى كثيرات من الجميلات وقت الطواف .

ويقال عنه انه رأى عائشة بنت طلحة (وهي ترمي الجار) سافرة ، فبهت . ويروى انها قالت له : هذا مقام لا بد فيه مما رأيت^(١) . ويروي الازرقى باسناد عن عطاء انه كره ان تطوف المرأة بالكعبة وهي متقبعة وعن غيره ايضاً انه كان يكره للنساء التنقب في الطواف^(٢) .

وكن في الاعياد يتزين ، فيما يروى ، ويسدو بعضهن لبعض ، ويظهرون للرجال^(٣) . ويروى عن جميل ، اول ما احب بثينة وعشقتها ، انه رآها في عيد ، فرأى منها منظراً اعجبه^(٤) .

ولعل الجميلات منهن كن يأنفن ان يسترن جمالهن بقناع ، وقد قيل انه لما ليمت عائشة على سفورها ، قالت : ان الله تبارك وتعالى ، وسني عيسى جال ، احببت ان يراه الناس ، ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لاستره . والله ! ما في وصمة يقدر ان يذكرني بها احد^(٥) .

ويذكر المبرد للشماخ ، قوله : « اطارت من الحسن الرداء المجبراً » ثم يشرحه بقوله : « هي مدلة بجبالها ، فلا تثمر ، فتستريح شيئاً عن الناظر ، لانها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها ، وقد كشف هذا المعنى عمر بن ابي ربيعة المخزومي حيث يقول :

فلما تواقفنا وسلمت اقبلت وجوه زهاها الحسن ان تتقنما^(٦)

وفي شرح حماسة ابي تمام ، لقول عمر :

فلما تفاوضنا الحديث واسفرت وجوه زهاها الحسن ان تتقنما

قول الشارح : « ولما تفاوضنا الحديث ، واسفرت وجوه نساء ، زها هذه المرأة

(٢) الازرقى ١ : ٢٦٠

(٣) الاصبهاني ٧ : ٨١

(٤) المبرد ١ : ٤٩١

(١) الاصبهاني ١ : ٨٠

(٣) الاصبهاني ٧ : ٨١

(٥) « ١٠ : ٥٤

حسنها ان تتقنع ، وهكذا كانت نساء العرب تفعل ، اذا كانت جميلة^١ .
ولعل الوجه كان ، اذا ستر ، يستر بالحرير . وهناك اشارات صريحة ، الى ان
بعض النساء كن يتقنعن بأخمرتهن^٢ .

وللحارث بن خالد المخزومي شعر في بعض النساء ، زمن الطواف ، يشير
الى اخمرتهن :

ففرغن من سيع وقد جهدت احشاؤهن موائل الحمير ٣

ولعمري في احدى صاحباته :

واشتكت شدة الازار من البهر م والفت عنها لدي الحمار ٤

وربما نعرض لدرس بعض سبل هذا اللهو البري. الذي كان يقضيه شبان
ذلك العصر مع شريفات النساء العربيات عند مجئنا في حياة عمر ، انما لا
نرى بداً من الاشارة هنا الى ان هذه الاوقات التي كان يقضيها الشباب في
مجالس المرأة ، كانت عنواناً على حياة المرأة الادبية الراقية ، فهي ، في الغالب ،
تدور على انشاد الاشعار ، ونقدها ، والتحدث في بعض شؤون العرب المختلفة
في ذلك العصر ، ولم تخل اكثر هذه المجالس التي ينفرد فيها المجان من ذكر
الشوق ، والحب ، والتعاب ، وسرد قصص الحب . ولعل عمر اولى الشعراء
بانتباهنا لدرس روح هذه المجالس ، وانواع الحديث فيها ، واثرها في شعره ،
وهو القائل :

فيا طيب ما هو هناك لهوته بمستمع منها ويا حسن منظر ٥

وقال ايضاً :

رب هو لهوته بجوار ربائب

ليس في ذاك محرم واله المنارب

غير ان نشفي الصدور م بذرو التعاب ٦

٢ الاصمعي ٦: ٨٦ وابن سعد ٨: ٢٦٣

٤ ابن ابي ربيعة (ع) ٢٤٤

٦ ابن ابي ربيعة (ع) ٦٠

١ التبريزي ٣: ١٢٧

٣ الاصمعي ٣: ١٠٨

٥ ابن ابي ربيعة (ع) ١٩٩

المواسم

مواسم الحجاز تسهل لهم سبل اللهو

وكانت هناك مواسم في الحجاز سهلت على شباب ذلك العصر سبل اللهو، وساعدتهم على الالتقاء بالمرأة، والتقرب اليها والتعرض لها، سواء اكانت حرة او أمة، شريفة او ضيعة. وقد نال المرأة بسبب هذه المواسم حظ من الحياة مع غير زوجها او ابيها او اخيها او قرييها، فتعرفت الى الشاب واجتمعت به، وحادثته وحادثها، واحبته واحبها، واستمعت الى شعره فيها ان كان شاعراً، واسمعته نقدها ورأيها في هذا الشعر.

وكانت هذه المواسم، بالوقت نفسه، مدعاة الى تطور الحياة الاجتماعية عند اهل ذلك الجيل، بحيث اخذ الكثير منهم يفهم الحياة على غير الوجه الذي كان يألفه من قبل، كما وانها ساعدت على ترقية الحياة الادبية عند العرب كما سنرى

المدينة والقبو

لم يكن التطور الذي طرأ على الحجاز بالشيء اليسير كما رأيت، ولقد نال المدينة فيما يظهر لنا اكبر نصيب منه. ذلك انها كانت مركز الخلافة لدولة الراشدين، فتجدد اليها اكثر الفتي، واكثر الرقيق والسي. وتقع المدينة على سهل تحيطه من بعض جهاته ارض حراء. بركانية. غير ان تربته في الجهة الجنوبية مشبعة من المياه التي يندر وجود مثلها في سائر الحجاز. وتظهر هذه المياه وتكثر بعد نزول الامطار وتحدّر السيول، وتغور بعض مياه الامطار والسيول تحت سطح الارض، وتستقر في جوفها^١. ومن هنا نستطيع فهم سبب كثرة الآبار في المدينة، واستعمالها لسقي الزرع.

وينبت في تربتها المخضبة انواع كثيرة من الاشجار المثمرة، اهمها النخيل.

(١) ياقوت ٤: ٤٥٩ وبول - الموسوعة الاسلامية - تحت al-Madīna

ومناخها ، على ما في صيفها من حرّ وشتائها من برد ، خير من مناخ مكة ؛ وهي تفضل مكة من حيث المزروعات والاثار ايضاً . وقد اصبحت ، بعد انتقال الخلافة الى دمشق ، موطناً للكثيرين من هؤلاء الذين رغبوا عن السياسة الى الهدوء والراحة والدعة^(١) . فقد رجع اليها الحسن بن علي بعد ان بايع معاوية^(٢) . وفيها اقام عبدالله بن جعفر كما هو مشهور^(٣) . وفيها اقام الصحابة المهاجرون ، اول الاسلام ، فبقيت بعدهم اكثر عائلاتهم . واليها انتقلت كما سئرى عائلة عبدالله ابن ابي ربيعة ، والد شاعرنا ، فولد عمر ونشأ فيها فيما نرجح . وفيها اقام ابن ابي عتيق^(٤) ، والحسن بن الحسن بن علي^(٥) ، وابن علي من الحنفية^(٦) ، وسعد بن ابي وقاص^(٧) ، وغير هؤلاء . حتى قيل انه كان فيها ، قبل فتنة ابن الزبير ، من بني أمية واحلافهم خلقٌ كثير ، روي انهم اكثر من ثلاثة آلاف^(٨) . وقد اجلى ابن الزبير بعضهم الى الشام^(٩) ، وظلّوا يحتنون الى الحياة فيها^(١٠) . وهكذا اصبحت المدينة ، كما ذكرنا ، موطناً لطبقة كبيرة من الناس ممن آثروا حياة الهدوء والدعة على الحرب والاشتراك في الخصومات السياسية ، بحيث استطاعوا فيما يقول بُول (Buhl) ان يتمتعوا وهم مطمئنون بهذه الثروة الكبرى التي تحدت اليهم اثر الفتوحات^(١١) ، وانتهى ببعضهم الترف في العيش الى شيء عظيم من اللهو والمجون والعبث^(١٢) ، بحيث ذكر الطبري ان مروان الاخير ، رأى احد رجال المدينة ممن خرجوا عليه في ثورة سليمان بن هشام بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ . فقال له : « يا فاسق ، اما كان لك في خمر المدينة وقيانها ، ما يكفك عن

(١) بُول - الموسوعة الاسلامية - تحت al-Madīna

(٢) الطبري II : ٩ والدينوري ٢٢٢

(٣) الاصبهاني ١١ : ٦٨، ٦٩، ٧٠ وراجع فهرس الاغانى لكويدى تحت عبدالله بن جعفر ،

وابن عبد ربه ١٤٥ : ١

(٤) الاصبهاني ٨ : ١٠ و ١٣٢ : ٧ (٥) الاصبهاني ٢ : ٦٣-٦٤

(٦) الدينوري ٣٠٨ (٧) المسعودي ٢ : ٢٥٤

(٨) الاصبهاني ١٤ : ١ (٩) الاصبهاني ١٤ : ١

(١٠) بُول - الموسوعة الاسلامية - تحت al-Madīna (١١) بُول - الموسوعة الاسلامية - تحت al-Madīna

(١٢) الاصبهاني ٢١ : ١٧٩

الخروج مع... تتقاتلي؟ قال: «يا امير المؤمنين، اكرهني، فانشدك الله والرحم ا»
قال: «وتكذب ايضاً؟ كيف اكرهك، وقد خرجت بالقيان والزقاق والبرابط
معك في عسكره؟»^(١).

وقد ذكر الاصبهاني ان الفرزدق كان يقيم فيها ويختلف الى بيوت
القيان^(٢). وروى ان مروان بن الحكم عاملها لمعاوية انكر عليه هذا، ثم
لقيه، فقال له:

قل للفرزدق، والسفاهة كاسمها، ان كنت تارك ما نختك فاجلس
ودع المدينة انما مذمومة واقصد لمكة او لبيت المقدس^(٣)

عصر المدينة الذهبي

ولعل هذا العصر كان عصر المدينة الذهبي الذي تغنت باجاده الشعراء.
وتتنبذ، من جمال في الرياض المحيطة بالمدينة، الى لين ودعة في العيش، الى
غنى ومال عظيم، الى تساهل من قبل رجال الحكم ولعلك التفت الى هذه
النواحي الجديدة في حياة اهلها في ذلك العصر، من اتخاذ بعضهم غرفة خاصة،
جعلها نادياً، يتردد الرجال اليها، فيها من الالاب الوان كثيرة، ومن ضروب
التسلية طائفة كبيرة. ومن ترددهم ايضاً الى حفلات الغناء؛ فقد كانت تعقد
فيها، كما رأيت، حفلات كثيرة للغناء، منها عامة ومنها خاصة، كان
يلبس المغنون في بعضها، كما روي، لباساً خاصاً.

ولقد كانت هذه المواسم الغنائية التي تعقد في المدينة مقصد الكثيرين من
طلاب اللهو، لا سيما من اهل مكة. ولنا، في اخبار بعض شعراء مكة وشبابها
من اهل المرح واللهو، ما يفيد انهم كانوا يقدمون خصيصاً لحضور مثل هذه
الحفلات الغنائية^(٤).

وكان صاحبنا عمر من اكثر الناس تردداً لمثل هذه الحفلات، وهو في المدينة،
ثم لم يفته، بعد ارتحالها عن المدينة، ان يقصد اليها لحضور هذه الحفلات الغنائية^(٥).

(٢) الاصبهاني ٣١: ١٩٧

(١) الطبري II: ١١٠

(٥) الاصبهاني ٧: ١٣٥ (٥) الاصبهاني ٧: ١٣٥

(٣) الاصبهاني ٣١: ١٩٧

العقيق

ولقد كان هناك في المدينة موضع خاص^١، اعله كان اكثر مواضعها حفظاً من حياة اللهو والعبث والمرح والطرب، وكان لصاحبنا عمر ايضاً فيه حظ كبير. ذلك هو العقيق، وادي المدينة البهيج، ومنتزه اهلها، ومزار الكثيرين من طلاب اللهو من سائر مدن الحجاز. يبعد اول العقيق عن المدينة نحو ميلين او ثلاثة من الجهة الجنوبية الغربية^٢.

وتتجدر اليه السيول الهابطة من الجبال حوله، فتجعل فيه نهراً كبيراً يضطرب في بعض الاحيان مثل مد الفرات^٣ - ترمي اواذيه العبرين بالزبد - ثم يهوي على الجنائن والبساتين، فيسقي نخلها، ويروي روضها، وينعش نفوس هؤلاء العرب هناك من اهل المدينة وما جاورها الذين خلا قطرهم من الانهار؛ فما هو الا ان يسمعو ان العقيق قد سال حتى تراههم، وقد هرعوا اليه افواجاً افواجاً، رجالاً ونساء، يتمتعون بمنظره المبهج؛ وينفرد بعضهم ليستحم بانه؛ ويعقد البعض الآخر حول ضفافه وعلى بساط رياضه حلقات الانس والطرب، فيستنشدون الشعراء فينشدونهم من شعرهم، ويلتسمسون المغنين فيسمعونهم من عذب انغامهم، بينما يتزوي غيرهم تحت نخيله يشربون ويعبثون^٤.

العقيق وحلقات اللهو فيه

ذاك هو العقيق منتزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر، فيما يقول ابو الفرج^٥. فهو بروعته وجماله المفعم الاخاذ يجذب اليه هذه الجماهير من اهل المدينة واهله، فينتشرون على اراضيه ينعمون بالجمال الذي يحيط بهم. كل في لهوه، فتزى نفرًا من المغنين اندفعوا يتغنون، فاجتمعت عليهم نساء اهل الوادي حتى صار مراجههم كمراح الضأن. ويرى ابن عاثة ذلك، فيلتفت الى صاحب معه ويقول:

(١) ياقوت ٣ : ٧٠٠ Lammens - الموسوعة الاسلامية - تحت Akik

(٢) الاصبهاني ٢ : ١٧٢

(٣) الاصبهاني ٧ : ١٢٠ و ٧٩ Lammens - الموسوعة الاسلامية - تحت Akik

(٤) الاصبهاني ٢ : ١٧٢

«اما والله لا فرقن هذه الجماعة». ثم ياتي قصراً من قصور العقيق ، فيعلو سطحه ،
ويلقي رداؤه ، ويتكى عليه ، ويعني :

هذا مقام مطرد هدمت منازل ودوره

فلا يقضي صوته حتى تحشد النساء اليه ، فلا تبقى امرأة منهم الا جلست
تحت القصر ، فيقول المغنون في الحلقة الاولى : «هذا عمل ابن عائشة وحده»^(١).

او ترى المواكب يسير فيها ارستقراطيو ذلك البلد ، من رجال تحف بهم
حاشيتهم ، الى نساء تحف بهن جواريهن ، فهنا عبد الله بن جعفر يتنقل بين حلقات
المغنين يحبو هذا ويكسو ذاك^(٢) ، وهناك موكب سكينة وهي خارجة من
قصرها بالعقيق لتغتسل بآه واديه^(٣).

او ترى نصيباً وكثيراً والاحوص يركبون افضل ما يقدرون عليه من
الدواب ، ويلبسون احسن ما يقدرون عليه من الثياب ، ويسرون متنكرين. ثم
يتصفحون هذه الحلقات والجماعات في العقيق ، ويرون بعض ما يشتهون ، حتى يرتفع
لهم سواد عظيم فيأتمونه حتى ياتوه ، واذا وصائف ورجال من الموالي ، واذا نساء
بارزات ، فيسألون التزول ويتزلون ، واذا كراسي موضوعة فيجلسون ، جميعاً في
صف واحد ، يستمعون الى بعض الجواري وهي تغني بشعر نصيب احدهم^(٤).

او ترى صاحبنا عمر خارجاً اليه ، وقد واعد نوسة من قريش الى موضع فيه
يتحدث معه ، وترى بجانبه مغنية الغريض يساعده على لهوه ، ويمسك معه بطرفته
وبرديه ليظلأ على صاحباته حتى يستترن من سقوط المطر^(٥).

او ترى ابا السائب المخزومي ليلة ، بعد ما رقد السامر ، ياتي صديقاً له
ليستصحبه الى العقيق ، فيذهبان ويتحدثان ويتناشدان حتى يسمع ابو السائب
صديقه ينشد للرجي :

باتا بانعم ليلة حتى بدا صبح تلوح كالآغر الاشقر

فتلازما عند الفراق صباية اخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

لستصحبهم بعضكم كما يستصحب الباشي موكب المغنويون

(٢) الاصبهاني ١١: ٦٧ و ٢: ١٧٢

(٤) الاصبهاني ١: ١٤٢

(١) الاصبهاني ٤: ١١٥

(٣) الاصبهاني ١٤: ١٧٢

(٥) « ٦٦: ١

لأولئك من ذك ما عهدنا

فيقول : « اعدّه عليّ » ، فيعيده . فيقول : « احسن ! والله امراته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته . » ويلقيه احد احفاد علي ، فيسلم ، ويسأله : « كيف انت ؟ » فيقول :

فتلازما عند الفراق صباةً أخذ الغريم بفضل ثوب المسر

ويلقاه آخر ويكلمه ، فيردد له هذا البيت ، حتى خشي السامع ان يكون به جن وخاف عليه ان يتهور ببعض آبار العقيق^(١) . او ترى ما هو اغرب من هذا كله طبقة خاصة من اهل ذلك الوادي ستمهم الكتب العربية باسم خاص « المخنثين » ، مخنثي العقيق . وضرب برقتهم ونعومتهم او بالاحرى تخنثهم المثل حتى قيل : اي بيت من الشعر نصفه كانه اعرابي في شملته ونصفه الآخر كانه مخنث مفكك ؟ فقيل : قول جميل :

الا اجمالك النيام ، الا هبوا ! اسائلكم : هل يقتل الرجل الحب ؟

وقيل : كأن الشطر الثاني من مخنثي العقيق يتقصّف تقصفاً^(٢) .

كل في لهوه يجمعهم السرور في صعيد واحد تصدح في اكثر ارجائه انغام الموسيقى المطربة والاصوات العذبة حتى ليبدو الوادي كأنه بقعة خلّت من كل الآلام واكتست اهبى الحلل وهنت باحلى الاحلام .

ميرة الغبي

ولست اعلم في كل العالم العربي الآن موضعاً يشبهه لا من حيث المنظر الطبيعي ، من ماء جارٍ فياض ، ووروض معشب انيق زاهر ، وجنائن غناء يسقه اعالي اشجارها «مرّ الرياح النواسم» ، لا فان في القناطر الخيرية على ضفاف نيل مصر ما يفوق اجمل متزهات العالم العربي من هذا القبيل منذ عرف العرب حتى الآن ، ولكني أشير الى تلك الناحية من حياة العرب الاجتماعية والادبية فيه ، الى تلك الالوان من اللهو والعبث والمرح ، الى ذلك الغناء تعقد حوله الحلقات كما رايت ، الى تلك المجالس الادبية يستمع فيها الناس الى ما تنتجه قرائح شعرائهم والى ما يحوكه بيان محدثيهم . ولو حاولنا التوسع قليلاً في

البحث عما يشبه العقيق الآن ، او ما كان يشبهه ، لافينا مواضع متعددة ، ولكنني اشك في اننا نقع على ما يشبهه من هذه الناحية من الحياة الادبية ، او على ما يشبه هذا الاثر الذي كان يتركه العقيق في نفوس اهليه وزواره .

لا تذكر لي دفنة انطاكية التي شبهوا العقيق بها^(١) ، ولا تقل شيئاً عن لهُو الرومان فيها ، وان شابهت العقيق او فاقته في مائها وحماماتها وقصورها ومتزهاتها واشجارها من دفن وسرو ، وان اتفق اهلها وارستقراطيو الحجاز بثروتهم وكسلهم وترددهم اليها ! اقل لك ما رواه المؤرخ ممسون عن المترددين اليها : « ان شجر السرو في انطاكية كان يعرف ان يهمس بينا كان رجالها لا يعرفون كيف يتكلمون »^(٢) . اما العقيق فلم يكن نجريز مياهه وتمايل نخله ورقة نسيمة وضروب لهُو ، يقابل بظرف نصيب وحديث ابن ابي ربيعة وشعر الاحوص وادب عائشة وسكينة . بل يكاد يكون في هؤلاء وحدهم غنى عن العقيق . ويكفي اذا شئت ان تعلم اثر هذا العقيق في نفوس شعرائهم ان تقرأ شعر ابن ططيفة فيه ، فقد زعموا انه كان اموي الهوى ، فاجلاه ابن الزبير عن المدينة ، فارتحل الى الشام ، فلم تغنه رياض الشام ومتزهاتها عن العقيق ، واندفع ينشد حينئذ اليه :

ليت شعري ! هل البلاط كمهدي والمصلى الى قصور العقيق ! (٣)

وقال من قصيدة اخرى :

الا ليت شعري ! هل تغير بعدنا قباء ، وهل زال العقيق وحاضره ! (٤)

وقال ايضاً :

ليت شعري ! واين مني ليت
ام كمهدي العقيق ام غيرته
اعلى العهد يلبن فيرام
بعدي الحادثات والايام !

الى ان يقول :

وتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام

(١) لامنس - الموسوعة الاسلامية - تحت Akik

(٣) الاصمعي ١٥٠١

(٢) ممسون ١٤٤: ٢

(٤) الاصمعي ١٥٠١

ثم يقول :

اقطع الليل كله باكتئاب وزفير ، فإ أكاد انام
نحو قومي اذ فرقت بيننا الدار وحادث عن قصدها الاحلام (١)

وكان في العقيق ساحات تسمى بالعرصات ، منها عرصتان قال عنهما ياقوت
انهما من افضل بقاع المدينة واكرم اصقاعها وروى ان ذوي السلطان من بني
امية منعوا بناء المنازل فيها صوناً لها ، وضناً بها ، وان سلطان المدينة لم يكن
يقطع بها قطعة الا بامر الخليفة^(٢).

وقال بعض المدنيين في احدى عرصات العقيق .

وبالعرصة البيضاء ، اذ زرت اهلها ، مهابات ما عليهن سائس
خرجن لحب اللهو ، من غير ريبة ، عفاف ، باغي اللهو منهن آتس
بردن ، اذا ما الشمس لم يخش حرها ، خلال بساتين خلاهن يابس
اذا الحر آذاهن ، لذن بجره ؛ كما لاذ بالطل الطباء الكوانس (٣)

وكان في الحجاز مواسم غير موسم المطر والربيع في عقيق المدينة، منها موسم
المصيف في الطائف ، فلننتقل اليه .

الطائف

ولقد كانت الطائف ، احدى المدن الثلاث التي كان يعيش فيها ، او يتردد
اليها ، ابن ابي ربيعة ، حتى زعموا انه كان من اعلم الناس بامورها ، ورووا انه
لما قدم الوليد بن عبد الملك مكة ، سأل عن رجل له علم باموال الطائف ،
فقالوا : عمر بن ابي ربيعة ، قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل ، فذكروه له ،
فردّه . ثم عاد فسأل ، فذكروه ، فقال : هاتوه ، فركب معه يحدّثه^(٤).

الطائف مصيف

وتقع الطائف الى الجنوب الشرقي من مكة على نحو خمسة وسبعين ميلاً^(٥)،

(٢) ياقوت ٣ : ٦٤١

(١) الاصبهاني ١ : ١٥٠

(٤) الاصبهاني ١ : ٥٠٠ و ١٤٥ : ٥ و ٣١٤ :

(٣) ياقوت ٣ : ٦٤٣

(٥) بركهارت ٦٩ ويذكر مراسل النهار ، وهو احد اعضاء البعثة الصحية الى الحجاز في

ربيع سنة ١٩٣٤ ، في جريدة النهار عدد ٢٤٤ تاريخ ٦ حزيران سنة ١٩٣٤ ، ان المسافة ١٢٠
كيلومتراً .

وترتفع عن سطح البحر نحو خمسة الاف واربعمئة قدم^(١). وقد اتخذها اشرف الحجاز في ذلك العصر مصيفاً لهم ، كما لا يزالون يفعلون في هذا العصر . ذكر فيليبي انه في زيارته لها آخر الحرب الكبرى رأى الكثيرين من اعيان مكة ونبلاتها يصيفون فيها ، بحيث قال : ان عدد سكانها في الصيف بلغ العشرين الفا ، بينما لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة الاف^(٢). وهي خير مصيف ، فناها جميل وهواؤها عليل وماؤها عذب جارٍ واشجارها كثيرة وثمارها وفواكهها طيبة متنوعة ، ففيها العنب والتين والمان والمشمش والتفاح والدراقن والسفرجل والموز وغيرها من الفواكه^(٣). وفيها وفي جوارها مزارع كثيرة وحقول خضراء يقع بعضها على الطريق بينها وبين مكة^(٤). ويقول بر كهات عن بعض هذه المزارع : انها اجمل بقعة في الحجاز ، واهج موضع شاهده في طريقه الى الحجاز بعد تركه لبنان^(٥).

ويقول ياقوت عنها : « انها ذات مزارع ونخل واعناب وموز وساير الفواكه ، وبها مياه جارية وادوية تنصب منها الى تبالة » . ثم يقول : « وفي اكنافها كروم على جوانب ذلك الجبل ، فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان ، واما زبيبها فيضرب بحسنه المثل ، وهي طيبة الهواء شامية ، ربما جمد فيها الماء في الشتاء ، وفواكه اهل مكة منها »^(٦).

ولعل القارئ لا يزال يذكر ما روينا عن بيادر الزبيب التي رآها فيها سليمان ابن عبد الملك ، وقد روي انه قال : « لله در قسي باي ارض وضع سهامه واي ارض مهد عش فروخه »^(٧). وروي ايضاً انه دخلها هو ونفر معه ، فرأى بستاناً

(١) لامنس - في الموسوعة الاسلامية - تحت Ta'if (٢) فيليبي ١٩٢

(٣) ياقوت ٣: ٤٩٥ وفيليبي ١٩٢ وفي كتابه يذكر أكثر هذه الآثار ويشير الى عملها اللذيذ .

(٤) ياقوت ٣: ٤٩٥ وبركهات ٦٥ و٦٦ والفاكي ٢: ٧٦

(٥) بركهات ٦٥ وفيه يقول : « The village and neighborhood of Ras el Kora is the most beautiful spot in the Hedjaz, and more picturesque and delightful than any place I had seen since my departure from Lebanon in Syria. »

(٧) ياقوت ٣: ٤٩٧

(٦) ياقوت ٣: ٤٩٥-٤٩٦

لعمر بن العاص، فجال فيه ساعة، ثم قال: « ناهيكم بما لكم هذا مآلاً »^(١).
وفي بعض الاساطير العربية ان الطائف كانت قرية بالشام فنقلت الى
الحجاز^(٢).

في هذه البلدة — كما اشرنا — كانت تصيف اشراف الحجاز من اهل مكة
والمدينة^(٣). وقد ابنتى بعضهم دوراً او قصوراً يقضون فيها فصل الصيف .
ذكروا ان معاوية كان يقول اغبط الناس عيشاً مولاي سعد . وكان يلي امواله
بالحجاز ، ويتربع جدة ، ويتقيظ الطائف ، ويشتو بمكة^(٤).

وقد كانت زينب بنت يوسف — اخت الحجاج — فيما يظهر من شعر
النميري، تشتو بمكة ، وتصيف بالطائف^(٥).

وكانت عائشة بنت طلحة بعد ان تأملت تخرج الى مال لها عظيم بالطائف
وقصر كان لها هناك فتتزه فيه، وتجلس بالعشيات، فيتناضل بين يديها الرماة^(٦).

وكذلك كانت الثريا صاحبة عمر تصيف بالطائف^(٧). وقد كلفته ذات مرة

عناء عظيماً كابده في مسيره اليها من مكة ، وقد احتالت على استفداه اليها
بطريقة سنعرض لها في حينها^(٨). وكان عمر اذا لم يستطع زيارتها يغدو كل غداة
على فرسه ، يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف الى مكة عن
الاخبار قبلهم^(٩). حديثه او حديث عنه ا

الطائف موطن لربو

وكانت الطائف قبل الاسلام، فيما يظهر من بعض المصادر، بلد فجور وفسق
حتى زعموا ان النبي عندما صالح اهلها اشترط عليهم ان لا يؤنوا ولا يربوا. ويقول

(٢) ياقوت ٣ : ٥٠٠

(١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٨٥

(٣) لامنس — الموسوعة الاسلامية — تحت Ta'if ويذكر ان الطائف بعد الفتوحات الاسلامية
والتوسع صارت تابعة لمكة ، وادبل من كلا البلدين ، وحط من مكاتهما وصارت الزعامة
والسعة والرخاء في المدينة ، غير ان اهل الطائف استطاعوا جمعهم ان يجمعوا من جبالهم مصيفاً
ليس للمكيين فحسب، بل لاهل المدينة ايضاً، وهذا اقالوا من عثرة بلدهم، ورفعوا من شأنها.

(٥) ياقوت ٣ : ٥٠٠ وابن خرداذبه ١٢٤

(٤) ياقوت ٣ : ٥٠٠

(٧) الاصبهاني ١ : ٨٩ والبغدادى ١ : ٢٣٨

(٦) الاصبهاني ٦ : ٢٠

(٩) الاصبهاني ١ : ٨٥

(٨) الاصبهاني ١ : ٨٥

ياقوت : وكانوا اهل زناً ورباً^(١) . وربما كان اهلها ايضاً اصحاب شراب لان ارضهم كثيرة الكرم ، وقد عرف عن بعضهم ذلك^(٢) .

هذا ، وقد كانت بعيدة الى حد ما عن انظار العمال والولاة في المدينة او مكة بعد الاسلام بحيث استطاع من يرغب في اللهو ان يمارسه بعيداً عن اعين الرقباء ، وقد كان بعدها داعياً الى ان تكون مركزاً لهؤلاء الذين يُنفون من مكة والمدينة ، او الذين يهربون من غضب سلطان بني امية وغيرهم . والرواة يحدثننا ان الغريز المغني التجأ اليها مدةً حينما بعث اليه الحارث بن خالد المخزومي يقول : لا اريدك في علي^(٣) . وان ابن الزبير في خلافته نفى عبد الله ابن عباس اليها فتوفي فيها^(٤) ، ونفى اليها ابا العباس الشاعر الاعمى الاموي الميل^(٥) . وان سليمان بن عبد الملك منع ابن ابي ربيعة من الحج ذات مرة واورجه اليها^(٦) . وان الوليد بن يزيد اخراج يزيد بن ضبة الى الطائف وسوغه ماله هناك لبيعه . عن هشام بن عبد الملك ، خوفاً من ان يقتك به ، وسباه طريد الاحول ، يعني طريد هشام^(٧) .

ومن الناس من اتزوى مختاراً فيها لمدة ما ، كما فعلت سكينه بنت الحسين حين غاضبت زوجها زيد بن عمرو^(٨) .

ومهما يكن من الامر كله ، فاننا نرى ان بعدها عن اعين الرقباء في ذلك العصر ، مع ما احاطها وقتذاك من الظروف التي ذكرنا ، يترتب بعض اهل اللهو ان يمارسوه فيها ، وغلا بعضهم في لهوه حتى عرف الفسق فيهم وليس ادل على هذا من حياة العرجي الشاعر احد حفداء الخليفة عثمان بن عفان ، ويكفي ان تقرأ سيرته في الاصول المختلفة لتدرك ما نذهب اليه ؛ وقد صدر شعره يمثل هذه الناحية من حياته اقوى تمثيل^(٩) .

(٢) الاصبهانى ٣ : ١٩٢ و ٥٨ : ٦٠

(٣) اليعقوبى ٢ : ٢١٣

(٦) المرزبانى ٢٠٣ و الاصبهانى ٨ : ٥٨ و ١٠٠ : ٦١

(٨) الاصبهانى ١٧ : ٩٣

(١) ياقوت ٣ : ٥٠٠

(٣) الاصبهانى ٣ : ١٠٦

(٥) ٦٣ : ١٥

(٧) الاصبهانى ٦ : ١٤٦ - ١٤٧

(٩) اصبهانى ١ : ١٥٣ - ١٦٦

14

مكة ومواسمها

ولم تكن مكة ، وهي البلدة التي عاش فيها صاحبنا اكثر حياته ، وعاش فيها آباؤه واجدادهم من قبله ، اقل حظاً في هذه الناحية من المدينة والطائف . وتقع مكة في قلب الحجاز ، في منخفض من الارض تحيط به بعض التلال . وكانت لانخفاضها عرضة لمياه السيول التي تتحدر من التلال حولها ، ومن هنا نرى ان تاريخ مكة تكثر فيه اخبار السيول لاسيما تلك التي كانت تقع ايام الحج . وقد جاء سيلٌ عام ثمانين سمي بسيل الجحاف دخل المسجد ، واحاط بالكعبة ، وهدم الدور والشوارع على الوادي ، فقتل المدم ناساً كثيراً . ورقي الناس في الجبال واعتصموا بها ، وقال بعضهم واصفاً خروج المخبتات يرقين الجبل :

لم تر عيني مثل يوم الاثنين اكثر محزوناً وابكى للعين
اذ خرج المخبتات يسمين سوانداً في الجبلين يرقين (١)

وربما ، لولا قلة الامطار ، ولولا وجود الكعبة في بطن المنخفض ، لكانت الناس هجرت بطن مكة واستقرت في اعاليها .

ومناخ مكة حار ، ولهذا كان يلجأ الى مكة جماعات كثيرة من اهل الحجاز ، ممن جاور مكة ، او ممن كانوا بعيدين عنها كاهل الطائف او اهل المدينة ، ايام الشتاء فيتخذونها مشتي لهم بعد ان يكون بعضهم قد قضى صيفه في الطائف .

نشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف (٢)

وقال عمر في احدي صاحباته :

بالخيف منزلها ومسكنها ونخل مكة ، ان شئت ، قصرا (٣)

وكان سعد مولى معاوية يشتو كذلك بمكة ويتقيظ الطائف (٤) .

ولا يخفى ان الكعبة بنيت قبل الاسلام ، في ذلك المنخفض ، وان عائلات

(١) الازرقى ١ : ٢٩٥-٢٩٦

(٢) ياقوت ٣ : ٥٠٠ وابن خرداذبه ١٣٤

(٤) ياقوت ٣ : ٥٠٠

(٣) ابن ابي ربيعة (ش) ق ٢٦

كثيرة من قريش استقروا حولها ، ويعرفون بقريش البطاح ، بينما يعرف الذين استقروا في ظواهر مكة بقريش الظواهر .

وقد كان للبلدة تاريخ تجاري عظيم الشأن ، وكان لاهلها رحلات تجارية - شتوية وصيفية - أشار الى بعضها القرآن : « لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »^(١).

وكانت تذهب القوافل الى مختلف الجهات حولها ، ناقلة بضائع القطر الواحد الى القطر الآخر بحيث كانت تبلغ بعض القوافل نحو الفين وخمس مئة جمل ، ويكون فيها ما بين المئة والثلاث مئة رجل^(٢) ، وكانت بعض بضائع الهند والصين واليمن والحبشة من محمولها حتى اذا ما وفدت بهذه البضائع (الى سوريا) ، عادت حاملة بضائع بلاد البحر المتوسط من قطن وثياب مصبوغة وسلاح وجوب وزيت^(٣) . وكان من اعظم تجارها قبل الاسلام ، وفي صدره ، عبد الله بن ابي ربيعة والد صاحبنا عمر . وسنعرض للبحث في غنى هذا البيت عند تصدينا لدرس حياة عمر . والذي يهمنا الآن ان هذه الحياة التجارية قد امنت ثروة المكين ، ورفعت من شأن بلدهم ، بحيث استطاع الاب لامنس ان يقول في مقالته في الموسوعة الاسلامية عن ثروة مكة ، مؤيداً ونكراً في انها تقابل بثروة تدمر ، ما نصه :

« The 30,000 dinârs invested by the one house of Abū Ḥaiḥa in the Badr caravan suggests that H. Winckler is quite right when he tells us to think of the Palmyra of Zenobia if we wish to get an idea of the financial capacity of Mecca » . (٤)

ولقد اخذت مكة بسبب آخر ساعد على اثناء ثروتها ، هو وجود الكعبة فيها ، وكانت محجاً لكثير من العرب قبل الاسلام . ولحسن حظ مكة اقر

(١) القرآن - قريش - ١٠٦

(٢) لامنس - الموسوعة الاسلامية - تحت Mecca

(٣) « « « « « «

(٤) « « « « « «

الاسلام هذا الحج، على وجه خاص، وبشروط خاصة، بحيث كان القيام به امرًا واجباً على كل من استطاع اليه سبيلاً. ومع ان المدينة قد انتزعت الزعامة من مكة فصارت مركزاً للخلفاء الاول، وانتقلت اليها جماعات كثيرة من زعماء مكة واغنيائها، فان مكة بقيت صاحبة الحق في ان تكون اليها الحجة، وان يكون اليها مجتمع الحجاج من مختلف الاقطار، فاستعاضت بهذا عن بعض ما فقدته في تحول مركز السيادة الى المدينة. ✓

مواسم الحج

زيد ان فصل من هذا كله الى الالتفات الى هذه المواسم — ايام الحج — التي كان لها اثر كبير في الحياة الاجتماعية في مكة، وبالتالي في الحياة الادبية عند اكثر الشعراء الذين كانوا يشهدونها، وبنوع خاص في حياة صاحبنا وشعره.

ولا يهمني في هذا الصدد درس تاريخ هذه المواسم ومنشئها، ولا التعرض الى ذكر الشعائر الدينية التي كانت تقام فيها، وكيف كانت تقام، وجل ما اقصده هو التوصل الى كيف استغل طلاب اللهو من شباب الحجاز، فتياناً وفتيات هذه المواسم، فرحوا ما امكنهم المرح وطربوا ولهاو وعبثوا.

قال ابن فضل الله العمري في ايام منى: «منى حيث ترمى الجمرات، وتهمل العبرات، ذوات الليالي المقمرات، والايام التي سلخ من الكافور ثياب عشاياها المغبرات، يحلى بها من كل ترب عاطله، ويلتقي في كل سرب كل ذي دين وماطله، فيها مجمع الحجاج، والمحصب منها موضع الجمرات، يجتمع فيها الخليطان ايام الموسم، من شام وعين، وكانت في قديم الاسلام موسم لقاء الجانِب، ومكان موعد كل مفارق. وثلاث ليالي منى معروفة موصوفة، قد اكثر فيها الشعراء وترنم بها المتيعون.»^١

الشبان بنصرون للمرأة في الحج

وكان يجتشد في هذه المواسم خلق كثير من مختلف الاقطار التي خضعت للدولة العربية ، وكان اختلاط عظيم سهل لطلاب اللهو سبيلهم ، روى ان ابن ابي ربيعة شاعرا « كان يقدم ويعتمر في ذي القعدة ، ويحل ويلبس تلك الحلل والوشى ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج ويسبل لمتة ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدينيات الى مرو ، والشاميات الى الكديد »^(١) وقد ذكروا عنه كما سئرى قصصاً كثيرة عن تعرضه للحجج ، او مواكبته لبعضهم ، ومرافقته اياهم حتى يفرغوا من طوافهم وينقضي الحج وتفترق الركبان ، فيشيعهم ويعود لينشد الاشعار في صاحباته وقد ربط مع بعضهم عهود الحب ، او ضرب مع البعض الآخر مواعيد اللقاء ، فما ينقضي لهوه حتى تعاوده ذكريات الحج فينشد شعره فيها ، وهو يتشوق الى الموسم الجديد حين يعود الى سابق امره .

وكثيراً ما كان يتعرض بعض الشبان الى النساء في الحج دون ان يكون لهم بهن سابق عهد او معرفة^(٢) . روى ابو الفرج ان احدهم رأى امرأة جميلة من قضاة تسير مع رققة الى مكة في الموسم ، فصحب قومها وكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها الى نفسها ، فقالت : لا سبيل الى ذلك ، لانك لست لي بعشر ولا جار في بلدي ، ولا انا ممن تطعمه رغبة عن بلده ووطنه فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحج ففرق بينهما تزوجهما الى اوطانهما^(٣) .

وكان العرجي يتصدى للغانيات في المواسم مثل عمر ، وقد قال في احداهن :

اماطت كساء الخز عن حرّ وجهها ، وادنت على الخدين برداً مهلهلاً

(١) الاصبهاني ١ : ٨٨

(٢) الاصبهاني ١ : ٢٧ و ٦٥ والدميري ١ : ٢٢٦

(٣) الاصبهاني ١ : ١٥٢

من اللاء لم يحججن يغبين حسبة ، ولكن ليقتلن البريء المفتلا
 راتي خضيب الرأس، شمريت مثرري، وقد عهدتي اسود الرأس مسبلا
 خطوا الى اللذات اجررت مثرري كاجراوك الحبل الجواد المحجلا
 صريع الهوى ، لا يبرح الحب قاندي بشر ، فلم اعدل عن الشعر معدلا
 لدى الجمرة القصوى، فريعت وهلت ، ومن ريع في حج من الناس هتلا (١)

ذكر ابو الفرج باسناد قال: « قال عبيد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً ،
 فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفئت فيه ، فادنيت ناقتي، منها ثم قلت لها:
 يا امة الله ، الست حاجة ، اما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجهه يبهز الشمس
 حسناً ، ثم قالت: تأمل يا عمي ، فاني ممن عنى العرجي بقوله :

من اللاء لم يحججن يغبين حسبة ولكن ليقتلن البريء المفتلا

قال: فقلت لها فاني اسأل الله ان لا يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك
 سعيد بن المسيب فقال: اما والله لو كان من بعض بغضاء اهل العراق لقال لها
 اعزني قبحك الله ولكنه ظرف عبأد الحجاز (٢).

وللعرجي هذا في احداهن واصفاً لقاءه بها ايام الحج :

ما نلتقي الا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر

الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر الا الحول والشهر (٣)

ومها يكن من امر هذه المواسم فالمحقق لدينا من شعر شعراء ذلك العصر
 ان النساء كن يارسن اكثر هذه الطقوس الدينية في مواسم الحج مع الرجال ،
 وكانت الرجال تتنزه هذه الفرص للتعرض الى النساء فيتعرفون بهن ويتحدثون
 معهن سواء اكان وقت الطواف والعمرة او بعد الفراغ منهما وان كثيراً من
 هذا الشعر الذي تحذر الينا من ذلك العصر والذي دار على الغزل، واقتصر على
 المرأة قد انتجته هذه المواسم التي ذكرنا وبالاخص موسم الحج ، حتى زعموا ان
 البعض من شباب الطبقة الارستقراطية في ذلك العصر لم يقصدوا من الحج
 وحضور تلك المواسم الا مقابلة المرأة والتعرض لها. قال العرجي :

(٢) الاصبها في ١٧ : ١٢٠ - ١٢١ و ١٦١

(١) الاصبها في ١٧ : ١٢٠

(٣) الاصبها في ١ : ١٦٣

اني اتيت لي بمانيه احدى بني الحارث من مذحج
 نلت حولاً كاملاً كله لا نلتقي الا على منهج
 في الحج، ان حجت، وماذا منى واهله، ان في لم نخرج (١)

وكان لا بد من ان تتعرض المرأة امام نظر الرجل عند قيامها ببعض هذه الطقوس، وبنوع خاص عند استلام الركن او الحجر الاسود، حيث يكثر الزحام ويتدافع الناس لكي يصلوا اليه^(٢)، ومع ان الازرقى يذكر ان عطاء ابن ابي رباح رأى امرأة تريد ان تستلم الركن، فصاح بها وزجرها، وقال: غطي يديك لاحق للنساء. في استلام الركن^(٣)، فاننا نرى في الباب نفسه، بل وفي القصة نفسها ايضاً، ما يفيد ان المرأة كانت تستلم الركن^(٤). وروى ابو الفرج قال: «بينما عمر ابن ابي ربيعة يطوف بالبيت، اذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وكانت من اجل دهرها، وهي تريد الركن تستلمه، فبهت لما رآها، ورأته وعلمت انها قد وقعت في نفسه، فبعثت اليه بجارية لها وقالت: قولي له اتق الله ولا تقل هجراً فان هذا مقام لا بد فيه مما رأيت، فقال للجارية: اقريئها السلام وقولي لها: ان ابن عمك لا يقول الا حسناً^(٥)».

وقيل في موضع ثان ان عمر لم يزل ينسب بعائشة ايام الحج، ويطوف حولها، ويتعرض لها، وهي تكره ان يرى وجهها، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر اليها، فقالت: اما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق. فقال:

اني واول ما كلفت بذكرها عجب، وهل في الحي من متعجب
 نعمت النساء فقلت لست ببصر شيئاً لها ابداً ولا بمقرب
 فكئن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها لقاء الانشب
 اقبلت انظر ما زعمن وقلن لي، والقلب بين مصدق ومكذب
 فلقيتها تمشي تصادى موهناً ترمي الجمار عشية في موكب
 غراء يعشي الناظرين يياضها حوراء في غلواء عيش معجب (٦)

وروا ان رقية بنت عبد الواحد بن ابي سعد العامرية احدى محبوبات

(٢) الازرقى ١: ٢٣٦

(١) الاصبهاني ١: ١٦٢

(٤) « ١: ٢٤٠

(٣) الازرقى ١: ٢٤٠

(٦) الاصبهاني ١: ٨٠-٨١

(٥) الاصبهاني ١: ٧٩-٨٠

عبيد الله بن قيس الرقيات حجت . فطافت ليلة بالبيت ثم اهوت ، لتستلم الركن الاسود وتقبله ، وقد طاف عبيد الله بن قيس الرقيات ، وفند مولى عائشة بنت سعد بن ابي وقاص ، فصادف فراغها فراغها ، فاهوى ابن قيس يستلم الركن الاسود ويقبله ، فصادفها قد سبقت اليه فنفتحته بردنها فارتدع ، وقال لفند : من هذه ؟ قال : أو لا تعرفها ؟ هذه رقية بنت عبد الواحد . فقال ابن قيس :

من عذيري ممن يضنّ بمذو ل لغيري عليّ عند الطواف

قالوا ولما نفحته بردنها فاحت منه رائحة المسك حتى عجب من في المسجد وكأنا فتحت في المسجد لطيمة عطار ، وفي هذا يقول ابن قيس ايضاً :

سائلا فنداً خليي كيف اردان رقيه (١)

ويذكر المسعودي انه بلغ خالداً القسري (وهو والي مكة اواخر القرن الاول للهجرة) قول الشاعر :

يا حبذا الموسم من موقفٍ وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللائي يزاحمتنا عند استلام الحجر الاسود

فقال خالد : اما انهن لا يزاحمتك بعد هذا ابداً ، ثم امر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف^(٢).

واذا لاحظنا ان خالداً هذا كان والياً على مكة بعد ٩٢ هـ . ادر كنا ان القرن الاول للهجرة — اذا صحت هذه الرواية — كاد ينسلخ ، والرجال والنساء يطوفون معاً ، والغريب ان خالداً هذا كان — فيما سنرى عند درسنا اصدقاء عمر — رسولاً بين عمر وبين بعض صاحباته . ولعبيد الله في الثريا صاحبة عمر :

حبذا الحج والثريا ومن بالخيف من اجلها وملقى الرجال
يا سليمان ان تلاقِ الثريا تلق عيش الخلود قبل الحلال (٣)

ولنصيب الشاعر ولكثير ولجميل والاحوص وللحارث اشعار في هذه المواسم ، ليس هنا موضع ذكرها ، فلترجع في مظانها .

مواكب الشريقات من نساء ذلك العصر

والهم ان نعلم ان النساء كن يدركن اهمية هذه المواسم عند هذا النفر من شبان العرب الارستقراطيين ، فكان يلبس لها احسن الثياب ويتزين احسن الزينة وكانت الشريقات منهن يقدمن الى الحج بمواكب تستلفت الانظار تحفهن الجواري ذات اليمين وذات الشمال ، ذلك كان شأن عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وفاطمة بنت عبد الملك وعاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وقریباً من ذلك كان شأن الكثيرات من شريقات ذلك العصر من حجازيات هاشميات او شاميات امويات او عراقيات عربيات ، وكن يتبارين في هذا الظهور روى ابو الفرج قال : استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج فاذن لها وقال : ارفعني حوائجك واستظهري ، فان عائشة بنت طلحة تحج ففعلت فجاءت بهيئة جهدت فيها فلما كانت بين مكة والمدينة ، اذا موكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها فقالت : ارى هذه عائشة بنت طلحة فسألت فقالوا : هذه خازنتها . ثم جاء موكب آخر اعظم من ذلك فقالوا : عائشة ، عائشة ، فضغطهم ، فسألت عنه فقالوا : هذه ماشطتها ، ثم جاءت مواكب على هذا اي سننها ، ثم اقبلت كوكبة فيها ثلثائة راحلة . عليها القباب والهواذج ، فقالت عاتكة : ما عند الله خير وابقى^١ .

وروي ايضا ان عائشة حجت ذات مرة ، ومعها ستون بغلاً عليها الهواذج والرحائل ، فعرض لها عروة بن الزبير فقال :

عائش يا ذات البغال الستين اكل عام هكذا تحجين

فارسلت اليه : نعم يا عروة . فتقدم ان شئت ، فكف عنها^١ .

وروي ايضا انها حجت وسكينة بنت الحسين معاً ، وكانت عائشة احسن مركباً وثقلاً ، فقال حادياها :

عائش يا ذات البغال الستين لا زلت ، ما عشت ، كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ، ونزل حادياها فقال :

عائش هذه ضرة تشكوك لولا ابوها ما اهتدى ابوك^١

بعض النساء يرغبن في انه يذكره في الشعر اعادة لا لزوم لها وطبقاً
 وكان بين مواكب الحاجات من ترغب في ان ترى وقدمج، فكان لا يكذب
 يرجعن من الحج حتى تطير ابيات الشعراء في اطرائهن ومدحهن والتشبيب بهن
 حتى لقد روى الرواة ان بعضهن كن يعضبن اذا لم يسمعن ان الشعراء قد
 شيبوا بهن واطروهن وذكروا من محاسنهن، قال ابو الفرج: ان بنتاً لعبد الملك
 حجت فكتب الحجاج الى ابن ابي ربيعة يتوعده ان ذكرها في شعره بكل
 مكروه، وكانت تحب ان يقول فيها شيئاً، وتعرض لذلك، فلم يفعل خوفاً
 من الحجاج، فلما قضت حجبها خرجت، فمر بها رجل، فقالت له: من اين
 انت؟ قال: من اهل مكة. قالت: عليك، وعلى اهل بلدك لعنة الله. (١)
 قال: ولم ذلك؟ قالت: حججت، فدخلت مكة، ومعني من الجواري ما لم
 تر الا عين مثلن، فلم يستطع الفاسق عمر ابن ابي ربيعة ان يزودنا من شعره
 ابياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا. قال: فاني لا اراه الا قد فعل. قالت:
 فاتنا بشيء ان كان قاله، ولك بكل بيت عشرة دنائير، فضى اليه، فاجبره،
 فقال: لقد فعلت، ولكن احب ان تكتم علي، قال: افعل. فانشده
 قصيدته:

راع الفؤاد تفرق الاحباب يوم الرحيل فهاج لي اطرابي

وانشده قصيدة اخرى، فعاد اليها الرجل، فانشدها هاتين القصيدتين،
 فدفعت اليه ما وعده به^(١).

ولعمري فيها، وفيه اشارة الى خوفه من الحجاج:

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي ليتني مت قبل يوم الرحيل
 لا اطبق الكلام من شدة الخوف ودمني يسيل كل مسيل (٢)

الشعراء يرضونه النساء

وكان الشعراء يعنون في ان يرضوا هؤلاء النساء. روى ان عائشة بنت

طلحة حجت ، وكان الشاعر الحارث بن خالد المخزومي والياً على مكة
اعبد الملك بن مروان ، وكان يهواها ، فارسلت اليه : آخر الصلاة حتى افرغ من
طوافي . فامر المؤذنين ، فاخروا الصلاة ، حتى فرغت من طوافها ، وانكر
اهل الموسم ذلك . هي تحج والناس تضج ، وهو لا يأبه لهم ، ولما بلغ
الامر عبد الملك بعث اليه بعزله وأنبه . فقال : ما اهون والله غضبه وعزله
اياي علي عند رضاها عني^(١) .

الفناء في الحج

ويحدثنا الرواة انه قد كانت تمهد في هذه المواسم سبلُ الطرب ، فهم
يروون لنا ان الغريض المغني كان يعترض الحجاج بصوته ، وهم في حجهم ،
فيصغون اليه^(٢) . وانه غناهم مرة :

اجا الرايح المجد ابتكارا قد قضى من حمامة الاوطارا

فاطرب الناس ودهشهم ، فقالوا : طائفة من الجن حجاج^(٣) . وهم
يحدثوننا ان ابن عائشة كان واقفاً في الموسم متحيراً ، فرآه بعض اصحابه ،
فقال له : ما يقيمك هاهنا ؟ فقال : اني اعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس
هاهنا ، فلم يذهب احد ولم يجيء . فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : انا .
ثم اندفع يغني :

جرت سنجاً فقلت لها اجيزي نوى مشمولة فنى اللقاء

قال : فحبس الناس ، واضطربت المحامل ، ومدت الابل اعناقها ، وكادت
الفتنة ان تقع^(٤) . وهم يحدثوننا ان الاجير كان يقف بين المأزمين ، ويرفع
صوته ، فيقف الناس له يركب بعضهم بعضاً ، وانه جلس في ليلة اليوم السابع
من ايام الحج على قريب من التنعيم^(٥) ، فاذا عسكر جرار قد اقبل في آخر
الليل ، فاندفع فغنى :

عرفت ديار الحي خالية قفرًا

(٢) الاصبهاني ٢ : ١٣٠

(١) الاصبهاني ١٠ : ٦١

(٤) « ٢ : ٦٤

(٣) « ٢ : ١٣٠

(٥) موضع بمكة . راجع طبعة دار الكتب للآغا ٣ : ٣٤٦

فلما سمعه من في القباب والمحامل امسكوا ، وصاح صائح : ويحك
اعد الصوت^(١) . وهم يحدثونا ان ابن سريج كان يغني من اخشب منى غداة
النفر ، فيتردد الانين والحنين من الاخبية والمضارب^(٢) .

ولقد بلغ اللهو والغناء ايام الموسم مبلغاً ليس بيسير بحيث ان هشام بن
عبد الملك امر الوليد بن يزيد ان يحج عاماً من الاعوام ليهتكه عند اهل الحرم ،
فيجد السبيل الى خلعه ، ورووا انه قد ظهر من الوليد اكثر مما اراد به هشام^(٣) .
وتردد الفرزدق الى الحجاز ، وشهد هذه المواسم ، فاتبع بعض سبل اللهو
فيما يروون ، وقد استغل هذا جرير في هجوه له في اكثر من قصيدة . وقد قال
راداً على قصيدة الفرزدق التي مطلعها : « عرفت المواسم من مهدد » :

زار الفرزدق اهل الحجاز فلم يحظَ فيهم ولم يحمد
واخزيت قومك عند الحطيم وبين البقيعين والفرقد
وجدنا الفرزدق بالموسمين خبيث المداخل والمشهد (٤)

وقال الفرزدق قصيدة يدح فيها هشاماً ويهجو جريراً ، مطلعها :
الستم عائجين بنالمتنا نرى العرصات او اثر الخيام
ثم توصل الى وصف ناقته فقال فيها :

إلامَ تلتفتين ، وانت تحقي ، وخير الناس كلهم امامي
متى تردي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوام

فقال جرير يرد عليه ، ويتدع له سبياً لهذا التلفت :
تلفتت انما تحت ابن قين حليف الكبر والفس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيهما كخزيك في المواسم كل عام (٥)

ولم يفت الاحوص اذا حج ان يتبع بعض سبل اللهو ، وقد ذكر شيئاً عن
عبثه ليلةً بمنى في شعر دفعه الى المغنين^(٦) .

- (١) الاصبهاني ١١٥: ٣-١١٦ (٢) الاصبهاني ١١٥: ١
(٣) الاصبهاني ١١٦: ٣ (٤) جرير والفرزدق ٢: ٢١٨
(٥) جرير والفرزدق ٢: ١٠١٦ والبيتي ١: ١٠٠ (٦) الاصبهاني ١: ٦٠

وليس خافياً ، بعد كل ما ذكرنا ، اثر هذه المواسم في حياتهم الاجتماعية والادبية ، وسنرى ان عمر لم يفته ان يخلد في شعره شيئاً من صورة تلك الحياة البهيجة زمن المواسم في الحجاز ، وهو القائل فيها :

فلم ارَ كالتجدير منظر ناظر ولا كلبالي الحج افنن ذا هوى (١)

وهو القائل ايضاً في عائشة بنت طلحة :

اني واول ما كلفت بجمها	عجب وهل في الحي من متعجب
نمت النساء فقلت لست ببصر	شبهها لها ابداً ولا بمقرب
ولقد تركن حرازة في قلبه	منها بحق او حديث المهرب
فكنن حيناً ثم قلن توجهت	للحج موعدها لقاء الاخشب
اقبلت انظر ما زهن وقلن لي	والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها عشي تحادي موهاً	ترمي الجمار عشية في موكب
غراء يُمشي الناظرين يياضها	حوراء في غلواء عيش معجب (٢)

وقال في احدى صاحباته :

حي الرباب وترجها	اسماء قبل ذهابها
ارجع اليها بالذي	قالت برجع جواها
عرضت علينا خطة	مشروقة برضاها
وتدللت عند العتاب	فرحياً بمناجا
تبدي مواعد حمة	وتضن عند ثوابها
ما نلتقي الا اذا	تزلت مني بقاياها
في النفر او في ليلة الا	تحصيب عند حصاها (٣)

ولعل الرواة قصدوا الى ان عيته بسبب بعض هذه الآثام التي كان يرتكبها ايام الحج ، فزعموا انه رأى امرأة بالطواف ، فذكرها بشعره ، فدعت عليه فات في دعوتها فيما يزعمون !

الصبر

وهناك ضروب اخرى من اللهو كانت تعرف بعضها العرب قبل الاسلام ، وظل يارسها بعض شباب الاشراف عصر بني امية ، اهمها الصيد ، وقد ولع به

(١) ابن ابي ربيعة (ع) ١٦ وفيه افنن في موضع افنن

(٣) ابن ابي ربيعة (ع) ٥١

(٢) ابن ابي ربيعة (ع) ٣٤

بعض الفتيان في ذلك العصر ، فكان في دمشق يزيد بن معاوية من اشهر الذين شغفوا بهذا اللهو فيما يروون . قال المسعودي : « وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكراب وقرود وفهود »^(١) . وروى الطبري خطبة لعبد الله بن الزبير قالها حين بلغه قتل الحسين ، ونعى فيها على يزيد اموراً ، منها الركض في تطلاب الصيد^(٢) . وزعم ابن الطقطقي ان يزيد كان موثق الرغبة في اللهو والقنص ، وانه كان اشد الناس كلفاً بالصيد ، وكان يلبس كلاب الصيد جلاًلاً ثينةً ، ويقم على كل كلب من كلاب صيده عبداً يتمهده ويخدمه^(٣) .

ويذكر الاستاذ زيدان ان نفراً من خلفاء بني امية ، غير يزيد ، لهوا بالصيد ايضاً^(٤) . ويروي ابو الفرج رواية عن خروج الوليد بن يزيد يوماً يتصيد وحده بحيث كاد يتعرض لخطر عظيم من احدهم^(٥) .

وشهر في الحجاز بهذا اللهو نفر ، منهم العرجي الشاعر ، وقد روى عنه ابو الفرج « انه كان مشغوقاً باللهو والصيد ، حريصاً عليها ، قليل المعاشاة لاحد فيها »^(٦) . وانه كان من افرس الناس ، وارماهم ، وابراهيم لسهم ، وكان له بستان يقال له العرج ، ييري من قضبان رمانه السهام^(٧) . ومنهم محمد بن بشير الخارجي الشاعر ، وقد روي عنه انه كان صاحب صيد ، وكان يقيم في بوادي المدينة^(٨) .

ويروي عن الحجاج حينما كان اميراً في الحجاز انه خرج متصيداً بالمدينة ، وانفرد عن موكله في ضواحيها^(٩) .

[وكان الصيادون ، فيما يظهر ، يستعينون بطيور الصيد كالبازي وغيره ،^(١٠) وبالكلاب] ويروي ابو الفرج ان عبد الرحمن بن الحكم ، وعبد الرحمن بن

(١) المسعودي ١٥٦:٥

(٢) الطبري II: ٢٩٦ وراجع الدميري ٥٦:١

(٣) ابن الطقطقي ١٢٧ و ٦٧

(٤) الاصبهاني ١٢٢-١٢١: ٦

(٥) الاصبهاني ١٦٠: ١

(٦) زيدان (ت) ١٥٠: ٥

(٧) الاصبهاني ١٢٢: ٢

(٨) الاصبهاني ١٤٨: ١٢-١٥٢

(٩) ابن عبد ربه ١٢٢: ٢

(١٠) جرير والفرزدق ٥٥٥: ٢

حسان خرجا الى الصيد بأكلب لهما في اماره مروان^(١). ويروى في موضع آخر ان بعضهم كان يستعين بالكلاب والشباك ايضاً^(٢).
ولقد ساهم ابن ابي ربيعة مع زملائه من شباب الطبقة الارستقراطية في هذا اللهو ، كما سئى من شعره ، وله ابيات يذكر فيها مباغتته لبعض صاحباته ، وهو على ظهر فرسه يحمل البازي :

فلم يرعهن الا العيس طالمة يحملن بالنف ركابا واكوارا
وفارس معه البازي فقلن لها هام اولاء وما اكثرن اكثارا (٣)

وليس خافياً ان مكة حرم ، لا يصطاد فيها ، فن الطبيعي اذا ان تكون اغلب رحلات الصيد في المدينة ، والطائف ، وضواحيها. فقد كانت الطائف غنية بالبساتين كما رأينا ، وكان في المدينة وادي العقيق ، وبه البقيع ، وكان كثير النبت والشجر ، وروى البكري انه كان متندى للناس ، ومتصيداً^(٤).

الباق

وكان السباق من الامور التي الفها العرب في جاهليتهم ، وكانت احدى حبايقه ، فيما يروون ، داعياً لحرب ضروس بين عبس وذبيان ، هي حرب داحس والغبراء. ويظهر ان ولعهم بالسباق بعد الاسلام ازداد وقوي. قال زيدان في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي : « ولما تحضروا بعد الاسلام ، بالغوا في اتخاذ الميادين ، واستكثروا من الخيول ، وتفننوا في تضييرها »^(٥). وروى انه « كان لمعاوية حلبة يخرجون اليها في ايام معينة للسباق ، فن حاز قصب السبق اجازوه »^(٦).

وروى المسعودي ان يزيد بن معاوية كان قد رتب قرداً يكنى بالي قيس ، وكان يحمله على اتان وحشية قد ذلت وريضت لذلك ، فكانت تلجم وتسرج له ، وكان نبيهاً خبيثاً ، فيركب عليها ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة .

(٢) الاصبهاني ١٤: ١٥٢

(٤) البكري ١٧٠

(٦) زيدان (ت) ١٠١: ٥

(١) الاصبهاني ١٣: ١٥١

(٣) ابن ابي ربيعة (ش) ق ١٠

(٥) زيدان (ت) ١٠١: ٥

وذكر ان ابا قيس هذا جاء في بعض الايام سابقاً ، فتناول قصبة السبق التي تفرس في آخر الحلبة ، ودخل الحجره قبل الخيل ، وكان عليه رداء من الحرير الاحمر والاصفر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات الوان ، وعلى الاثان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بانواع الالوان . وقال في وصف سبق ابي قيس بعض شعراء الشام :

تمسك ابا قيس بفضل عناها فليس عليها ان سقطت ضا^١
الا من رأى الفرد التي سبقت به جباد امير المؤمنين اثن^١

ويروي المسعودي عن هشام بن عبد الملك انه اقام حلبه ، اجتمع له فيها من خيله وخيل غيره اربعة آلاف فرس ، ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لاحد من الناس.^٢

وكان الوليد بن يزيد مغرى بالخيول وحبها وجمعها واقامة الحلبة لها . وكان السندي فرسه جواد زمانه فيما يزعمون.^٣

ويذكر ابن عبد ربه ان العرب كانت تراهن في السباق في جاهليتها على شيء معلوم ، يضعه كل من صاحبي الجوادين المتسابقين مثلاً ، فايهم سبق اخذ الرهن كله . ثم قال : « وهذا القمار المنهى عنه ، فان كان الرهن من احدهما بشيء مسمى ، على انه ان سبق لم يكن له شيء ، وان سبقه صاحبه اخذ الرهن ، فهذا حلال ، لان الرهن انما هو من احدهما دون الآخر ، وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهناً ، وادخلا بينها محلاً ، وهو فرس ثالث ، يكون مع الاولين ، ويسمى ايضاً الدخيل ، ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ، ثم يرسلون الافراس الثلاثة ، فان سبق احد الاولين اخذ رهنه ورهن صاحبه ، فكان طيباً ، وان سبق الدخيل اخذ الرهنيين جميعاً ، وان سبق هو لم يكن عليه شيء . ولا يكون الدخيل الا رائعاً جواداً لا يأمنان ان يسبقها ، والا فهذا قمار ، لانها كانت لم يدخلا بينها محلاً » .^٤

ويظهر انهم بواسطة مثل هذا التحليل استمروا على الرهان ، ويروي ابن

(٢) المسعودي : ٥ : ٤٦٦

(٤) ابن عبد ربه : ١ : ٦٥

(١) المسعودي : ٥ : ١٥٧ - ١٥٨

(٣) المسعودي : ٦ : ١٢

قتيبة انه كانت لجاشع بن مسعود فرس يقال لها الدبساء سابق عليها ، ويقال انه اخذ في غاية واحدة خمسين الف درهم ^(١).

الجلاهقات وطيران الحمام

والجلاهقات لعبة اخذها العرب عن الفرس في صدر الاسلام فيما يظهر ، فقد روى ابن الاثير والسيوطي ان اول منكر ظهر بالمدينة ، حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس ، كان طيران الحمام ، والرمي على الجلاهقات ، وهي قوس البندق ^(٢) . وان عثمان بن عفان استعمل سنة ثمان من خلافته رجلاً من بني ليث ، فقص الطيور ، وكسر الجلاهقات ^(٣) .

ولسنا ندري هل عاد العرب الى هذا اللهو زمن بني أمية ام لا ، حيث لم نقف بعد على ذكر له قبل عصر بني العباس .

الفرد والسطرنج وغيرهما من ألعاب اللهو

لقد مر معنا خبر عبد الحكم الجمحي الذي اتخذ في المدينة بيتاً ، جعل فيه شطرنجات ، وزدات ، وقرقات ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار اوتاداً ، فن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفتراً فقراه ، او بعض ما يلعب به فلبس به مع بعضهم ، وكيف ان الاحوص دخل ذلك البيت ، واجتر الشطرنج ، وطلب من يلعب معه ^(٤) . وهو خبر ، اذا صح ، يفيد ان هؤلاء الذين القوا حياة اللهو والعبث في ذلك العصر ، لم يجرموا من بعض اسباب اللهو التي ترافق الحضارة ، فكان في مقدورهم ان يجتمعوا الى اخوانهم في نادٍ ، لا يقل بكثير عن الاندية التي نأفها في هذا العصر في مختلف حواضر العالم العربي .

(١) ابن قتيبة (م) ١٦٨-١٦٩

(٢) لهم يقصدون بهذا اخم كانوا يرمون البندق عن الاقواس كما يرمون النبال .

راجع زبدان (ت) ١٥٣:٥

(٣) ابن الاثير ٧٦:٣ والسيوطي ٦٤

(٤) راجع ص ٢٤ من كتابنا هذا ، والاصبهاني ٥٢:٤

ومها يكن من امر صعة هذا الخبر، فالمرجح ان كثيراً من العاب الفرس قد انتقلت الى العرب ، وبنوع خاص النرد والشطرنج ، ويروي لنا ابو الفرج في اغانيه خبراً عن اشعب ، وقد لآعب بالنرد احدهم ، واشرف على أن يقرمه الا بضرب « زهر » خاص عينه اذا ضربه خصمه خسر.^{١)}

ولعبد الحميد الكاتب رسالة كتبها الى احد الولاة نيابةً عن الخليفة مروان ابن محمد ، فيها ما يفيد اعتكاف بعض الناس على الشطرنج ، قال : « وقد بلغ امير المؤمنين ان اناساً ممن قبلك من اهل الاسلام قد الهجهم الشيطان بها ، وجمعهم عليها ، وآلف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى مساءهم ، ملهية لهم عن الصلوات ... الخ ».

ثم يأمرهم في آخر الرسالة بتشديد العقوبة عليهم.^{٢)}

ويظهر ان هذه الالاب كلها لم تنتشر وتعرف عند عامة الناس قبل آخر العصر الاموي ووائل العصر العباسي ، وذلك عندما قوي الاتصال بين العرب والفرس . غير ان العرب لم يعدموا في جاهليتهم من بعض الالاب فظلوا يمارسون بعضها في الاسلام . روى الفاكهي قال : « ان الامام عمر بن الخطاب (رضه) قدم مكة ، فرأى الكرك تلعب به فقال : لولا ان رسول الله (صلعم) اقرك ما اقررتك ، وقال المكيتون : هو لعب قديم كان اهل مكة يلعبون به ، ولم يزل حتى كانت سنة عشر ومايتين ، وقال ابو القاسم العابدي وغيره من اهل مكة : كان اهل مكة يلعبون به في كل عيد ، وكان لكل حارة من حارات مكة كرك يعرف بهم ، يجمعون له ، ويلعبون في حارة ، ويذهب الناس فينظرون في تلك المواضع ، الى الثانية ، والى قميعان ، والى اجيادين ، والى فاضح ، والى المعلاة ، والى المسفلة ، فكان ذلك من لعبهم يلعبون به في كل عيد . وروى ايضاً ، قال : « قدم رجل من اهل مكة ، فقال له علي (رضه) : كيف تركت قريشاً والناس بمكة ، فقال : تركت قينان قريش يلعبون بالكرة بين الصفا والمروة . هكذا في الحديث ، بالكرة ، وانما هو بالكرك ، واطن

اهل العراق من المحدثين لم يضبطوه فقالوا الكرة. ^{١)}
وفي نقائض جزير والفرزدق ان الكرج لعبة يلعبها المخشون. وقال جرير:
لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحاً كرج وجلاجله ٢)

طرف الحجاز

وهناك ناحية من حياة هؤلاء القوم في ذلك العصر ، لاسيا في الحجاز ، لم نعرض لها بعد ، تلك ناحية الدعاية والمزاج ، اللهو البري. الذي كان يقضيه هؤلاء الناس من اشراف الحجاز ، وفقهائها ، وشعرائها ، وغيرهم ، في مجالس سمرهم ولهوهم ، واوراق انسهم وطربهم ، وهم في خفض من العيش ، ولين ، ودعة ، لا يعكر عليهم صفو هذا الانس معكر ، ولا يفسد عليهم لذته مفسد ما ، حتى عرف هذا الامر بالظرف الحجازي .

ولعل مصدر هذا الظرف طبيعة نفوس الحجازيين واقليمهم ، غير اننا لا نستطيع اهمال ما كان لهذه التطورات المختلفة — التي حاولنا تصويرها — من اثر فيه . فكان انتقال الخلافة الى دمشق ، وبعد اهل الحجاز عن اعين الخلفاء ، واقضاء زعمائهم عن الخوض في غمار السياسة — اذا لم يكونوا من المواليين لسلطان بني أمية — وتحدروا من عائلات ساهمت في نشر الاسلام وتمكينه في مختلف الاقطار ، وتنعمهم بالمال والفيء الذي افاده الله على حجازهم ، وتمتعهم ببعض اسباب اللهو التي فشت في قطرهم ، وترددتهم الى مجالس الغناء ، وحلقات الشعر ، ومتزهات العقيق ، والطائف ، ومواسم الحج ، اقول : كان لهذه كلها ، او بعضها ، اثر كبير في كيان هذا الظرف الذي نشير اليه .

ولعل القارئ قد لمس شيئاً منه فيما حاولنا درسه من نواحي حياة اهل ذلك الجيل المختلفة في الحجاز ، لاسيا في هذه المواسم التي كانوا يشهدون .

طرف ابي السائب

وليس ادل على هذا الظرف من هذه القصة التي روينا عن ابي السائب المخزومي ، في نزته الى العقيق ، وسماعه فيه بيتين من شعر العرجي آخرهما :

فتلازما عند الفراق صباةً اخذ الغريم بفضل ثوب المسر
فيقول لمنشده : أعدده ! فيعيده . فيقسم ابو السائب ان امرأته طالق ان
نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته .

وقد روي عن ابي السائب هذا قصص كثيرة تشير الى هذا الظرف
الحجازي . منها ان رجلاً قال : « مررت بسوق الطير ، فاذا الناس قد اجتمعوا
يركب بعضهم بعضاً ، فاطلعت ، فاذا ابو السائب المخزومي قائم على غراب
يباع ، وقد اخذ بطرف ردائه ، وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذريح :
الا يا غراب البين قد طرت بالذي احاذر من لبنى فهل انت واقع

لم لا تقع ؟ ويضربه بردائه ، والغراب يصيح ، قال : فقال له قائل :
اصلحك الله ! ليس هذا ذاك الغراب . فقال : قد علمت ، ولكن اخذ البري .
حتى يقع الجري . »^{١)} . ومن هذه القصص ايضاً ما رواه عنه ، وعن عبد الله
ابن مسلم بن جندب الهذلي ، قالوا : غدا عبد الله على ابي السائب في
مزله ، فلما خرج اليه ابو السائب انشده قول جرير :

ان الذين غدوا بليك غادروا وشلاً بمينك لا يزال معيناً
غيضن من عبراتن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقيتنا

فحلف ابو السائب ان لا يرد على احد سلاماً ، ولا يكلمه الا بهذين
البيتين ، حتى يرجع الى مزله ، وخرج هو وصاحبه ، فلقيا قاض من آل المطلب
فقال : كيف اصبح القرينان ؟ — وكانا يديعان القرينين اصدقتها ولما لهما —
فانشده ابو السائب البيتين ، ولم يرد سلاماً ، واخذ يغمز ابن جندب ان يخبره
بيمينه وقصته ، فتعافى ولم يفعل ، فانسكر القاضي هذا الامر ، وسأل ابن جندب
عن امر ابي السائب ، فقال : ما زلت منكراً لحاله منذ خرجنا ، فانصرف ابن
المطلب مقتماً ، فلما بلغ ابو السائب مزله ، وبرت يمينه ، قال الى ابن جندب :
هلم بنا الى ابن المطلب القاضي ، فاني اخشى ان يرد شهادتي ، فلما صار
اليه ، اخبره ابو السائب بخبره ويمينه ، فقال ابن المطلب : اللهم غفرأ ، ألا تترك
مجونك يا ابا السائب .^{٢)}

وقد روى الرواة عن ظرف ابي السائب هذا قصصاً كثيرة ، كأنهم قد رأوا فيه خير مماثل لظرف الحجاز .

ابن ابي عتيق

وكان لابي السائب صديق اشهر ايضاً بهذا الظرف والمزاح ، هو ابن ابي عتيق ، صاحب عمر ، ذكر الشيباني انه صاحب هزل وهو .^(١) وقال عنه الحصري : انه كان احلى الناس فكاهة ، واطرفهم مزاحاً .^(٢) وروى بعضهم عنه انه خرج ذات يوم مع ابي السائب ، قال ابو السائب في طريقه حاجة عرضت له ، وعاد دون ازاره ، فسأله عنه ابن ابي عتيق ، فقال : ذكرت قول كثير

ارى الازار على لبني فاحسده ان الازار على ما ضم محسود

فتصدقت به على الشيطان الذي اجري هذا البيت على لسانه ، فرمى ابن ابي عتيق ازاره ، وقال : اتسبقتني الى برّ الشيطان ؟^(٣) وقد روي عن ابن ابي عتيق انه دُعي الى ان يشهد في احدهم ، «فابى ان يقول الا خيراً» ، وقال : هو رجل عدل . وقد سئل : اكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا ، ولكني سمعته ينشد :

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا في قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .^(٤) وسمع ابن ابي عتيق وصاحبه خالد القسري شعراً لابن ابي ربيعة ، قال فيه :

ومن كان محروباً لاهراق دمعته وهى غرجاً فليأتنا نبكه غدا
نمنه على الاثكال ان كان ثاكلاً وان كان محزوناً وان كان مقصدا
فضيا اليه ، وقالوا : قد جئناك لموعدك ، والله ، لا تبرح او تبكي ان كنت صادقاً ، او ننصرف على انك غير صادق .^(٥)

وقد كان يحرمهم حبهم للمزاح والنوادر في بعض الاحيان الى ما زاه نحن

(١) الحصري ١ : ٢٩١

(٢) الاصبهاني ١٠ : ٦٦

(٣) ابن عبد ربه ١ : ٢٩٢

(٤) ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٦ - ٢٤٠

(٥) الاصبهاني ١٩ : ٥٦

الآن خارجاً عن حدود الحشمة والادب ، ويظهر ان روح العصر في ذلك الزمن كانت تجيز مثل هذا المزاح ، او على الاقل لا ترى فيه حرجاً كبيراً ، فقد زعموا انه كان لابن ابي عتيق هذا امرأة من اشراف قریش ، انكرت عليه بعض لهوه ، فقالت فيه شعراً ، ثم دفعته لاحدى جواربها تغنيه ، وسمع الشعر ابن ابي عتيق ، وسأل عن ناظمه ، فقيل له : امرأتك ، فكتبه في قرطاس ، وخرج به ، فاذا هو بعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فاوقفه ، وانشده البيتين اللذين هجي بهما ، ثم اقسم ليفعلن كذا وكذا لقائلهما ، فاخذ ابن عمر يزجره ويونجه ، ثم لقيه بعد ذلك بايام ، فلما رآه ابن عمر اعرض عنه ، فاستحلفه ابن ابي عتيق بالنبي وقبره ان يقف ، فوقف ، فقال له : لقد برت عيني ، فصعق ابن عمر ولبط به ، فلما رأى ما تزل به دنا من اذنه وقال : اصلحك الله انها امراتي .
فقام ابن عمر ، وقبل ما بين عينيه .^{١)}

الفقهاء والمزاح

ويظهر ان فقهاء الحجاز لم يروا بأساً في مثل هذا الظرف والدعابة ، وتروى عن بعضهم حكايات كثيرة في هذا السبيل ، منها ان امرأة هذلية جميلة من ناحية مكة قدمت المدينة ، فكادت تذهب بعقول اكثر الناس ، فقال فيها الفقيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ذاكراً حبه لها ومستشهداً على ذاك باصحابه فقهاء المدينة :

أحبك حباً لو علمت بفضله لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا ام الصبي مدلهي شهدي ابو بكر واني شهيد
ويطم وجدي القاسم بن محمد وعروة ما لقي بكم وسعيد
ويطم ما اخفي سليمان عليه وخارجة يبدي لنا وسعيد
متى تسألني عما اقول فتخبري فللعب عندي طارف وتليد

فبلغت ابياته سعيد بن المسيب ، فقال : والله امن ان تسألنا ، وعلم انها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها .^{٢)}

ويروى عن عبد الرحمن بن ابي عمار احد فقهاء مكة ، ويلقب بالقس ، انه

سمع غناء سلامة عن غير تعدد ، فكاد يفتن ، وقال فيها اشعاراً كثيرة منها :

قد كنت اعذل في السفاهة اهلاً فاعجب لما تأتي به الايام
فاليوم اعذرهم واعلم انما سبل الضلالة والهدى اقسام (١)

ويروى عن عبيد الله بن عبد الله العمري انه قال : « اني خرجت حاجاً فرأيت

امرأة جميلة تتكلم بكلام رفعت فيه ، فاذنيت ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا
أمة الله ، أأنت حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهو الشمس حسناً
ثم قالت : تأمل يا عمي ، فاني ممن عني العرجي بقوله :

يخرجن يمين حسبة ولكن ليقطن البري. المنفلا

قال : فقلت لها : فاني أسأل الله ان لا يعذب هذا الوجه بالنار قال :

وبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : اما والله لو كان من بعض بغضاء اهل
العراق لقال لها : اعزبي اقبحك الله ! ولكنه ظرف عبّاد الحجاز. (٢)

وقيل لسعيد بن المسيب عن قوم نساك انهم يعيرون انشاد الشعر فقال : ان
هذا نساك اعجبني. (٣) نسكاً

ظرف سكية

وكان لبعض النساء حظاً من هذا الظرف ليس بقليل ، واهل سكية بنت

الحسين أشهر امرأة من نساء ذلك العصر في هذا السيل. قال ابو الفرج عنها :

انها كانت ظريفة مزاجة. (٤) وكان في خدمتها رجل لعله اشهر من عرف بالدعابة

والمجون والمزاح والتنادر والفكاهة ، هو اشعب ، وكانت تأنس بمضاحكته

ونوادره. (٥) ولها معه قصص كثيرة ، منها انها اشتاقت ان تسمع غناء ابن

سريع ، بعد ان نسك وانقطع عن الغناء ، فشكت ذلك الى اشعب ، فقال

لها : « وأتني لك بذلك ، والرجل اليوم زاهد ، ولا حيلة فيه ، فارفعي طمعك ،

وامسحي بوزك ، تنفعك حلاوة فك . » ولم تستطع صبراً على مازحته هذه ،

(٢) الاصبهاني ١٧ : ١٢٠ - ١٢١

(٤) الاصبهاني ١٦ : ١٦٥

(١) الاصبهاني ٨ : ٦ - ٧

(٣) الجاحظ (ب) ١٠ : ٨٣

(٥) الاصبهاني ١٠ : ١٣١

فمذنبته وطردته ، فذهب الى ابن سريج ، وشكى اليه امره ، فابى اسعافه ، فابتدع حيلة ، لم ير ابن سريج بداً معها من ان يصير معه الى سيّدته ، وقص ابن سريج على سكيّنة حيلة اشعب ، فضحكت ، وغناها ، فرضيت عنها ، واجازتها.^{١)}

سكيّنة واشعب

ولها مع اشعب قصة ان صحت فهي منتهى ما يبلفه المزاح والمجون. زعموا ان زوجها زيد بن عمرو استأذنها في الحج ، فارسلت اشعب معه رقيباً وعيناً لها عليه ، ومانعاً له من العدول الى المواضع التي لا تريده سكيّنة ان يعدل اليها ، وخان اشعب سيّدته في هذه المهمة لقاء اربعمئة دينار فيما يزعمون ، رشاه بها زيد ، وعاد زيد واشعب ، فاستحلفتها ، فاقسم اشعب اخرج الايمان انه لم ينكر على سيده شيئاً ، واقرّ زيد بما فعل. قال اشعب : « فامرّني باحضار الاربعمئة دينار ، فلما احضرتها امرت بابتياح خشب بثلاثئة دينار ، وليس عندي ولا عند احد من اهل المدينة علم بما تأمر به ، ثم امرت بان يتخذ بيت من عود ، وجعلت النفقة عليه من اجر النجارين من المئة الباقية ، ثم امرت بابتياح بيض وتبن وسرجين بما بقي من المئة الدينار بعد اجرة النجارين ، ثم ادخلتني والبيض والتبن والسرجين في ذلك البيت ، وحلفت بحقّ جدّها لا اخرج من ذلك البيت حتى احضن ذلك البيض كله الى ان يفسس ، ففعلت ذلك ، ولم ازل احضنه حتى فقس كله ، فخرج الفواريج ، وربيت في دار سكيّنة ، وكانت تنسبهن وتقول : بنات اشعب. »^{٢)}

نوادير اشعب

ولاشعب قصص ونوادير كثيرة اضحك بها اهل الحجاز ، وقد اورد منها ابن عبد ربه طائفة في عقده ، منها انه قيل لاشعب : « لو انك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان اولى بك ؟ قال : قد فعلت ؟ قالوا له : فما

حفظت من الحديث ؟ قال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصاً مخلصاً . قالوا : ان هذا حديث حسن ، فما هاتان الخصلتان ؟ قال : نسي نافع واحدة ونسيت الاخرى .^(١)

ويذكر الاستاذ احمد امين ، انه كان في المدينة مضحك ينذر اهلهما ، اسمه الناصري ، وقد خلفه الاشعب في هذا الفن .^(٢)

ظرف المحبين

اما عن ظرف المخشين فحدث ولا حرج . زعموا ان طويساً رُئي مرةً يرمي الجمار بسكر مزعفر ، ف قيل له : ما هذا ؟ فقال : كانت الشيطان عندي يد ، فاحبت ان اكافيه عليها .^(٣)

وروا انه ذكر لعمر بن عبد العزيز مخنث بالمدينة افسد نساءها ، فكتب الى عامله بالمدينة ان يصيره اليه ، فادخلوه عليه ، « فاذا هو شيخ خضيب اللحية والاطراف ، معتمر بسبئية ، قد حمل دفا في خريطته ، فلما وقف بين يدي عمر صعد بصره فيه وصوبه ، وقال : سواة لهذه الشيعة ، وهذه القامة ، تحفظ القرآن ؟ قال : لا والله يا ابانا . قال : قبحك الله ! و اشار اليه من حضره ، فقالوا : اسكت ! فسكت ، فقال له عمر : اتقرأ من المفصل شيئاً ؟ قال : وما المفصل ؟ قال : ويلك اتقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم اقرأ « الحمد لله » وأخطئ فيه في موضعين او ثلاثة ، واقرأ « قل اعدو رب الناس » وأخطئ فيها ، واقرأ « قل هو الله أحد » مثل الماء الجاري . قال : ضعوه في الحبس ، ووكلاو به معلماً يعلمه القرآن ، وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة ، واجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم ، وعلى معلمه ثلاثة دراهم آخر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن اجمع . فكان كلما علم سورة نسي التي قبلها ، فبعث يقول مع رسول الى عمر : يا امير

المؤمنين وجه اليّ من يحمل اليك ما اتعلمه أولاً فاولاً ، فاني لا اقدر على حمله جملة واحدة ، فينس عمر من فلاحه ، وقال ما ارى هذه الدراهم الا ضائعة ، ولو اطعمناها جائعاً ، واعطيناها محتاجاً ، وكسوناها عرياناً ، لكان اصلح . ثم دعا به ، فلما وقف بين يديه ، قال له : اقرأ « قل يا ايها الكافرون » ، قال : اسأل الله العافية ، ادخلت يدك في الجراب فاخرجت اشد ما فيه واصعبه .^(١)

ويروى عن المخنث الفريض انه رأى ابن ابي عتيق وصاحباً له قرب مكة فالهما بغنائيه اياماً ، ثم عرف بعزمهما على الرجوع الى المدينة ، فسألها : ألم تروا عن النبي انه قال يحشر من بقيعنا هذا سبعون الفا على صورة القمر ليلة البدر ؟ قال ابن ابي عتيق : بلى ؛ فقال هذه سنّ لي انتزعت ، فاحب ان تدفنها بالبقيع . قال ابن ابي عتيق : فخرجنا والله اخسر اثنين ، لم نعتسر ولم ندخل مكة ، حاملين سنّ الفريض حتى دفناها بالبقيع .^(٢)

دل مجازي

وكان صاحبنا عمر صديقاً الى اكثر هؤلاء الذين ذكرنا ، وله مع بعضهم اخبار تدل على ظرفه وحبه للمزاح ، وسنعرض الى هذه الناحية من خلقه عند درسنا حياته . ولنختم هذا الباب بكلمة قالها بعض الرواة تعليقاً على نسب عمر من ناحية أمه اليمانية . قال : ومن ثمّ اتاه الغزل ، لانه يقال : عشق يائي ، ودلّ حجازي .^(٣)

(٢) الاصبهاني ٢: ١٣٣

(١) الاصبهاني ٦: ٩٠

(٣) الحصري ١: ٢٩٣

فصل في يوم الجمعة
 و يوم الاربعاء
 الحياتان الدينية والعلمية

لم تكن هذه الحياة المبهجة ، وهذا العيش الرغيد ، وهذا اللهو والانس والعبث ، وهذه الدعة واللين والحفص ، وهذا المال والترف ، لم تكن هذه كلها تمنع اهل ذلك الجيل ، لاسيا الحجازيين منهم ، من الالتفات الى هذه الناحية الجدلية من حياتهم ، والنظر في هذا الانقلاب الديني العظيم الذي هز الجزيرة العربية ، فارتجت له اكثر اقطار الارض . نعم لم تكن قوتحاتهم السياسية ، واحتلالهم بلاد الفرس ومصر وسوريا ، وامتلاكهم الاموال ، وتمتعهم بنعم الفتي لتسليمهم هذه النهضة الدينية التي كان لها اثر كبير في هذا الانقلاب الخطير .

بعض ظواهر الحركة الدينية

كانت هذه الحركة الدينية في هذا الجيل متعددة النواحي ، متشعبة الفروع ، متلونة بالوان شتى ، متاثرة بعوامل شتى ، منها ما يرجع الى الاحزاب ، ومنها ما يرجع الى العصبية القبلية ، ومنها ما يعود الى الاقليم ، وغير ذاك . وكان ذلك امراً طبيعياً .

أولم يكن اهل هذا الجيل قريبي عهد بجاهليتهم وبعصبياتهم المختلفة ؟ أولم يكن في كتاب هذا الدين الجديد ما يخالف بعض خلق الذين فيه ، او ان شئت فقل ، يخالف بعض ما افوه من عادات وتقاليد ؟ ثم ، ألم يت صاحب هذه الدعوة ، والوحي لم يجمع ، والحديث لم يدون ، والنصوص لم تفسر كلها ، او قل ، لم يقف على اسباب تنزيلها كل المسلمين ؟ أولم يتنازع زعماء المسلمين بعد محمد فيما بينهم ، سواء اكان اختلافهم في امر الخلافة ، او الامامة ، او غير ذاك ؟ ألم ينقسموا الى شيع متعددة ، كانت

ترى كل واحدة منها انها صاحبة الحق فيما تذهب اليه ، وتحاول ان تؤيد موقفها بأي او حديث ؟ واذاً ، فمن الطبيعي ان تسيطر هذه الحركة الدينية في كل هذه الاقطار التي اخضعها الاسلام ، وبالاخص في الحجاز حيث نشأ الاسلام ، في مكة ، حيث ولد النبي ، وشبَّ ، وجاهر بدعوته كهلاً ، وبالمدينة حيث نُصر ، وقوي حزبه ، وظهر تشريع دينه ، وحيث مات وصار قبره حجة للزائرين . ومن الطبيعي ان تتعدد الوانها وتتشعب فروعها وتختلف اغراضها ومراميها .

ومن الطبيعي ايضاً ان ينهض الناهضون لجمع هذا الوحي ، ودرس هذا الحديث ، وان يهتموا بهما ، وبتفسير نصوصهما ، وان يسعوا لاستخراج الاحكام منها . وقد تمَّ جمع القرآن وتدوينه ، كما هو مشهور ، زمن عثمان بن عفان . ومن الطبيعي ان يتساءل الناس عما قضى النبي به في بعض الامور ، وما مارسه في بعض الفروض ، وكيف صلى ، وكيف حجَّ ، وكيف طاف ، وكيف استلم . ومن الطبيعي ، وقد اختلفت العرب على الرعاة ، وانقسمت على انفسها ، ان تختلف في بعض امور الدين الفرعية ، فتضطرب الآراء ، وتتعدد المذاهب ، وتختلف الفتاوي ، وتتشعب طرق الاجتهاد ، وتتنوع المدارس التي تمثل هذه الاختلافات ، فتنبج كل منها النهج الذي يوافق عقيدة رئيسها او رجالها ، من حيث تفسير النصوص القرآنية ، او من حيث رواية الاحاديث النبوية ، والقول بصحتها ، او اصليتها ، او رفضها ، حملاً على انها من وضع بعض المتزلفين او اصحاب الاغراض والغايات .

القراءة والكتابة

ومن الخير ان نلتفت هنا الى ان الكتابة والقراءة كانتا منتشرتين انتشاراً لا بأس به ، بحيث كان الكثيرون من اهل ذلك الجيل يكتبون ويقرأون ، ويدونون بعض ما يسمعون من تفسير او حديث . ونذهب الى ان الكتابة قد تجاوزت ابعاد من هذا ، بحيث صارت وسيلة للتراسل فيما بين الكثيرين من اهل ذلك الجيل ، ولدينا ادلة كثيرة على انها كانت مألوفة

حتى في المراسلات بين الرجال والنساء [وسنرى ان صاحبنا عمر كان يكتب الى بعض صديقاته ، وانهم كن يعرفن القراءة] ويروي ابو الفرج ، ان اخت الحجاج كانت تعرف القراءة . فقد ذكر انه لما قتل الحجاج ابن الاشعث ، بعث بكتاب الى عبد الملك يخبره بهذا ، وبعث بآخر ، في الموضوع نفسه ، الى اخته زينب ، ويقال ان الرسول اعطى الكتاب الى زينب ، وهي راكبة على بغلة في هودج ، فشرته تقرأه ، وسمعت البغلة قمعة الكتاب ، فنفرت ، وسقطت زينب عنها ، فاندق عضداها ، وتهرى جوفها^(١).

كذلك كان هناك في بعض حواضر العالم العربي ، لاسيا حواضر الحجاز ، دور بسيطة لتعليم القراءة ، لعلها اشبه ما يكون بالكتاتيب البسيطة التي نعرفها اليوم في اكثر القرى في مختلف البلدان العربية ، وكانت الدروس التي تُعطى فيها دروساً اولية في قراءة القرآن وحفظه . ويظهر ان الكثيرين من اهل ذلك الجيل التفتوا الى ان يتعلم ابناؤهم قراءة القرآن في هذه الكتاتيب ، روى ابن عبد ربه ان عبدالله بن صفوان لام عبدالله بن جعفر على حضوره الملاهي فقال هذا له : « وانت ابا صفوان ، صرت حجة لصبياننا علينا ، اذا لمناهم في ترك المكتب ، قالوا : هذا ابو صفوان ، سيد بني حُجج ، لا يقرأ آية ، ولا يخطها . »^(٢) وقد كان الكتّاب حتى في زمن النبي كثيرين ، ذكر منهم ابن عبد ربه في عقده طائفة كبيرة^(٣) . وروى ان منهم من كان يكتب بين القوم في قبائلهم ، ومياهم ، وفي دور الانتصار بين الرجال والنساء ، وان منهم من كان يكتب خرس ثمار الحجاز^(٤).

وروا انه كان يبصر الحجاج بن يوسف غيرة لكثرة نظره في الدفاتر^(٥).

وزعموا انه كان هو وابوه من قبله يعلمان الصبيان في الطائف^(٦) . وفي القرآن نصوص صريحة تظهر ان العرب كانت تعرف الكتابة وتستعين

(٢) ابن عبد ربه ١٥٢: ٢

(٤) ابن عبد ربه ٢٠٤: ٢

(٦) ابن عبد ربه ٧-٦: ٣

(١) الاصبهاني ٢٩: ٦

(٣) ابن عبد ربه ٢٠٤: ٢

(٥) ابن عبد ربه ٢١: ٣

بها في امورها . منها « يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق او لا يستطيع ان يمل هو فليمل وليه بالعدل . . . ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ولا تساموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا إلا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها . . . وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة . . . »^(١)

وكانت العرب قبل الفتوحات تكتب في اللخاف، وهي حجارة بيض رقائق، وفي عظم اكتاف الابل والغنم، وربما في عظم ضلوع الابل، وفي قطع الحرف، وفي عيب النخل — في اصل الجريد الذي لا خوص عليه — ولعلمهم استعمالوا ايضاً الأدم والرق. وفي القرآن: « والطور وكتاب مسطور في رق منشور »^(٢)

ثم لما فتحوا مصر وفارس استعانوا ببردّي مصر^(٣) وكتبوا على الاقشة وظلوا يكتبون في شئونهم البسيطة على الأدوات القديمة التي ذكروا. وفي اخبار عمر — كما سئى — انه كتب مرة على كتف، غير انه استعان ايضاً بالاقشة فيما يظهر، فقد ذكروا عنه انه كتب الى الثريا في قوهية^(٤) وشقفة^(٥)

اما قاعدة الخط في ذلك العصر فقد كانت فيما يظهر من الآثار الخطية المتخلفة عن اهله — اذا استثنينا النقود والنقوش وربما والمصاحف ايضاً — لا تختلف كثيراً عن قاعدة الخط النسخي المعروف الآن، ويظهر ان الخط هذا لم يتطور كثيراً طوال القرن المذكور اللهم الا في امر التنقيط، سواء أكانت النقط تشير الى الحركات او الى تمييز الحروف الهجائية المتشابهة بعضها من بعض، وامر هذا التطور فيه شيء من الغموض فالعلماء مختلفون في معاني بعض كلمات النصوص التي تشير اليه، كنقط مثلاً او إجماع او حروف^(٦).

(٢) القرآن - الطور - ١ - ٢
(٦) قماش ايض ينسب الى قوهستان

(١) القرآن - البقرة - ٢٨٢ و ٢٨٣
(٣) البلاذري ٢٤٠
(٥) اطلب مثلاً ابن خلكان ١٧٥: ١

الترويه والتأليف

إذا صحت الرواية التي ذكرنا بفضل سابق في ان ابن صفوان كان قد اتخذ في العصر الاموي غرفة تحتوي دفاتر فيها من كل علم ، فان التدوين كان قد جرى شوطاً لا بأس به . ولقد ذكر ابن سعد ان عروة بن الزبير كان يدون علمه في كتب . قال : « قال هشام بن عروة : احرق ابي يوم الحرة كتب فقه كانت له ، فكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندي احب الي من ان يكون لي مثل اهلي وولدي »^(١)

وروى الجاحظ ان ابا عمرو بن العلاء كان اعلم الناس بالقراءة والشعر وإيام الناس ، وذكر ان كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً الى قريب من السقف . وروى قول الفرزدق فيه :

ما زلت أفتح ابواباً واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار^(٢)

كذلك روى ابن النديم انه رأى كتباً من تأليف خالد بن يزيد بن

معاوية^(٣) .

ونظن ان اهل ذلك الجيل لم يعدوا ان يكون بينهم من اعتنى بجمع بعض اخبار المغازي والفتوحات والقصص والسير وما الى هذه الامور مما له علاقة بامور التاريخ والدين . وقد فشا في ذلك العصر القصص الديني ، واخذ يقوم به رجال رسميون ، ويرى البعض « ان هذا القصص هو الذي ادخل على المسلمين كثيراً من اساطير الامم الأخرى كاليهودية والنصرانية ، كما كان باباً دخل منه على الحديث كذب كثير ، وافسد التاريخ بما تسرب منه من حكاية وقائع وحوادث مزيفة أتعبت الناقد واضاعت معالم الحق »^(٤) .

ولسوء الحظ لم يتخلف الى عصرنا الذي نحن فيه — فيما نعلم — شيء من الكتب او المجاميع او القصص التي دونت في القرن الاول ، غير انه لدينا أكثر من وثيقة خطية في رقاع مستقلة كتبت على البردي في اوقات مختلفة في

(٢) الجاحظ (ب) ١٢٣: ١ - ١٢٤

(٣) احمد امين ١٩٢

(١) ابن سعد ٥: ١٥٦

(٣) ابن النديم ٣٥٤

غضون هذا القرن المذكور؛ منها عدد كبير كتب في النصف الاول منه. ويرجع بعضها الى سنة ٢٤ هـ.^{١)}

الحركة العلمية البحتة

اما الحركة العلمية البحتة من طب وفلسفة ومنطق وكيمياء ، فتكاد تكون معدومة في النصف الاول من هذا القرن ، لاسيا في الحجاز ، ولم يعرف في دمشق الا افراد قلائل ممن عنوا بهذه الابحاث ، وكان جلهم من سكان البلاد الاصليين او من الاجانب الذين استخدموا عند امراء العرب ، وقد كان لمعاوية — كما سبق لنا فذكرنا — ويزيد ابنه وللحجاج اطباء يستصحبونهم معهم في رحلاتهم . ولعل هذه الحركة نمت شيئاً ما بعد منتصف هذا العصر الذي نحاول تصويره ، فنشأ على ايدي هؤلاء العلماء بعض العرب . ومن هنا نسمع في ان خالد بن يزيد بن معاوية كان اول من ترجمت له كتب الطب والنجوم والكيمياء.^{٢)} ويقول ابن النديم انه رأى لخالد هذا تأليف منها كتاب الجارات وكتاب الصحيفة الكبير.^{٣)} ومن الخير ان نلاحظ ان الطب والفلسفة كانا متصلين ، بحيث كان اكثر الاطباء — ان لم نقل كلهم — اطباء وفلاسفة معاً. نتج عن هذا ان الحركة الفلسفية اخذت تنمو اخر هذا العصر مع الطب جنباً الى جنب .

ومهما يكن من الامر كله ، فقد كانت هذه الحركة بعيدة عن الحجاز ، ولم يكن لصاحبنا عمر عناية بها او التفات اليها .

وكان هناك في العراق حركة لوضع شيء من علم النحو لا يزال تاريخها غامضاً ، فلسنا نعلم تفاصيلها ولا رجالها تمام العلم ، بل لا يزال بعض العلماء مختلفين في اساسها ، فمنهم من يزعم انها حركة مستقلة مصدرها علماء الاسلام ورجالها ، ومنهم من يذهب الى انها حدثت بعد احتكاك العرب بالسريان ، وان القائمين بها اخذوا شيئاً عن طرق السريان او اليونان في تصنيف النحو ، ومنهم

(١) مورتر - الموسوعة الاسلامية - تحت ARABIA

(٣) ابن النديم ٢٥٤

(٢) ابن النديم ٢٥٤

من ذهب مذهباً وسطاً^(١).

الحركة العلمية نصطبغ بالدين

والمهم ان نعلم ان هذا الدين الجديد الذي دخل فيه العرب في ذلك الجيل قد أثر في اكثر هذه المناحي العلمية ، بحيث صبغها بصبغته ، وختمها بخاتمه ، وكاد يكون أساساً لها حتى آخر العصر الاموي . فالتاريخ ، والقصاص ، والحديث ، وبعض الفلسفة ، تدور على حياة النبي وغزواته واعماله وكلامه وعلى القرآن ونصوصه . حتى النحو ، فان بعض مسائله انما كانت تبحث بسبب اختلاف في استنباط فقه او احكام من القرآن او الحديث .

الحركة الدينية

وكان قوام الحركة الدينية ثلاثة امور : يدور اولها على القرآن وتفهيم نصوصه وتفسيرها ، ويدور الثاني على الحديث والتثبت منه وجمعه وروايته ، ويقوم الثالث على استنباط الاحكام من القرآن ومن الحديث لتطبيقها على الناس في كل ما يصدر عنهم من اعمال واقرار وغيرها ، دينية كانت او دنيوية وهو ما يستمى بالتشريع ، ولعله اعسر هذه الابواب .

اما تفسير القرآن فكان يرجع فيه بالاكثري الى الصحابة الذين كانوا على اتصال بالنبي ، واطلاع على اكثر الظروف او الاحوال التي نزلت فيها آيات الكتاب . ومن هؤلاء من فسر آية نقلاً عن النبي ، ومنهم من لم يسمع تفسيراً لها من النبي ، فابدى رأيه مستنداً الى علمه من امرها ، ووقوفه على سبب تنزيلها .

وقد دعا هذا الى ملازمة بعض الناس نفراً معروفين من الصحابة ، وجلسهم اليهم ، او في حلقاتهم ، يستمعون الى اقوالهم وآرائهم وينقلون عنهم . قال عبد الله بن مسعود : « والله الذي لا اله غيره ، ما اتزلت سورة من كتاب الله الا انا

(١) راجع ما قاله الاستاذ ليمان في محاضراته التي اورد بعضاً منها الاستاذ احمد امين في

اعلم اين انزلت ، ولا انزلت آية من كتاب الله ألا انا اعلم فيم انزلت ، ولو اعلم احداً اعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت اليه^(١) . وكذلك قل في شأن الحديث ، فقد سمع من النبي ناس ، ونقل عنهم ناس ، ونشأ افراد كثيرون عنوا بجمعه وروايته وشرحه .

وامتاز البعض بقوة الاستنباط والقياس وتطبيق الاحكام استناداً الى القرآن والسنة ، ومنهم من كان اذا عجز ان يجد في القرآن او السنة ما يرشده الى استنباط حكمه عمد الى رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمعوا على امر قضى به ، ومنهم من اعتد برأيه فافق به .

ولم تكن هذه الفروع متميزة مستقلة ولم يكن هناك علماء متخصصون فيها ، بل كان من العلماء من كان يفسر ويحدث ويبيدي الفتاوي او يستنبط الاحكام .

وكان اول ما تنتجبه هذه الحركة ان يجمع القرآن في كتاب واحد ، فجمع . قال زيد بن ثابت : « ارسلت الى ابي بكر ، فاتيته ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال ابو بكر : ان عمر اتاني فقال لي : ان القتل قد استحجر بالقرآن يوم اليامة ، واني اخشى ان يستحجر القتل في القرآن في المواطن كلها فيذهب كثير من القرآن ، فأرى ان يجمع القرآن بحال . فقلت لعمر : كيف افعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلعم . فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله له صدري ، ورأيت ذلك الذي رآه عمر . قال زيد بن ثابت : قال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل [لا متهمك]^(٢) قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلعم ، فتتبع القرآن واجمه . قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي من الذي امرني به من جمع القرآن . [اجمع]^(٣) من الرقاع والخاف والعصب وصدور الرجال حتى وجدت سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة السورة ، فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ،

(٢) البخاري ٦: ٦٥ لا تهتمك

(١) البخاري ٦: ٦٦

(٣) البخاري ٦: ٦٥ فتتبع القرآن اجمعه

ثم عند حفصة ابنة عمر^(١) ثم لما كان زمن عثمان ارسل الى حفصة: «ان ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم زدها اليك، فارسلت بها حفصة الى عثمان، فامر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال للرهمط من قريش: اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فانما انزل بلسانهم، ففعل ذلك حتى اذا نسخ المصحف ردّ عثمان الصحف الى حفصة؛ وارسل الى كل افق مصحفاً مما نسخوا وامر بكل ما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف ان يحرق^(٢)». وهكذا حفظ الاساس الاول من الضياع والعبث.

اما الحديث فلم يجمع عصرئذٍ - - اذا جاز لنا هذا الاستعمال - - وحدثت الفتنة بين الاحزاب المختلفة فدرس ذوو الاغراض فيه شيئاً كثيراً، وفعلت الخصومات السياسية والعصية - بين رجال الاسلام الاول - فعلها الكبير في حمل الكثيرين من اتباع الاحزاب المختلفة على تأييد احزابهم بوضع احاديث او تفاسير ليست غالباً من الحقيقة في شيء. ولقد دون ابن ابي حديد كثيراً من اخبار هذا الوضع، ثم نقل عن نبطويه ما يناسب هذا، فقال: «وقد روى ابن عرفة المعروف بنبطويه وهو من اكابر المحدثين واعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني امية تقريباً اليهم بما يظنون انهم يرغبون به انوف بني هاشم^(٣)».

عصية المحرئين

وقد بلغت ببعض المحدثين عصيتهم لمذهبهم ان وضعوا احاديث فيها ذكر المعجزات زعموا ان زعماءهم قاموا بها، واختلقوا اقاصيص عنهم ليست من المعقول في شيء. فقد كان التابع ينسب لزعيمه المعجزة والفضائل، وينسب لزعماء خصومه من الصحابة والتابعين الاول الكفر والنفاق^(٤).

(١) ابن النديم ٢٤-٢٥ والبخاري ٦: ٩٥-٩٦ (٢) ابن النديم ٢٤ و٢٥ والبخاري ٦: ٩٥-٩٦

(٢) ابن ابي حديد ٣: ١٦

(٣) ابن ابي حديد ٣: ١٦-١٧

ومن هنا نستطيع ان نعلم وجه هذه الاحاديث المتناقضة التي مدح في بعضها ابو بكر ، وذم علي ، وذم في بعضها الآخر ابو بكر ، ومدح علي . روى ابن ابي حديد ان البكرية كانوا يصنعون الاحاديث في فضل ابي بكر ، فاذا سمعها الشيعة ، اوسعوا في وضع الاحاديث في فضل علي ، وذم ابي بكر . وهي احاديث قال فيها ابن ابي حديد : انها تقتضي نفاق قوم من اكابر الصحابة والتابعين الاولين وكفرهم وفسقهم ، ثم تعود البكرية فتقابلهم بطاعن كثيرة في علي وولديه ، ولقد كان الفريقان — كما يقول ابن ابي حديد — « في غنية عما اكتسباه واجتراه »^(١).

كذلك فعلت نزعهم الاقلية ، ونزعهم القبيلية ، وتعصبهم لمواطنهم ، او لمدنهم ، او لعشيرتهم واهلهم ، فعلها في وضع الاحاديث بفضل هذه الاماكن او العشائر او الاهل . وعرفت هذه الطرق في وضع الحديث ، فاخذ البعض يقف من المحدثين موقف الحذر والشك والريبة . روى مسلم ، قال : « جاء بشير العدوي ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله (صلعم) ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر اليه ، فقال : يا ابن عباس ! مالي لا اراك تسمع لحديثي ؟ احدثك عن رسول الله (صلعم) ، ولا تسمع ! فقال ابن عباس : انا كنا مرة اذ سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله (صلعم) ، ابتدرته ابصارنا ، واصفينا اليه بأذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس الا ما نعرف . »^(٢).

ويكفي ان نعلم انه روي عن البخاري انه خرج كتاب الصحيح (وعدد احاديثه نحو سبعة آلاف ونيف ، وباسقاط المكرر منها نحو اربعة آلاف) من زهاء ستمئة الف حديث كانت متداولة في عصره .^(٣)

الاسناد

وهال اهل الحديث في القرون الاولى هذا الامر ، وهذا الوضع ، فاخذوا

يطلبون الاسناد او النعنة — حدث فلان عن فلان — حتى روى مسلم ان عبدالله بن المبارك كان يقول : « الاسناد من الدين . »^(١) واخذوا يسألون عن الرواة ، ويتطلبون الثقات ، ومن هنا نسمع في ان فلاناً ثقة يقبل حديثه ، وفلاناً فاسق لا يقبل حديثه .^(٢) ومن هنا ايضاً نستطيع ان نفهم لماذا لم يلتفت الى حديث صاحبنا عمر ابن ابي ربيعة ، وهو كما سئرى من الذين اتصلوا بكثير من ائمة عصره كسعيد بن المسيب وعبدالله بن عباس وغيرهما ، بل قد كانت بينه وبين ام المؤمنين عائشة بعض صلات القرابة ؛ اذ يكفي ان يكون الحديث قد نقل عن عمر ابن ابي ربيعة حتى يخرج ويوفض ، بل لقد فات اكثر الرواة ان يلتفتوا الى هذه الناحية من حياة عمر ، فلم يتصدوا لها ، ولم نثر الا في مصدر واحد متأخر ذكر شيئاً عن هذا ، هو السيوطي ، فقد نقل في شرحه لشواهد المغني ان عمر حدث عن سعيد بن المسيب ، وروى عنه مصعب بن شيبة وعطاف بن خالد .^(٣)

مكة والمدينة وأمرهما في الحياة الدينية

وقد قويت هذه الحركة الدينية ذلك العصر في مدينتين من مدن الحجاز ، هما مكة والمدينة . فبعد ان مات النبي ، وظل اكثر صحابته وتابعيه في الحجاز ، وبعد ان دفن في المدينة ، وصارت هذه عاصمة خلفائه الراشدين ، واصبحت مكة قبلة المسلمين ومزار حجهم ، وبعد ان تم جمع القرآن زمن عثمان ، وبعد ان اتسعت رقعة المملكة الاسلامية زمن بني امية ودخل الكثيرون من اهل الامم المغلوبة في الاسلام ، اخذ الكثيرون يفتدون على الحجاز في طلب علوم هذا الدين الجديد ، والتعرف الى اسباب التزليل والظروف التي احاطت به في مكة والمدينة ، وتفسير الآيات وجمع الحديث او درسه واستنباط الاحكام وما الى هذه الامور . وهل هناك من هم ادرى بهذه المسائل من علماء مكة والمدينة الذين عاش النبي بين ظهرانيهم ، وسمعهو يتلو القرآن عليهم ، وسألوه عن الكثير من امور دنياهم ودينهم ؟ ولذلك فقد كانت مكة والمدينة اهم مركزين للحياة

الدينية في ذلك العصر ، وكان رجال هاتين المدينتين بوجه عام معلمي العالم الاسلامي آنئذ ، ومفقي المسلمين في امور دينهم . وقد ذكرت الكتب التاريخية والدينية اسما الكثيرين من هؤلاء المعلمين العلماء من صحابة وتابعين ، عرباً كانوا او موالي ، كعلي ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ونافع مولى عبدالله بن عمر ، وعطاء ابن ابي رباح ، وسليمان بن يسار ، وغيرهم . وقد نشأ عن هذا في المدينة ظهور مالك بن انس مؤسس المذهب المالكي في آخر القرن الاول ، وقد اخذ عن ربيعة الرأي ، وخلف لنا كتاب الموطأ الذي يعد من اقدم الكتب الاسلامية في الحديث والشرع^(١) . ويروي ابن خلكان عن ربيعة الرأي هذا ان اباه فروخاً خرج في البعوث ايام بني امية الى خراسان ، وخلف في المدينة امرأته حاملاً ، وخلف عندها ثلاثين الف دينار ، ثم عاد الى المدينة بعد سبع وعشرين سنة ، وهو راكب فرساً وفي يده رمح ، فذل ودفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة ، وقال : يا عدو الله اتهم على منزلي ؟ فقال فروخ : يا عدو الله أنت دخلت على حرمي ، وتوأتبا حتى اجتمع عليها الناس ، وكادوا يردون الرجل ويطردونه لو لم تسمع امراته قوله انه فروخ ، فخرجت ، وقالت : هذا زوجي ، وهذا ابني ، فاعتنقا وبكيا . ثم قال فروخ بعد حين لامراته : أخرجي المال الذي عندك ، قالت : قد دفنته وانا اخرجه . ثم خرج ربيعة الى المسجد وجلس في حلقة فأتاه مالك والحسن واشراف اهل المدينة واحدق الناس به ، فقالت امه لزوجها فروخ : اخرج فصل في مسجد رسول الله ، فخرج ، فنظر الى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها ، ورآه ربيعة فنكس رأسه — وكان عليه قلنسوة طويلة — يومه انه لم يره ، فشك ابوه فيه ، وسأل عن رئيس هذه الحلقة ، فقالوا : هذا ربيعة ابن ابي عبد الرحمن ، فقال : لقد رفع الله ابني ، ورجع الى منزله ، وقال لوالدته : رأيت ولدك على حالة ما رأيت احداً من اهل العلم والفقه عليها ، فقالت امه : فأتيا احب اليك ثلاثون الف دينار او هذا الذي هو فيه ؟ فقال : لا والله بل هذا . فقالت : انفقت المال كله عليه . قال : فوالله ما ضيعته^(٢) .

بقية الاقطار

وليس يعني هذا ان بقية الاقطار الاسلامية قد خلت من آثار هذه الحركة الدينية ، فقد تزل العراق كثيرون من صحابة النبي ، ومن لازموه كثيراً ، كعلي ، وكعب الله بن مسعود ، وقد قويت هذه الحركة في الكوفة والبصرة ، واشتهر من رجالها شريح والشعي والنخعي وسعيد بن جبير والحسن البصري وابو موسى الاشعري وابن مالك وابن سيرين وغيرهم .

وقد كان للحسن البصري حلقة يجتمع فيها خلق كثير من طلاب علوم الدين ، وكان يتردد اليها واصل بن عطاء ، ثم اعترضها ، وكَوْن له حلقة كانت اساس حركة المعتزلة كما هو مشهور ، وكانت هذه الحلقات تعقد في المساجد . وكذلك كان في مصر حركة دينية على رأسها عبدالله بن عمرو بن العاص الصحابي المشهور ، وعرف من رجالها جعفر بن ربيعة وي زيد ابن ابي حبيب وعبدالله ابن ابي جعفر وغيرهم .

وقد كان الامام عمر بن الخطاب قد اخرج الكثيرين من رجال الاسلام الاول الى الامصار ، وفرقهم في البلدان يفقهون اهلها ويعلمونهم ،^(١) ففعلوا ، وانشأوا حركة دينية في كل بلد تزلوها .

ولم تعدم الشام من بعض رجال هذه الحركة ، ولعل قلة عدد هؤلاء ، وبعدهم عن الحجاز ، وسطوة بعض بني امية ، ومركز سلطانهم ، كانت من الامور التي حالت دون نمو هذه الحركة فيها .

بعض البيئات الخاصة

وهكذا ، فان اكثر الاقطار الاسلامية قد اخذت بنصيب من هذه الحياة الدينية ، بل قد كان هناك بيئات ، وفرق خاصة ، لم تتقيد بالاقليم الذي كانت تستقر فيه تقيداً بنظمها التي كانت توحد بين افرادها ، ومن هذه الفرق الخوارج ، ولعلمهم اكثر الفرق او الاحزاب الاسلامية تعلقاً بقرآنهم ، وتمسكاً

بامور دينهم ، واشد تأثراً بالحياة الدينية الجديدة . ذكر ابن عبد ربه ما يفيد انه ليس في الفرق كلها من هم اشد بصائر من الخوارج ، او اشد اجتهداً ، او اوطن انفساً على الموت ، وقال : منهم الذي طعن ، فانفذه الرمح ، فجعل يسعى الى قتاله ، ويقول : عجلت اليك رب لترضى .^(١)

وكانوا كثيري التعبد والصلاة . منهم من وقع على مال الفني - فيما يروون - فلم يأخذ منه الا عطاءه واعطيات اصحابه ، وترك ما بقي ، ومنهم من لم يقاتل الا من قتله ، ومنهم من كان اذا دنا وقت الصلاة نادى خصمه ان يوادعه حتى يصلي .^(٢) ونزل خارجي في احدى ساحات القتال مرة يطلب من يبارزه ، فرأى شخصاً من جند بني امية مقبلاً ، فقصده ، فسأله هذا عن الشعر والشعراء ، وطلب اليه ان يحكم بين جرير والفرزدق ، فنعى الخارجي على خصمه تركه القرآن والفقه ، واقباله على الشعر يسأله عنه .^(٣)

ولاي حمزة الشاري خطبة بمكة آخر العصر الاموي يصف فيها رجاله وتقواهم وتسكهم الشديد بدينهم وتعلقهم فيه . قال فيها : « عمية عن الشر اعينهم ، بطيئة عن الباطل ارجلهم ، قد نظر الله اليهم في آناء الليل متثنية اصلاهم بمثاني القرآن ، اذا مر ادهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً اليها ، واذا مر بآية فيها ذكر النار شقق شقة كأن زفير جهنم في اذنيه ، قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم ، انضاء عبادة قد اكلت الارض جباههم وايديهم وركبهم ، مصفرة الوانهم ، ناحلة اجسامهم من كثرة الصيام »^(٤) الخ .

وقد وفد من هؤلاء الخوارج نفرٌ مع نافع بن الازرق على مكة ايام الفتنة ، فماتهم ان يقصدوا الامام ابن عباس فيسألوه في امور الدين ويستمعوا اليه .^(٥) وكانت يبتئهم اكثر البينات او الاوساط اندفاعاً مع الحياة الدينية الجديدة ، بحيث أثر هذا في ادبهم من خطب وشعر ، وذلك واضح في اللفظ والمعنى والوضع .

(١) ابن عبد ربه ١: ٨٢

(٢) الاصبهاني ٧: ٥٥

(٣) الاصبهاني ١: ٢٤

(٤) ابن عبد ربه ١: ٨١

(٥) ابن عبد ربه ٢: ١٦٦

النساء وأثرهن في الحركة الدينية

ويظهر ان النساء لم يعدم من نصيب في هذا الامر ، فقد نقلت عائشة امرأة النبي كثيراً من حديثه ، بل كانت من اكثر النقلة حديثاً عنه ، وكان يرجع اليها في الكثير مما يتعلق بالنساء وحياتهن مع ازواجهن . وكانت سائر نساء النبي على شيء من هذا العلم ، وروى عنهن وعن عائشة وعن الصحابة كثيرات من نساء ذلك الجيل . ذكر منهن ابن سعد في طبقاته عدداً كبيراً^(١) ، منهن من كانت بينها وبين صاحبنا عمر صلات صداقة او قرابة او حب كسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وغيرها .

التزاع بين هاتين

وغريب ان ترى سير هذه الحركة الدينية في الحجاز الى جانب حياة هؤلاء العرب المبهجة التي حاولنا تصويرها في الفصول السابقة ، وذكرنا بعضاً ما كان فيها من ترف ووهو ومرح وفرح وطرب مازجها في كثير من الاحيان عبث ومجون وفسق وخروج على حدود الدين وشرائعه ووصاياه .

وجميل ان يدرس هذا التزاع الذي كان ينشب بين اهل هذه الحركة الدينية من جهة ، وبين اهل هذه الحياة التي وصفنا من جهة ثانية ، فترى وجوه الاختلاف بين الفريقين ، وترى وجوه الاختلاف بين اهل الحركة الدينية انفسهم فيما يتعلق باحكامهم على هذا اللهو واهله ، وترى اختلاف الاقطار ورجالها في النظر الى هذا الامر ، بل ترى الى اي حد تنصرف هذه الحياة على تلك ، او تلك على هذه ، والى اي حد كان الزعماء السياسيون يوالون اصحاب هذه او تلك ، والى اي حد كان يشفق رجال الدين على رجال اللهو ، او يعيب هؤلاء باولئك . ومن هنا نستطيع فهم هذه الطائفة من الاخبار والقصص التي تصور لنا هذا التزاع بين الحياتين ، بين الدين والاخذ بشرائعه وحدوده والاقبال على درسه وفهمه ، وبين حياة اللهو والمرح والعبث ، ومن هنا نفهم بعض الشيء عن ملاحقة بعض عمال بني امية المتحرجين لهؤلاء الشعراء العابثين في اقدس مدن

الحجاز ، وفيهم لهم ، او سجنهم ، او تعذيبهم ، او نصح بعض الفقهاء لبعض
 المجان في ان يمتنعوا عن السير على منهج الباطل ، او جزع والد شقيق على ولد
 جاهل يعبت ، او اشفاق اخ رقيق على شقيق ماجن يلهو . ولم يكتف الرواة في
 تمثيلهم هذا النزاع بين الحياتين على امثال هذه الاخبار ، بل اضافوا اليها اخباراً
 تمثل النزاع بين المرء ونفسه ، او ان شئت فقل بين شخصيته المختلفتين ،
 شخصيته الدينية المتعبدة ، وشخصيته المرححة العابثة ، ومن هنا نستطيع فهم هذه
 الروح التي صورنا في مجئنا عن ظرف عبّاد الحجاز وفقهائها . و اراد بعضهم ان
 يصور لنا قوة هذه الحياة المرححة التي سيطرت بلهوها وعبثها على شبية ذلك
 العصر من اهل الحجاز ، فغلبوا الاولى على الثانية ، وذكروا اكثر من قصة عن
 شعراء وفقهاء الفوا المرح واللهو ، بينا اسفق البعض الآخر من الرواة على اهل
 اللهو والعبث كصاحبنا عمر مثلاً فاماتوه وقد تاب وعف ونسك فيما يزعمون .^{١)}

أثر الحركة الدينية في الادب

والذي لا شك فيه هو ان هذه الحركة الدينية قد اثرت تأثيراً كبيراً في
 حياة اهل ذلك الجيل ، فغيرت كثيراً من عاداتهم واخلاقهم ، والانت من
 طباعهم ، فانعكس هذا في ادبهم ، بل قد تاثر الادب في اكثر من ذلك ، فاخذ
 من تعابير القرآن ومعانيه وتراكيبه الخاصة ، واستعان بها ، وكان اثر هذه كلها
 ظاهراً في شعر صاحبنا كما سنرى .

١) الاصحاحي ١٦: ٨ و ٢١: ٤ و ١٢٣: ١٦ و ٢٦: ١ و ابن عبد ربّه ٣: ١٦٨ وابن سعد

الحياة الادبية

ليس طبيعياً بعد هذه التطورات المختلفة التي طرأت على العرب في ذلك الجيل ، من دين جديد دكَّ معالم اوثانهم ، الى فتوحات هزتهم طرباً فما سكنوا حتى صارت اعظم ممالك الارض تحت اقدامهم ، الى توغل في اراضي هذه الممالك واتصال باهلها ، وامتلاك بعض ابنائها ارقاء وبناتها سراري ، الى في عظيم افاءه الله عليهم من خيراتها واموالها ، فاثروا ، فدفعهم الثراء الى الترف واللهو والعبث ، الى نزاع كان ينشب فيما بين احزابهم ، فيعكر عليهم راحتهم وهدوءهم وصفو عيشتهم ، فتظهر الفتن والثورات ، الى حروب اهلية تسيل فيها دماؤهم وسط اقدس البقاع عندهم ، اقول ليس طبيعياً بعد هذه التطورات الا يتطور الادب العربي في ذلك العصر ، وهو صورة الحياة ، فيختلف الناس في فهمه وتقديره اختلافهم في امر هذه العوامل التي كان لها الاثر الاكبر في بعثه وتكليفه .
ومها يكن شأن هذه التطورات وقوتها ، فالباحث في حياة العرب الادبية في هذا العصر تبدو له ظواهر اربع ، لعلها كانت الصبغة الغالبة في لون تلك الحياة .

النثر

الشعر اكثر شيوعاً من النثر

اما الظاهرة الاولى فهي ان الشعر كان اعم واكثر شيوعاً في ذلك العصر من النثر ، او على الاقل كان اقوى على البقاء من النثر ، فهو ان لم يكن اكثر انتشاراً منه ، واقرب الى فهم اهل ذلك العصر واذواقهم ، فقد كان اقوى على

البقاء في صدورهم ، ثم في كتبهم ، بحيث لا يكاد يقابل الآن ما تحدّر النينا منه مع تلك الطائفة الضئيلة مما بين ايدينا من النثر . ولكن رغم هذا كله فقد كان في ما وصلنا من خطب اهل ذلك العصر ورسائلهم ما يدل على ان النثر قد بلغ من الرقي درجة كبرى .

وقد كانت هناك عوامل شتى ساعدت على رقيه أهمها ظهور الاسلام والقرآن ، وما يتفرع عنها ، واختلاف المسلمين فيما بينهم ، وانقسامهم الى شيع واحزاب ، وحاجة اسرائهم وخطبائهم الى الدفاع عن احزابهم المختلفة ، وبث الدعاية لها ، ورد الخصوم عنها . ناهيك بما كان لاحتكاك العرب الفاتحين بالفرس والروم من أثر في حياتهم وتفكيرهم .

وقد عرف ذلك العصر رجالاً من اشهر خطباء العرب وكتابهم . غير ان ما حفظ عن كل من هؤلاء لا يتجاوز الصفحات الى الكتب . فقد سبق لنا وذكرنا ان الزمن لم يخلف لنا من كتب اهل ذلك العصر شيئاً . وهذه القطع المبعثرة التي خلفت قد نثرت هنا وهناك في كتب المتأخرين من رجال العصر العباسي . ومجمل الشك في صحة بعضها واسع ، لاسيما تلك التي تنسب الى رجال الاسلام الاول ، والتي يشتم منها بعض النزعات الحزبية او الدينية .

الخطابة

اما الخطابة فقد كانت على نوعين ، سياسية ودينية ، ولم يعرف العرب حتى عصرنا الاخير هذه الخطابة القضائية التي تلمس فيها الحجة والاقناع .

وكانت تدور الخطبة الدينية اول الامر على حض الناس على التقوى ، وتذكيرهم بالآخرة ، وتشجيع الجند اذا كانوا في حرب او حثهم على الثبات والصبر . وتطورت هذه الخطبة آخر الامر حتى صارت شيئاً رسمياً ، لها عبارات خاصة لا تتجاوزها ، ولعل السياسة طغت على الخطابة الدينية فحصرتها في نطاق ضيق لا تتعداه ، بحيث لم يكن لها هذا المركز الذي كنا ننتظره لها في مثل ذلك العصر وبعده .

وظهرت الخطابة السياسية منذ اول الفتح ، واخذت تقوى وتنمو ، غير ان تغيير نظام الحكم ضيق نطاقها فحصرت في هذه الاساليب التي يدافع بها العمال

عن سياسة خلفائهم ويتهددون الخصوم ، ومن يقرأ خطب زياد والحجاج وخالد القسري يجدها على مذهب واحد ، تسلك طريق الدفاع عن صاحبي الامر من بني امية ، ثم زجر الخصوم ، وايعادهم وتهديدهم ، والاخاح عليهم بشدة وعنف . قال زياد في خطبة له : واني اقسم بالله لاخذن الولي بالمولي ، والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقي الرجل منكم اخاه فيقول : وانيج سعيد فقد هلك سعد ، او تستقيم لي قناتكم . . . وقال في آخر خطبته هذه : فادعوا الله بالصلاح لامتكم ، فانهم ساستكم المؤذون لكم ، وكهفكم الذي اليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك اسفكم ، ويطول له حربكم . . . حتى يقول : وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاي^(١) . وقال الحجاج في خطبة له وقد ملكتها الشدة فاستأثرت بها حتى لكأنك تسمع منه طائفة من السخط يلقيها على رؤوس سامعيه : واني لأرى رؤوساً قد اينعت ، وحان قطافها ، واني لصاحبها ، واني لانظر الدماء بين العائم واللحي تترقرق . وفيها : وان امير المؤمنين نثر كنانته ، ثم عجم عيدانها ، فوجدني امرها عوداً ، واشدها مكسراً ، فوجهني اليكم ، وربما ك لي ، فانه قد طالما اوضعتم في الفتن ، وسنتم سنن الغي . . . من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه ، وانتهبت ماله ، وهدمت منزله^(٢) .

وخطب خالد بمكة — وقد اخذ بعض خصوم بني امية فجبسه فاعظم الناس ذلك وانكروه — فقال : وقد بلغني ما انكرتم من اخذي عدو امير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو امرني امير المؤمنين ان أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها^(٣) .

وكان زعماء الثوار يخطبون في رجالهم ، وفي المدن التي يدخلون ، مدافعين عن مذهبهم عند الثورة ، ثم يهاجمون الخلفاء والولاة . وكان هناك مجال ان ترتقي

(٢) ابن عبد ربه ٢ : ١٨٧

(١) ابن عبد ربه ٢ : ١٨٢ - ١٨٤

(٣) الاصبهاني ١٩ : ٦٠

هذه الخطب ، وتتنوع ، لولا ان سيف بني امية كان يجمع هذه الثورات بشدة فتسكت السنة خطابها .

ولقد ذكرنا بفصل سابق شيئاً من خطبة لـاحد زعماء الخوارج فلترجع هناك .
وليلاحظ فيها خفة الروح ، والدعة واللين ، مما يدل على ان خطاب الخوارج قد تأثروا بالدين اكثر من خطاب بني امية .

والخلاصة ان هذا العصر قد شهد حركة للخطابة لم تكد تظهر وتبدأ بالنمو والازدهار ، حتى قضي عليها . وكان الانشاء في اكثر هذه الخطب متين العبارة ، حسن السبك ، شديد الاسر ، موجزاً ، مع شيء من الاطناب في المناسبات التي تقتضي الاطناب ، ومع ان اجزاء الخطب لم تكن مرتبة منطقياً ، فقد كان وقعها في اغلب الاحيان عظيماً .

الرسائل

اما الرسائل فقد كانت تختلف باساليبها عن الخطابة . ولعلّ رسائل العهد الاول من ذلك العصر كانت اقرب الى اساليب الخطابة من رسائل العهد الاخير ، وقد روعي في اكثرها الايجاز . ومن يدري لعلّ قلة المواد التي يكتب عليها كانت احد الاسباب في مراعاة العرب الايجاز في رسائلهم اول الاسلام ، ثم لما انتشرت بينهم اوراق البردي ، وغيرها من مواد الكتابة التي عرفتها الامم المغلوبة ، زال هذا المانع ، وليس من شك انه كانت هناك مناسبات واحوال تقتضي الايجاز ، فكان يوجز الكاتب حتى في آخر العصر الاموي ، وانه كانت هناك ظروف تقتضي الاسهاب والاطناب فيطلب الكاتب حتى في اول العصر الاموي . وقد جمع القرآن هذين الاسلوبين فاوجز واطناب حسب مقتضى الحال .^(١) وشهد آخر العصر الاموي نفراً شهروا في كتابة الرسائل ، لعل اولاهم بالذكر عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الاخير ، وقد حفظت عنه رسائل كثيرة — في ابواب مختلفة — ضاعت اقسام من بعضها . ويلوح في هذه الرسائل

(١) كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري . مصر ١٣١٩ هـ . ص ١٤١-١٤٥ وراجع

شيء من تطور النثر في ذلك العصر، ولعلّ اظهر ما في هذا التطور امران: اولها طول الرسائل، وقد بلغت احدى رسائل عبد الحميد هذا الى عبدالله بن مروان - ولي عهد الخليفة، وعامله بالجزيرة - ما يقرب ثلاثين صفحة من حجم هذا الكتاب، فهي اقرب الى كتاب صغير منها الى رسالة، ويقال انه لا مثل لها في معناها. ^(١) وثانيها طول الجمل، وكثرة الترادف والعطف فيها، وقد قال في رسالته الى الكتاب: «والكتاب، لفضل اديه، وشريف صنعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يجاوره من الناس، وينظره، ويفهم عنه، او يخاف سطوته، اولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سانس البهيمية للتي لا تحير جواباً، ولا تعرف صواباً، ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها».

وقال ايضاً في الرسالة نفسها: «ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه، وغير ذلك من فنون امره، قدر حقه».

ولعلّ اظهر خصائص هذا النثر في ذلك العصر متانة التركيب، وشدة الأسر، وحدة العاطفة، وتمكين المعاني بايراد جمل تكاد تكون متقاربة في مدلولها، واثير الخيال في كثير من المواقف لاسيما الخطابية منها كقول الحجاج: «واني لأرى رؤوساً قد اينعت وحن قفافها واني لصاحبها واني لانظر الدماء بين العائث واللحى تترقق». وعدم تكلف السجع كما رأيت في هذه القطع المختصرة التي اوردنا.

الشعر

انتشار الشعر ورواجه

اما الظاهرة الثانية فهي انتشار الادب، لاسيما الشعر، ورواجه، وشدة الصلة بينه وبين عامة الناس، الى درجة لافظن عصراً من عصور الدول العربية

(٢) كرد علي ١٧٣

(١) كرد علي ١٣٩

(٣) راجع ايضاً زكي مبارك ١: ٥٧ - ٦٣

عرفها وربما لانكون مغالين اذا سلمنا مع الاستاذ جرجي زيدان في قوله: «لم يكن للشعر العربي تأثير في النفوس، ومثله في الدولة، في عصر من اعصر العرب مثل ما كان له في العصر الاموي».^(١)

الخلفاء والشعر

ويكفي ان يعني الخلفاء والامراء والولاة به حتى تقبل عليه الناس، فترد عذب مائه، وتتفياً وارف ظله، فقد كان معاوية مؤسس دولة بني امية في دمشق وزعيم قريش في عصره يحب الشعر، ويكثر من روايته.^(٢) وكان يقول: يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر اعلى مراتب الادب. ويقول: اجعلوا الشعر اكبر همكم، واكثر دأبكم، فلقد رايتني ليلة الهريز بصفين، وقد اتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الارض، وانا اريد الهرب لشدة البلوى، فما حملني على الاقامة الا ابيات عمرو بن الاطنابة:

ابت لي همي وابى بلائي واخذي الحمد بالثمن الريح
واقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح الخ.^(٣)

وكانت له عناية بدرس الشعر، ونقده، ونقد الشعراء، وتفضيل الواحد على صاحبه، وكان يتصدى للتفاضل بين القبائل في ايها شعر، وقد قال: خلوا لي طفيل الغنوي، وقولوا ما شئتم في غيره.^(٤) وقال: مزينة اشعر العرب.^(٥) بل هناك من يزعم ان معاوية كان يجيد قول الشعر اذا آثر ان يقوله.^(٦) ونشأ يزيد ابنه نشأة حببت اليه الشعر، فكان يروي منه الكثير.^(٧) ويذكر ابن سلام في طبقاته ان يزيد كان يتناول الشعر مع عبد الرحمن بن حسان^(٨)، ويذهب الى ان ابن حسان استعلاه، فاستجار بكعب بن جعيل، فابى هجو الانصار، ثم دله على الاخل، ففجأهم بقوله:

- (١) زيدان (١) ٢٤٥: ١
(٢) الاصمعي ١٥٢: ٧ و ١٤: ٦٢
(٣) ابن رشيقي ١٠: ١ والطريري I: ٢٣٠٠ (٤) الاصمعي ١٤: ٨٨ وابن قتيبة (ش) ٢٧٥
(٥) الاصمعي ١٠: ١٦٥ (٦) ابن ابي حديد ٣: ٤٧٦
(٧) الاصمعي ١: ٢٩ و ٨٥ و ١٣: ٦٤ (٨) ابن سلام ١٠٨

ذهبت قریش بالمكارم كلها واللوم تحت عمام الانصار (١)

ويذكر له ابو الفرج شعراً في احدى غزوات الصائفة ، وآخر في وفاة ابيه .^(٢)
وينسبون اليه القصيدة المشهورة :

نالك على يدها ما لم تنله يدي (٣)

وينسبون اليه ايضاً :

إذا ما ام عبدالله (م) لم تحلل بواديه
ولم تمس قريباً هيج الحزن دواعيه
غزال راعه القناص (م) تحببه صياصيه
وما ذكرى حبيب (م) وقليل ما اواتيه
كدن الخمر ينهاها وقد اترف ساقيه
عرفت الربيع بالاكليل (م) غفقه سوافيه
بجوة ناعم الحوزان (م) ملثف روايه (٤)

وسواءً أصبح هذا ام لم يصح ، فليس من شك في انه لم يكن بالشاعر المهن .^(٥) ذكر ابن خلكان ان يزيد ديوان شعر يدخل في مقدار ثلاث كرايس ، وكان اول من جمعه واعتنى به المرزباني . ويقول ابن خلكان : ان شعر يزيد مع قلته هو في نهاية الحسن ، ويذكر عن نفسه انه حفظ جميع ديوان يزيد لشدة غرامه به ، وذلك في سنة ٥٦٣٣ بمدينة دمشق .^(٦)

ويروي له من اطايب شعره هذه الابيات ، وهي بحق من اجمل الشعر :

إذا رمت من ليلى على البعد نظرة تطفئ جوى بين الحشا والاضالع
تقول نساء الحي تطمع ان ترى محاسن ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدايع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها في خروق المسامع
احبك يا ليلى عن العين انما اراك بقلب خاشع لك خاضع (٧)

وكان خالد ابنه — على ما عرف من ولعه وشفقه بالعلم والكيمياء —

- | | |
|------------------------|---------------------------|
| (١) ابن سلام ١٠٨ و ١٠٩ | (٢) الاصبهاني ١٦ : ٢٢-٢٤ |
| (٣) زيدان (١) ٢٢٨ : ١ | (٤) الاصبهاني ١٤ : ١١٦ |
| (٥) لامنس (م) ٣ : ١٩٣ | (٦) ابن خلكان ١ : ٢٢٤-٢٢٥ |
| (٧) ابن خلكان ١ : ٢٢٤ | |

شاعراً، ويذكر ابن خلكان ان لخالد هذا اشعاراً مطولات، ومقاطع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه، وله في غير ذلك اشعار جيدة منها:

نحول خلاخيل النساء ولا ارى لرملة خلخالاً يحول ولا قلباً
— احب بني العوام من اجل حبها ومن اجلها احببت اخوالها كلباً
وهي طويلة.^(١)

وكان عبد الملك بن مروان اديباً، عالماً بالشعر، وكان يحضر مجلسه احياناً بعض الشعراء فيثذكرون الشعر بحضرته.^(٢) وكان راوية يحفظ الكثير من جيد المنظوم ويتمثل بالشعر.^(٣) وكتب الادب ملأى باخباره، فمن نقد صائب في الشعر، والتفتت الى مواضع القوة والضعف فيه،^(٤) الى التصدي لتفضيل شاعر على شاعر،^(٥) والتعرض فيمن هو اشعر الشعراء. وغريب ان ينقل اليها الرواة روايات مضطربة عن احكام يصدرها هذا الخليفة الاديب في من هو اشعر شاعر. فقد روي انه قال: معن اشعر الشعراء.^(٦) وروي انه قال: كثير اشعر الشعراء.^(٧) وجيز اشعر الشعراء.^(٨) واشعر الناس الاقشر.^(٩) ناهيك فيما روي عنه من تفضيله الاخطل، وقوله عنه: «ان لكل قوم شاعراً، وان الاخطل شاعر بني امية».^(١٠) او قوله له: «يا اخطل اتريد ان اكتب الى الافاق انك اشعر العرب؟»^(١١) وروي الرواة «ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث كتب الى الحجاج مبتدئاً: اما بعد، فان مثلي ومثلك ما قال القائل:

سائل مجاور جرم هل جنب لها حرباً تفرق بين الجيرة الخلط
ام هل دلفت بجرار له لب يغشى الاماعيز بين السهل والفرط

هذا مثلي ومثلك، فسامحك على اصعبه، واريحك من مركبه. فكتب

(٢) ابن قتيبة (ش) ٢٤٢

(١) ابن خلكان ١: ٢٢٧

(٣) الاصبهاني ١١: ٩٨ و ١٧٠ وابن قتيبة (ش) ٢٥٤

(٤) ١٩٠: ٢ و ٥٥: ٧ و ١٨١ و ١٧٢ و ١٨٣ وابن قتيبة (ش) ٣٠١

(٦) الاصبهاني ١٠: ١٦٧

(٥) الاصبهاني ٧: ١٨١ و ١٠٢: ١١

(٨) الاصبهاني ٧: ٦٠

(٧) الاصبهاني ٨: ٢٦

(٩) الاصبهاني ٧: ١٨١

(١٠) الاصبهاني ١٠: ٨٧

(١١) الاصبهاني ٧: ١٧٢

الحجاج بذلك الى عبد الملك ، فكتب اليه جوابه : اما بعد ، فاني اجبت عدو الرحمن بلا حول ولا قوة الا بالله ، ولعمري الله لقد صدق ، وخلع سلطان الله بيمينه ، وطاعته بشماله ، وخرج من الدنيا عرياناً كما ولدته امه . ثم لم يصبر عبد الملك على ان يدع جوابه بشعر . فقال : وعلى ان مثلي ومثله ما قال الآخر :

اناة وحلماً وانتظاراً بكم غدا فانا بالواني ولا الضرع الفمر

افن صروف الدهر والجل منهم ستحملهم مني على مركب وعمر

فليت شعري أسماً عدو الرحمن لدعائم دين الله يهدمها ، أم رام الخلافة ان ينالها ؟ واوشك بان يوهن الله شوكته . فاستغن بالله واعلم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .^(١)

ومما يدل على سعة اطلاعه في الشعر ان عبد الرحمن هذا قد تمثل بشعر لوعلة الجرمي ، وان عبد الملك اجابه متمثلاً بشعر ابن وعلة — الحارث بن وعلة الجرمي — .^(٢) ويروى عن عبد الملك انه كان معجباً بشعر عبد الله بن جحش ، فكتب اليه يامره بالقدوم عليه ، فورد كتابه وقد توفي ، فقال بعض اهله لابنه : لو شخصت الى امير المؤمنين لعله ينفعك ، ففعل ، فاستنشد عبد الملك ابياتاً لابييه ، فلم يعرفها ، ثم استنشد غيرها ، فلم يعرفها ، ثم استنشد للمرة الثالثة ابياتاً اخرى لابييه في امراته صهبا . قال : لا والله يا امير المؤمنين ما ارويها ، وان صهبا هذه لأمي . قال عبد الملك : ولا عليك ، قد يبغض الرجل ان يشبب بأمه ، ولكن اذا نسب بها غير ابييه ، فافتر لك ! ورحم الله اباك ، فقد ضيقت ادبه ، وعقله اذ لم ترو شعره ، اخرج ! فلا شيء لك عندنا .^(٣)

وقد كان عبد الملك يشجع الشعراء فيمنحهم الجوائز ، واخباره في هذا الباب اكثر من ان تحصر هنا . وقد كثرت عليه وفود الشعراء ، وكان يقول انه ما من شاعر الا وقد سبق الينا من شعره قبل رؤيته .^(٤) وكان يتذاكر الادب مع جلسائه على مائده ، وروا انه وقف على مائده فقال : من القائل اذا الارطى توسد ابرديه ؟ الخ . وما معناه ؟ ومن اجاب فيه اجزناه .^(٥)

(١) الاصبهاني ١٩ : ١٤٠ (٢) الاصبهاني ١٩ : ١٤٠ (٣) الاصبهاني ١٧ : ١٢٠

(٤) ابن قتيبة (ش) ٤٦٠ ويروي ابو الفرج هذا الامر عن يزيد بن معاوية الاصبهاني ٧ : ٥٢

(٥) الاصبهاني ٨ : ١٠٧

في ظل معاوية وعبد الملك

ولقد كان لعهد الرخاء والطمانينة الذي تلا عهد حروب عبد الملك مع الثاثرين اثر كبير في تكييف هذه الحياة الادبية ورواج سوقها ، حتى انك لتقرأ في الاغاني وغيره من كتب الادب عن الادب في تلك الحقبة الاخيرة من عهد عبد الملك ما لا نستطيع حصره هنا . وكذلك قل عن آخر عصر معاوية بعد حربه مع علي ، ومصاحلته مع الحسن ، فقد اسس دعائم ملك جديد ثبت به سطوة بني امية ، وانا ح للامسة العربية ان تستريح نحو عشرين عاماً في ظله كانت من خير الحقب انتاجاً في الشعر العربي .

سائر الخلفاء

ولو مضينا نتبع اخبار سائر الخلفاء من بني امية لرأينا ان اكثرهم كانوا يشجعون الشعر ، ويحبون الأدب ، حتى روى ابو الفرج ان كثيراً كان يفد على الخلفاء ، فيلقي عليهم بيوت الشعر ، ويسألهم عن المعاني ، فكانوا يشتهونه منه ويسألونه اياه^(١) . وتناشد الاخطل وجور عند عبد الملك ، فانشد الاخطل كلمة عمرو بن كلثوم التغلبي : « الا هي بصحنك فاصبعينا »

قالوا : فتحرّك الوليد ، وقال لجريز : مقّر يا جريز . يريد قصيدة اوس بن مغراء السعدي : « ماذا يهيجك من ربع بفيحانا » .^(٢)

وقد استألوا اليهم اكثر الشعراء ، وادنواهم منهم ، وجعلوا بعضهم شعراء بلاطهم . نذكر من هؤلاء الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، ويؤيد ابن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، بل كان من المتأخرين منهم من نبغ في الشعر ، لاسيما في الحمريات ، كالوليد بن يؤيد .

وقد كان لرغبة هؤلاء الخلفاء في قرض الشعر ، او سماعه ، وقدرتهم على فهمه ونقده ، وتقديرهم اياه قدره ، وتشجيعهم الشعراء ، ورعايتهم لهم ، واحسانهم اليهم باجزل العطايا ، كان لهذا كله اثر كبير في تقدّم الشعر ، ورواجه ، وانتشاره ، واقبال عامة الناس عليه .

الشعر عند الامراء والقواد والولاة

واعتبر ذلك في الامراء والقواد والولاة فقد كانوا في الغالب يقلدون خلفاءهم في تشجيع الشعراء ، واسباغ النعم عليهم ، ورعاية الادب ، ولم ينقصهم ان يكون منهم ادباء كبشر بن مروان ، ومسلمة بن عبد الملك ، والحجاج بن يوسف ، وخالد القسري ، والحارث بن خالد المخزومي ، وسبّ بن عقّال ، وزيد ابن ابيه ، وغيرهم من القواد والولاة . او كعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عباس ، وابن ابي عتيق ، وغيرهم من الاشراف . والرواة يحدّثوننا ان جريراً كان شاعر الحجاج قبل ان يفد على عبد الملك^(١) . وان الحجاج استدعاه ذات ليلة ، وسأله ان يقص عليه اخبار خصومته مع الشعراء ، فقصى معه الليل كله ينشده الى الصباح شعر من هجّوه ، ثم يذكر له رده عليهم ، رايّاً له سبب المهاجة بينه وبينهم^(٢) . وهم يحدّثوننا ان الحجاج فرض لاياس بن حصين ثلثماية درهم في السنة لقاء حسن رايه في امر محاربة بعض الخوارج ، فقال ايّاس شعراً في ذلك ، فقال الحجاج حين بلغه شعره : افرضوا له في الشرف . ففرضوا في الفتي درهم ، وهي درجة اهل الشرف^(٣) . وهم يحدّثوننا ايضاً ان بشر بن مروان كان شاعراً ناسباً من اهل الادب والعلم ، واصحاب الاخبار ورواية الاشعار^(٤) . وانه كان جدي مولع في ان يوقد الحصومة بين هؤلاء الشعراء ويغري بينهم^(٥) . روى ابو الفرج ان بشرا ارسل الى جرير قصيدة مكتوبة لسراقة البارقى ، وامر الرسول ان لا يبرح حتى يحيب جرير عنها ، وقال انه مكث ليلة يجتهد ان يقول شيئاً فلا يمكنه ، حتى اوحى اليه شيطانه ان يقول :

يا بشرُ حقّ لوجهك التبشير هلاً قضيت لنا وانت اميرُ

وفيها يقول :

قد كان حقك ان تقول لبارق يا آل بارق فيم سبّ جريرُ
يعطي النساء مهورهن كرامة ونساء بارق ما لهن مهورُ

(٢) الاصبهاني ٧: ٤٢-٤٩

(٤) ابن ابي حديد ٣: ٤٧٦-٤٧٨

(١) الاصبهاني ٧: ٤٢

(٣) جرير والفرزدق ٢: ٨٩٧

(٥) الاصبهاني ٧: ١٧٥ و ١٨٥

ويتهيى ابو الفرج في حديثه الى ان الرسول اخذ قصيدة جرير ومضى بها الى بشر ، فقرئت بالعراق ، وافهم سراقه ، ولم ينطق بعدها بشي . من مناقضته .^(١) وكانت الشعراء تردحهم بباب بشر تتفاضل فيما بينها ، وتدحه ، فيجزل لها بالطاء .^(٢) وكان الحارث بن خالد المخزومي — والي عبد الملك على مكة — احد شعراء قريش الخمسة المعدودين .^(٣) وكان عبد الله بن جعفر يحب الشعراء ويجزل لهم العطاء .^(٤)

الفقرى والجمعة والشعر

وكان عبد الله بن عباس الامام الكبير يحب الشعر . رواوا عنه انه كان يجلس في المسجد ، فتتهافت عليه الناس من كل صوب وحذب ، وانه وفد عليه نافع بن الازرق وناس من الخوارج ، وهو في المسجد الحرام ، وبينما هم يسألونه عن امور الدين ، اذ اقبل عمر ابن ابي ربيعة ، في ثوبين مصبوغين موددين او ممصرين حتى دخل وجلس ، فاقبل عليه ابن عباس فقال : انشدنا فانشدته :
امن آل نعم انت غدا فيمكر غداة غد ام رائح فمجر

حتى اتى على آخرها ، فاقبل عليه نافع بن الازرق فقال : الله يا ابن عباس ! انا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقل عنا ، ويأتيك مترف من مترفي قريش فيمنشذك :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالعشي فيخسر

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيضجى واما بالعشي فيخسر

فقال : ما اراك الا قد كنت حفظت البيت ! قال : أجل ! وان شئت ان انشدك القصيدة انشدتك اياها قال : فاني اشاء . فانشدته القصيدة حتى اتى على آخرها .^(٥) وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة احد فقهاء المدينة السبعة ، وكان اماماً

(٢) الاصبهاني ٤٤: ٧ و ٥٢

(١) الاصبهاني ٦٢: ٢

(٤) الاصبهاني ١٥٨: ٤ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٠٦

(٣) الاصبهاني ١٠١: ٣

(٥) الاصبهاني ٢٤: ١

كبيراً نقل الفقه والحديث عن جماعة من وجوه الصحابة ، وروي عنه ، قال
الزهري : سمعت من العلم شيئاً كثيراً فلما لقيت عميد الله بن عبد الله كاني
كنت في شعب من الشعاب فوقعت في الوادي .^(١) وكان مع ذلك شاعراً روى له
ابو الفرج قصائد كثيرة . وقد قيل له : أتقول الشعر في فضلك ونسبك ؟
قال : ان المصدر اذا نفث برأ .^(٢)

وكان عروة بن اذينة من النساك ونظم الشعر .^(٣) واليه تنسب الابيات
الغزلية التي مطلعها :

ان التي زعمت فؤادك ملها جملت هواك كما جعلت هوى لها

وقد روى ابو الفرج ان ابن عائشة المغني سأل عروة ان ينظم له ابياتاً
هزجاً يغني فيها ، فقال له : اجلس ! فجلس ، فقال :

سليمي اجمت بينا فاين تقولها اينما
وقد قالت لاتراب لها زهر تلاقينا
تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا
وغاب الكرم الليلة والمين فلا عينا
فاقبلن اليها مسرعات يتهادينا
الى مثل مهاة الرمل (م) تكسو المجلس الرينا
تمنين مناهن فكنا ما تمنينا

وروي ان ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله . تمنين مناهن — فكنا
ما تمنينا .^(٤)

وكان عبد الرحمن ابن ابي عمار الجشعي من قراء اهل مكة ، وكان يلقب
بالقس لعبادته ، فسمع غناء سلامة ففتن بها . وله فيها اشعار كثيرة اثبت بعضها
الاصمهاني في اغانيه ، منها :

ان التي طرقتك بين ركائب تمشي عذرها وانت حرام
لتصيد قلبك او جزاء مودة ان الرفيق له عليك ذمام
باتت تمللنا وتحسب اتنا في ذاك ابقاظ ونحن نيام

(١) الاصمهاني ٨ : ٩٢-٩٣ (٢) الاصمهاني ٨ : ٩٥-٩٦ (٣) الاصمهاني ٣١ : ١٦٢

(٤) الاصمهاني ٣١ : ١٦٨ (٥) الاصمهاني ٣١ : ١٦٦

حتى اذا سطع الضياء لناظر
قد كنت اعذل في السفاهة اهلها
فاليوم اعذرهم واعلم انما
سبل الضلالة والهدى اقسام (١)

وله فيها :

الا قل لهذا القلب هل انت مبصر
الا لبت اني حيث صار بما النوى
واني اذا ما الموت زال بنفسها
اذا اخذت في الصوت كاد جلسها
كان حماما راعياً مودياً
اذا نطقت من صدرها يتفشم (٢)

وكان سعيد بن المسيب من فقهاء المدينة يستمع الشعر ويفاضل بين الشعراء. (٣) ورووا عنه انه كان كثير الانشاد والاستشاد للشعر في المسجد وكان يفخر بصاحنا عمر ويحفظ شيئاً من شعره. (٤)

وانشد عمر رأيت طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ، وهو راكب ، فوقف ، وما زال شائعاً ناقته حتى كتبت له. (٥)

وترى انه حتى الفقهاء والمحدثين واصحاب العلوم الدينية كانوا مولعين بهذا الادب ، يحبونه ، ويستلذون سماع الشعر وينظمونه ، وهم بالوقت نفسه على صلة مع هؤلاء الشعراء يستمعون اليهم ، ويستنشدونهم .

الشعر عند عامة الناس

واذا اعتبرنا هذه الحياة عند عامة الناس في ذلك العصر ألفينا رواجاً لسوق هذا الشعر يضيق نطاق بحثنا عن حصره او وصفه . ولو لم يطغ سيل هؤلاء الشعراء السياسيين المهجائين كجبرير والاخلط والفرزدق فيغمر اكثر الشعراء من معاصريهم حتى يكاد يحمل ذكرهم لكنا سمعنا بشهرة المئات منهم ؛ ومع ذلك فقد لمع الى جانب اسماء هؤلاء المهجائين اسماء شعراء لا يقاؤون عنهم قدرة او شهرة في الابواب التي طرعوها واختصوا بها . منهم من حاول جبرير او الفرزدق

(٢) الاصبهاني ٨: ٦٠

(١) الاصبهاني ٨: ٦-٧

(٤) الاصبهاني ١: ٥٠٠

(٣) الاصبهاني ١: ٥٠٠ وانظر ابن سلام ١٠٢

(٥) الاصبهاني ١: ٢٨

او الاخلل تقليدهم فيها، حتى الشعر الهجائي فقد لمع فيه غير هؤلاء. نفر كثير.
وروى الرواة انه تصدى لجريز حول الاربعين شاعراً يهجونهم، وذكروا ان الهجاء
استدعاه ليقص عليه اخبارهم واشعارهم فقصى الليل كله في امرهم.^(١)
وروى ابن سلام في طبقاته، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، وابو
الفرج في اغانيه، وغيرهم، لشعراء اسلاميين عاشوا في العصر الاموي يعدون
بالمئات. وترجم الاستاذ جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية لأكثر
من مئة شاعر عاشوا في الستين سنة الاخيرة من القرن الاول للهجرة.^(٢)
وتغفل الشعر في صفوف عامة الناس من مختلف الطبقات، رجالاً
ونساءً. وعقدوا له الحلقات والمجالس في مختلف المواضع التي كانوا يجتمعون
فيها، وفي شتى المناسبات، فتناشدوه في المساجد، ولهاو بساعه في رحلاتهم
واسفارهم، ومواسم حجتهم ومنتزهاتهم^(٣)، حتى كانت تعقد له كما رأينا حلقات
خاصة في العقيق، وتناشدوه في الاسواق العامة على النهج الذي كانوا يهجون
في جاهليتهم، فكانوا اذا هداؤا من الحروب والثورات والفتن، واستقروا في
اوطانهم - جديدة كانت او قديمة - عادوا الى عهدهم. ولقد مر معنا كثير
من اخبار حياتهم الادبية في الجائنا عن مواسم الحج، والعقيق، وحفلات الغناء
في الحجاز، فلتراجع هناك؛ ولتلفت هنا الى موضع خاص في العراق، هو
مربد البصرة، فلعله اولى ما يجذب انظارنا في هذا الباب.

المربد

المربد محلة في البصرة، والاغلب انها كانت موضع سوق الابل^(٤)، ثم
صارت سوق ادب اهل العراق، فكان الشعراء يجتمعون في ساحته يتنافرون

(٢) زيدان (١) ٢٤٩: ٢٠٨

(١) الاصمعياني ٤٣: ٤٩

(٣) راجع الاصمعياني ٣٤: ٥٠ و ١٢٨: ٦ و ٨٧: ٧ و ٥٥: ٥٦ و ١٧٨: ١٧ و ١٢٠:

والمربد ٢٨٥: ١

(٤) ياقوت ٤٨٤: ٦ وفيه: «ومربد البصرة من اشهر محالها، وكان يكون سوق
الابل فيه قديماً، ثم صار محلة عظيمة يسكنها الناس؛ وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس
الخطباء». وراجع ايضاً جريز والفرزدق ٦٠٧: ٢

ويتهاجون ويتفاخرون ، وكان يحضر مجالسهم هذه جاهل من الناس تستمع الى اقوالهم ، كما نستمع في هذا العصر الى شعرائنا وخطبائنا في الحفلات العامة . وكان المستمعون ينقسمون فيما بينهم ، فيميل فريق مع شاعر مثلاً ، ويميل الفريق الآخر مع شاعر آخر . وقد يجوز ان يكون بينهم شعراء فيعينون احد المتبارين او المتهاجين على خصومه ^(١) .

ولعل اول حفل كبير شهدته ساحة المربد كان ذاك الذي حشدت فيه الناس بعد قتل عثمان ، ومبايعة علي ، وقيام عائشة وطلحة والزبير واعوانهم على الخليفة . فالطبري يحدثنا ان هؤلاء خرجوا يطلبون البصرة حتى انتهوا الى المربد ، فخرج من اهل البصرة نفر عظيم اجتمعوا بالمربد ، وجعلوا يشوبون حتى غصّ بالناس . وهنا يقف طلحة خطيباً ، فيذكر سبب قيامه على علي ، ثم يعقبه الزبير فيتكلم بمثل كلام طلحة ، وينقسم السامعون ، فقسم يجبذ ، وقسم يسخط ، وميمنة تناصر ، وميسرة تنكر ، ويتحاشى الناس ويتحاصبون ، وانهم لكذلك اذا بصوت عائشة - وكانت جهورية - يعلو ، واذا بها تخطب في القوم ، فتستميل فريقاً فيصدقها ويناصرها ، ويأبى فريق تصديقها ، ويتحاثون ويتحاصبون ^(٢) .

ثم لما قويت الخصومة في العراق بين القيسية واليمينية ، وبين ربيعة ومضر ، ولما اشتد النزاع الادبي بين شعراء العراق الهجائين كجبرير والفرزدق والراعي وعمر بن لجأ وزباد الاعجم وغيرهم ، صار المربد الساحة الخاصة التي يجتمع فيها الناس ليستمعوا شعر هؤلاء الهجائين . فكان للشعراء مجالس خاصة في ساحة هذا السوق الادبي وحلقات خاصة ينشدون فيها اشعارهم ، ويجلس الناس حولهم يستمعون اليها ^(٣) . والرواة يحدثوننا انه عندما اهان الراعي وابنه جبريراً غضب هذا ، فا زال ليلته تلك حتى قالها ثمانين بيتاً ، ثم اصبح حتى اذا عرف ان الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلس الراعي ومجلس الفرزدق ،

(٢) الطبري I: ٣١١٨-٣١٢٠

(١) الاصبهاني ١٢٢: ٦

(٣) الاصبهاني ١٦٩: ٢٠-١٧٠

غدا عليهم كما سيجيء معنا وانشد رؤيته المشهورة ^(١).

وربما رغب بعض الشعراء ان يظهر بزي خاص وهيئة تجذب اليه التفات الناس ، فقد روى ان الفرزدق غدا ذات يوم وعليه ثياب وشي من ديباج وخز ، وفي يده سوار ، وجلس في مجلسه ؛ وبلغ جريراً امر الفرزدق ولبسه ، فذهب فلبس درعاً وسلاحاً تلمأ ، ثم قصد عباد بن الحصين فحمله على فرس عتيق له يقال له المنجاذ ، واقبل في اربعين فارساً من بني يربوع ، واخذ موضعه في ذلك السوق . واخذت الناس تحتشد حول هذين الشاعرين يستمعون الى اشعارهما ، واخذ البعض يسعى بها فيما بينهما ، وبلغ الفرزدق لبس جرير السلاح فقال :

عجبت لراعي الضان في حطبة وفي الدرع عبد قد اصابت مقاتله

فمال بعض الناس معه ، ثم سمع جرير قول الفرزدق فيه فردّ يقول :

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجلاجله (٢)

وخرج العجاج الراجز مرة محتفلاً عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد اجاد رحلها حتى وقف بالمربد ، والناس مجتمعون ، فانشداهم قوله :

« قد جبر الدين الاله فجبر »

فذكر فيها ربيعة وهجاءهم ، وسمعه رجل من بكر فاسرع الى ابي النجم الراجز ، وهو في بيته ، وقال له : « انت جالس والعجاج يهيجونا بالمربد ؟ قال : صف لي حاله وزيه الذي هو فيه ، فوصفهما له ، فقال : ابغني جلاً طحاناً قد كثر عليه من الهناء ، فجاء به اليه ، فاخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالآخرى ، وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده حتى اتى المربد ، فلما دنا من العجاج قال لقائده الجمل : اخلع خطامه ! فخلعه ، وانشد :

« تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

واقترب منه ، فجعل العجاج يتباعد عنه لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران ، واستمر في الانشاد حتى بلغ الى شطر من رجزه اعجب الناس فتعلقوه ، وهرب

(١) الاصبهاني ٥٠:٢

(٢) الاصبهاني ٧١:٢ وجرير والفرزدق ٢٢٠:١ و٢٢٤:٢ و٦٥٠ و٦٨٣ و٨٤٤

العجاج عنه^(١).

ولعل أكثر ما كان ينشد في المربد انما هو شعر المفاخرة والمهاجاة ، والرواة يحدثننا ان زياد الأعجم قصد الى المربد واجتمعت حوله الناس تستمع شعره ، فلقبه الفرزدق يوماً فيه ، وحاول ان يهجو ، فاستوهبه نفسه ، فسكت الفرزدق وعاد زياد الى بيته ، ثم بعث الى الفرزدق بآيات يهجو فيها زعموا انه اسكت الفرزدق بعدها^(٢).

وهم يحدثننا ان بعضهم رأى جريراً واقفاً بالمربد وقد ركبته الناس وازدحموا حوله ، وعمر بن لجأ موافقه ، وهما يتعارضان الشعر^(٣).

وفي بعض الروايات ان جريراً توافق مرة والفرزدق بالمربد للهجاء فاقتتل بنو يربوع وبنو مجاشع^(٤).

ويظهر ان بعض الولاة كان يخشى شر عاقبة هذه المهاجاة بين هذين الشعارين الكبيرين كما يرى ، فيسمى لمنعها ، او يقتص منها ، وقد ذكروا انه لما حمي وطلس المهاجاة مرة بينها ، وهما في المربد ، ارسل الحارث ابن ابي ربيعة عامل ابن الزبير على البصرة الى السدارين اللتين كانا يتزلانها فشئت منهما لينتهي الشاعران . وقد عاتب الفرزدق الحارث هذا لتهدية داره فقال :

احارث داري مرتين هدمتها وانت ابن اخت لا تخاف غوائله ٥

واجتمعوا في المربد مرة فطلبهما الوالي ، ففر الفرزدق وخلف امراته نواراً ، وبقي جرير ، فأخذ وسجن ، واخذت امرأة الفرزدق وسجنت ايضاً^(٥).

ولم يقتصر شعر المربد على الهجاء ، فقد أنشد فيه غير الهجاء ، وقد روى بعضهم انه رأى ذا الرمة فيه ، وعليه جماعة مجتمعة ، وهو قائم وعليه برد قيمته مثلاً دينار ، وهو ينشد ودموعه تجري على لحيته : « ما بال عينيك منها الماء ينسكب » وهي قصيدته التي قال جرير فيها : ان شيطانك كان له فيها ناصحاً^(٦).

(٢) الاصبهاني ١٦ : ١٠٧-١٠٨

(٤) الاصبهاني ٣ : ٧٦

(٦) جرير والفرزدق ١ : ١٦٦

(١) الاصبهاني ٩ : ٧٨-٧٩

(٣) الاصبهاني ١٩ : ٢٢

(٥) جرير والفرزدق ٢ : ٨٢

(٧) الاصبهاني ١٦ : ١١٨

وقد روي ايضاً عن بعضهم انه انشد في المربد مرثيةً له في طلحة الطلحات.^(١)
وهكذا ، فقد كان هذا المربد في عصر صاحبنا يذخر بالشعراء فتزدهم
فيه الناس ويغدنون عليه كل يوم فيما يروون.^(٢) فانتج ادباً خاصاً غلبت فيه
الصبغة الحنوصية ، وكان من ابرز الآثار التي تخلفت لنا منه بعض نقائض جرير
والفرزدق.

الشعر واهل الصناعات

واستطاع الشعر ان يصل الى صفوف العمال واهل الصناعات وقد حدثنا
الرواة عن بائع رطب بالبصرة كان معاصراً لجرير انه قال كنت اجمع شعر جرير
واشتهي ان احفظه وارويه.^(٣)
وحدثونا ايضاً عن خياط اتى ذا الرمة وهو ينشد بالمربد والناس مجتمعون
اليه فعرض له ونعى عليه بعض شعره وعابه فافجهم ذو الرمة وذهب ولم ينشد
بعدها في المربد حتى مات الخياط.^(٤)

الشعر عند الجند

وسار الشعر فدخل ساحات القتال ، ورافق الجند في معاركهم الحامية في
مختلف البلدان التي حلوها ، وشغل الجند به في فترات الاستراحة من الحرب .
روي ابو الفرج قال : « بينا المهلب ذات يوم بفارس ، وهو يقاتل الازارقة ،
اذ سمع في عسكره جلبة وصياحاً فقال : ما هذا ؟ قالوا : جماعة من العرب
تحاكموا اليك في شيء » ، فاذن لهم ، فقالوا : انا اختلافنا في جرير والفرزدق ،
فكل فريق منا يؤعم ان احدهما اشعر من الآخر ، وقد رضينا بحكم الامير ،
فقال : كانكم اردتم تعرضوني لهذين الكلبيين فيعزقان جلدتي ؟ لا احكم
بينهما ، ولكني ادلكم على من يهون عليه سؤال جرير وسؤال الفرزدق ،
عليكم بالازارقة ، فانهم قوم عرب يبصرون الشعر ويقولون فيه بالحق ؛ فلما
كان الغد ، خرج عبيدة بن هلال الليشكري ودعا الى المبارزة ، فخرج اليه

(٢) الاصبهاني ١٩: ١٥٣

(٤) الاصبهاني ١٦: ١١٨

(١) الاصبهاني ١٩: ١٥٣

(٣) الاصبهاني ٢: ٥٠

رجل من عسكر المهلب كان لقطري صديقاً ، فقال له : يا عبيدة سألتك الله الا اخبرتني عن شيء اسألك عنه . فقال : سل ! قال : أو تجبرني ؟ قال : نعم ، ان كنت اعلمه ، قال : اجرير اشعر ام الفرزدق ؟ قال : قبحك الله ! اتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر ؟ قال : انا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك . فقال : من الذي يقول :

وطوى الطراد بطونن كانها طي التجار بمضرموت برودا ؟

فقال : جرير ! قال : هذا اشعر الرجلين .^(١) ونقل نكلسن هذا الخبر في كتابه عن تاريخ آداب العرب ، وعلق عليه ، فقال : ان هذا الحادث يدل على ان الذوق الشعري في هذا العصر لم ينحصر في رجال الادب او في الحلقات والاوساط الادبية ، بل تعداه الى صفوف العامة من الناس ، فانتشر في الامة ، وسرى فيها ، فتذاكروا الشعر حتى في حروبهم واطارها المخيفة . ويقول نكلسن : ان شيئاً مثل هذا وقع في تاريخ الاثينيين الذين اتوا ما لم يوتاه غيرهم من اهل العرب ، وربما شيء مثل هذا وقع في تاريخ غيرهم ايضاً ، ولكن ، يقول نكلسن : تصورو اجنودا بريطانيين يتناقشون في اشعار تنسون وبرون حول نيران معسكراتهم !^(٢)

ورودا ان عبيدة بن هلال هذا « كان اذا تكاف الناس ناداهم : ليخرج اليّ بعضكم ! فيخرج اليه فتيان من العسكر ، فيقول لهم : ايّ احب اليكم ، اقرأ عليكم القرآن او انشدكم الشعر ؟ فيقولون له : اما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ، فانشدنا ! فيقول لهم : يا فسقة ! والله قد علمت انكم تختارون الشعر على القرآن . ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون . »^(٣)

الشعر عند النساء

ولم يقتصر الذوق الادبي وحب الشعر على الرجال فحسب ، بل دخل الى

(١) الاصبهاني ٧: ٥٥ وانظر ابن سلام ٨٨ وفيه :

وطوى القياذ مع الطراد بطونن طي التجار بمضرموت برودا

(٣) الاصبهاني ٦: ٧

(٢) نكلسن ٢٣٩-٢٤٠

خُدُور النساء ، وضربت المرأة بسهم كبير من هذه الحياة الادبية . وكان من النساء شوارع وادبيات عديدات ، نذكر منهن عائشة امرأة النبي ويلي الاخيلية وعمرة الجمحية وعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين والثريا صاحبة عمر وغيرهن . اما عائشة امرأة النبي فقد رُوي عنها انها كانت كثيرة الرواية للشعر ، وقد قيل انها كانت تروي جميع شعر لبيد .^(١) واما عمرة الجمحية فقد ذكر ابو الفرج انها كانت امرأة جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والخبار^(٢) . وكان ابو دهب الجمحي الشاعر لا يفارق مجلسها ، فوشى به اليها ، فنعت مجلسها وحجته وارسلت اليه بما كره . فقال في ذاك ابياتاً ، منها :

تطاول هذا الليل ما يتلججُ واعيت غواشي عبرتي ما تفرجُ
وبت كثيراً ما انام كانا خلال ضلوعي جمرة تتوهج
اخط في ظهر الحصار كاتي اسير يخاف القتل ولان مفلج
فطورا اني النفس من عمرة المي وطورا اذا ما لج لي الحزن انشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن الى ان يوصل الحبلى احوج (٣)

وكانت سكينة مولعة بالادب ، محبة للشعر ، تعقد للشعراء مجالس يفدون اليها ، ويتناشدون في حضرتها ، فتستمع اليهم ، وتنفذ ما ينظمون ، وتروي بعض اشعارهم ، وتشرح فنونهم الشعرية ، وتفاضل بينهم ، ولقد أنشدت شعراً للحارث بن خالد المخزومي فنقدته^(٤) ، ووفد عليها جرير وانشدها شعره فنقدته^(٥) ، وكذلك فعلت بشعر الفرزدق^(٦) . وتصدت لشعر عمر فانتت على صاحبه في كثير من المواقف^(٧) . واجتمعت مع نسوة ذكرنه وتذاكرن شعره وظرفه وحسن مجلسه وحديثه ، وسعت فانتت به اليهن ، فحدثهن وقال بذلك شعراً حملة رسوله اليهن فانشد سكينة اياه ، فجمعت النساء مرة ثانية ، وانشدتهن الشعر ، وسألت الرسول ، وهو المغني الغريض ، ان يقينهن فيه ، فغناهن

(١) ابن رشيق ١١:١

(٢) الاصبهاني ١٥٤:٦ وفيه من الحادثة ولعلها للمحادثة كما اثبتناها

(٣) الاصبهاني ١٥٦:٦

(٤) الاصبهاني ١٠٧:٣

(٥) الاصبهاني ٥٣:٧

(٦) الاصبهاني ٥٢:٧

(٧) الاصبهاني ١٣٦:٢

واجسنت جازتته.^(١) وعقدت مجلساً خاصاً لجرير والفرزدق وكثير وجيل ونصيب ، ثم اخرجت وصيفة لها وضيفة قد روت الاشعار والاحاديث ، فاحذت تناقضهم في اشعارهم واحداً واحداً ، ثم اجزلت صلاتهم وصرفتهم .^(٢) واحتكم اليها رواة كثير وجري ونصيب والاحوص في اي اصحابهم اشعر لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، ففاضلت بينهم بمحذق ومهارة واصدرت حكمها.^(٣) وقد روى ابن رشيقي ان جنتها فاطمة كانت تقول الشعر وانه رويت لها اشعار كثيرة.^(٤)

وكانت عائشة بنت طلحة ادبية يجلس اليها الشعراء ، واقد انشدها ابو عمرو قصيدة قيس بن الخدادية « اجدك ان نعم نأت انت جازع » وكان يحضرتها جماعة من الشعراء فقالت : من قدر منكم ان يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حلتي هذه ، فلم يقدر احد منهم على ذلك .^(٥) وكانت تتمثل ببعض شعر عمر وتحفظه ، وقد لقيها مرة في مكة وهي تسير على بقلتها فوافقها وانشدها شعره فيها .^(٦) ورووا انه كان بينها وبين زوجها عمر بن عبد الله بن معمر كلام ، فسهرت ليلة فقالت : ان ابن ابي ربيعة لجاهل بليتي هذه حيث يقول :

ووال كفاها كل شي يجهها فليست لشيء آخر الليل تسهر (٧)

وعلى شيء . من هذا كانت مي صاحبة ذي الرمة ،^(٨) والثريا صاحبة عمر ،^(٩) وكلثم بنت سعد المخزومية^(١٠) واخت يزيد بن الطثيرة وقد روى لها الجاحظ شعراً^(١١) .

ويقص ابو الفرج علينا اخباراً عن حميدة بنت النعمان بن بشير الانصاري ان صحت فانها تدل على ان هذه المرأة كانت شاعرة هجائفة كادت تفجهم كثيراً

(٢) الاصبهانى ١٢: ١٧٣

(١) الاصبهانى ٢: ١٣٦

(٤) ابن رشيقي ١: ١٦

(٣) الاصبهانى ١٢: ١٧٤-١٧٥

(٦) الاصبهانى ١: ٨١

(٥) الاصبهانى ١٣: ٧

(٨) الاصبهانى ١٦: ١٢٠

(٧) الاصبهانى ١: ٢٨-٢٩

(١١) الجاحظ (ب) ١: ٨٩

(١٠) الاصبهانى ١: ٨٨-٨٧

من الرجال^(١).

وكان كثيرات غير هؤلاء. يفقهن الشعر ، وينظرن في امره ، فقد روى ان قطاماً صاحبة ابن ملجم وفد عليها كثير يريد ان يراها ، فانكرها ، ويقال انه انشدها فانكرت شعره واعابته ونقدته وارته موضع الضعف في معانيه^(٢). وماذا اكثر من هذا ؟ لقد روى ابو الفرج خبراً عن نساء كن يتنashدن الشعر في المسجد الحرام فيتذاكرون الشعراء ويروين لهم ، ويقول راوي الخبر : واذا هن افصح النساء وآدبن^(٣).

وروي عن الفرزدق انه نزل ضيفاً على قوم ، فاتتهم جارية تزورهم ، فسألت عن الضيف وعدلت اليه واستعلمت عن نسبه ، فقال : من بني نهشل ، فتبسمت ، وقالت : انت اذن ممن عناه الفرزدق بقوله :

ان الذي سمك الساء بني لنا بيتاً دعائه اعز واطول
بيتاً بناه لنا المليك وما بني ملك الساء فانه لا ينقل
بيتاً زرارة محتب بفنائنه ومجاشع وابوالقوارس نخل

قال ، فقلت : نعم جعلت فداك . واعجبني ما سمعت منها ، فضحكت وقالت : فان ابن الحطفي قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث قول :

اخزى الذي رفع الساء مجاشعاً وبني نساء بالخضيض الاسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنائنه دنساً مقاعده خبيث المدخل^(٤)

حتى الاماء كن يتعاطين الشعر او ينظمنه ، والرواة يجدثوننا ان سلامة الغنمية ، وهي من مولدات المدينة ، كانت تقول الشعر ، وان حبابة رفيقتها كانت تتعاطاه فلا تحمن^(٥). وانه كان عند يزيد بن عبد الملك غير هاتين جارية قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية^(٦). وهم يجدثوننا انه كانت بالمدينة مولدة سوداء ، وكانت مشغوفة بشعر عمر

(٣) الاصبهاني ١٤: ٥٩

(٤) الاصبهاني ٧: ٥٦

(٦) ابن عبد ربه ٣: ٢٥٦

(١) الاصبهاني ٨: ١٢٨-١٤٠

(٣) الاصبهاني ١: ١٥٠

(٥) الاصبهاني ٨: ٦

فلما ورد على اهل المدينة نعيه اكبروا ذلك ، واشتد عليهم ، وكانت السوداء اشدهم حزناً وتسلباً ، وجعلت لا تمر بسكة من سكك المدينة الا ندبته ، فلقيا بعض فتيان مكة فقال لها : خفزي عليك ! فقد نشأ ابن عم له يشبه شعره شعره ، فقالت : انشدني بعضه ! فانشدتها قوله :

اني وما نخرؤا غداة منى عند الجار تؤدها العقل

الايات كلها . قال ، فجعلت تمسح عينها من الدموع وتقول : الحمد لله الذي لم يضيع حرمه .^(١)

سرعة انتشار الشعر وسرعة اثره

وما اسرع ما كان يسير هذا الشعر على الافواه ، وما اسرع ما كان يتشرب ويذيع في الآفاق ، فلا يكاد يفرغ من نظمه الشاعر حتى تتناقله الركبان ، وتسير به الى اقصى البقاع التي حلتها جيوش العرب وجالياتهم .

رووا ان الراعي تعرض لجرير ففضل الفرزدق عليه ، فلقية جرير وعاتبه في ذاك ، قال : كنت اجدر بمساعدتك من الفرزدق ، ويكفيك من ذاك اذا ذكرنا ان تقول كلاهما شاعر كريم . ومرة ابن الراعي عليهما فضرب بغلة جرير ، وقال لايه : لا اراك واقفاً على كلب من بني كليب كانك تحشى منه شراً ، او ترجو منه خيراً . وعاد جرير مغضباً ، وبات ليلته قلقاً مضطرباً يمارس نظم قصيدة يهجو به الراعي ، حتى كان السحر فاذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً كتبها في كتف وختمها بقوله :

ففض الطرف انك من غير فلا كمياً بلغت ولا كلاباً

ثم قال : اخزيته ورب الكعبة ! وغدا في الصباح الى المريد ينشدها فيه امام الفرزدق والراعي ، حتى اذا فرغ منها ، عاد وقد ترك الراعي يضطرب غيظاً فيخلي المجلس ويأتي مثل اصحابه فيقول : ركابكم ركابكم ! فليس لكم ههنا مقام ، فضحكهم والله جرير . وساروا من ساعتهم يقصدون ديارهم مخزيين ، فوجدوا ايات جرير قد بلغت الى اهلهم وذاع قوله فيهم :

ففضّ الطرف انك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
وظنّوا ان جرير اشياً من الجن.^(١)

والعرب تسمي هذه القصيدة الفاضحة ، وقيل سمّاها جرير الدماغ^(٢) .
وزعموا ان جريراً قال بعد ان فرغ من نظمها واطفاً سراجها : قد والله
اخزيتهم آخر الدهر . قال ابن رشيق : فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا
البيت^(٣) .

وقال ابن رشيق : « ومن ههنا عظم الشعر ، وتهيب اهله خوفاً من بيت
سائر تحدي به الابل ، اولفظه شاردة يضرب بها المثل ، ورجاء في مثل ذلك ،
فقد رفع كثيراً من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد الحمول والاطراح حتى
افتخروا بما كانوا يعيرون به ، ووضع جماعة من اهل السوابق والاقدار الشريفة
حتى عيروا بما كانوا يفتخرون به ».^(٤)

وتهاجى جرير والتميمي فورد شعرهما على الحجاز ، قالوا : ان سعيد بن
المسيب سأل عبد الرحمن بن حرملة ان ينشده شيئاً مما قالاه ، فاقبل عليه بوجهه ،
فانشده قصيدة التميمي وهو يقول : هيه ! هيه ! ثم انشده ردّ جرير فقال :
اكله ! اكله !^(٥)

وهجا الفرزدق جريراً في قصيدة ذكر فيها ان شعره في جرير سار في
الآفاق قال :

تفتنى يا جرير لغير شيء وقد ذهب القصاص للرواة
فكيف ترؤد ما بعسان منها وما يجبال مصر مشهرات^(٦)

ورثى جرير امرأته بقصيدة مطلعها :

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

فذاعت وذهبت في البلاد ، وكان جرير يسميها الجوساء.^(٧)

وكان شعراء الحجاز ينظمون اشعارهم في الحجاز فتذيع في الافاق ، وتصل

(١) الاصحاحي ٧ : ٥٠ و ٢٠٠ : ١٦٩ - ١٧٠ (٢) ابن رشيق ١ : ٢٦

(٣) ابن رشيق ١ : ٢٦ (٤) ابن رشيق ١ : ٢٤

(٥) ابن سلام ١٠٢ (٦) جرير والفرزدق ٢ : ٧٧٤

(٧) جرير والفرزدق ٢ : ٨٤٧

الى مسامع الخلفاء بدمشق قبل ان يفدوا على الخلفاء^(١) . ولقد نظم ابن ابي ربيعة رائيته المشهورة فوصلت الشام ، حتى اذا كان عام وقعة الحرة ، واستعرض يزيد جيشه ، رأى بينهم جندياً يحمل ترساً خرقاً فقال له : يا هذا ، مجن ابن ابي ربيعة خير من ترسك . يشير الى قول عمر في رائيته :

وكان مجني دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومصر^(٢)

ونظم عمر ابياته في زينب بنت موسى الجمحي :

يا خليلي من ملام دعائي والمأ الفداة بالاطعان
لا تلوما في آل زينب ان الـ قلب رهن بآل زينب عان

فبلغت ابا وداعة السهمي في سمرقند ، فانكرها وغضب^(٣) . ونصح الحارث اخاه عمر ان يرتحل الى اليمن ويهجر الشعر ، فساور ثم ما لبث ان عاودته هو اجسه فحن الى قرض الشعر ، وطرب يوماً فقال :

هيات من امة الوهاب منزلنا اذا حللنا بسيف البحر من عدن

قالوا : فسارت الايات حتى سمعها اخوه الحارث فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فتك وغدر^(٤) .

الخصومة الادبية

اما الظاهرة الثالثة فهي الخصومة الادبية بنواحيها المختلفة ، ولقد المحنا الى شيء منها في بحثنا عن المربد ، ولعله لم يكن في تاريخ الادب العربي — في جاهلية او اسلام — عصر قويت فيه هذه الخصومة واشتدت فانتجت ادباً ذا صبغة خاصة كهذا العصر الذي نحاول تصويره . ولقد كاد شعراء هذا الادب الخصومي يطفون على سائر الشعراء في عصرهم فيخملون ذكرهم .

الوانه النزاع

ونحن نعلم ان الخصومات كانت قوية قبل الاسلام ، وان النزاع بين القبائل كان شديداً في الجاهلية ، وان شعراء هذه القبائل كانت تتهاجى وتتفاخر

(٢) المبرد ١ : ٢٨٥

(١) ابن قتيبة (ش) ٤٦٠ والاصمعي ٧ : ٥٢

(٤) الاصمعي ١ : ٤٩

(٣) الاصمعي ١ : ٤٤

وتعارض الشعر بعضها مع بعض ، ثم نحن نعلم ان الاسلام حاول محو هذه العصبية وقهر هذه الروح ، غير انه لم يستطع ان يقضي عليها القضاء كله ، ولم يكن من اليسير على الخلفاء الراشدين الأول ، او على ولاتهم ، تغيير خلق العربي — وهو قريب عهد بجاهليته — الى حد كبير ، او تكليفه اتباع نظم لم تألفها طبيعته البعيدة كل البعد عن النظم والسلطان ، فنتج عن هذا ان بعض هذه العصبيات بقي ظاهراً حيناً وكامناً حيناً آخر ، حتى اذا كانت الفتنة الاولى ، وظهر الصدع في صفوف الامة العربية ، وانقسم المسلمون شيعاً واحزاباً ، وتحوت الخلافة الى ملك ، وانتقل مركزها الى الشام ، قويت هذه الخصومات . وعادت العصبية القبلية فشطرت العرب يمنين وقيسيين ، وشطرت اهل الشمال الى ربيعة ومضر ، وظهرت عصبية اقليمية قسمتهم الى شاميين ومصريين وحجازيين وعراقيين ، ونشأت احزاب دينية وسياسية شايع بعضها علماً وبعضها الاخر غيره . فن امويين الى علويين الى زبيريين الى خوارج الى توابين الى مهديين وغيرهم ، والتف هؤلاء حول زعماء من ملوك وامراء واشراف لعبوا دوراً كبيراً في سياسة ذلك العصر كعاوية وعلي ويزيد والحسين مروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير ومصعب اخيه والمختار وقطري بن الفجاءة ونافع بن الازرق وزياد والحجاج وغيرهم ، واطل على الثرى في سبيل هذا النزاع دم العرب في ميادين الشام والعراق والحجاز .

وكان في الغالب لكل حزب او قبيلة او بلد او شعبة او امير او خليفة شاعر او شعراء يذودون عن الحياض ويردون على الخصوم ، فكان بعض شعراء قيس مثلاً يشايعون آل الزبير ، بينما كان نفر من شعراء القبائل اليمنية يشايعون بني امية ويدافعون عن مذهبهم وجماعتهم ، وقد رووا انه صمد لألقي رجل من جند بني امية ، كان ابن زياد عبأهم ، نحو اربعين من الخوارج ، من اصحاب مرداس ، فقلب الخوارج جند ابن زياد وهزمهم ، وكان جماعة بني امية يذيعون ان الخوارج قوم كفار ، فقال شاعر الخوارج يرد عليهم بعد هذه الواقعة :

ألفا مؤمن فيا زعمت وهزمهم بأسك اربعونا ؟

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرون (١)

وكان شعراء قيس يذكرون انتصارات قيس في معاركهم مع اليمنيين ،
فيرد عليهم شعراء اليمن ، او تفتخر ربيعة ، فتعارضها مضر ، وكان للشيعة
شعراء كالكُميت وكثير وكانوا يدافعون عن مذهبهم .

اضف الى هذا ان القبائل العربية كانت في الغالب تلتفت بعضها مع بعض
في القطر الواحد ، فقويت اليمنية في الشام ، والقيسية بالعراق ، ونتج عن ذلك
في نفوسهم نزعة اقليمية للاقطار التي حلوا فيها ، او ان شئت فقل قويت العصبية
الاقليمية ، بحيث صرنا نرى ان هؤلاء العرب النازحين الى هذه الاقطار الجديدة
اخذوا يشعرون بشي . كثير من العطف والمحبة الى هذه الاقطار ، بل قل بشي .
من الاحساس في انها اوطانهم التي اليها يجب ان ينتموا ، فمنها يرتقون ، وفيها
يموتون ، واخذ العربي النازح الى دمشق يحس انه من اهل الشام ، واخذ العربي
النازل في ارض الرافدين وما اليها يشعر انه من اهل العراق ، وتعلق الحجازي
بحجازيته ، وازداد تعصباً لبلاده . واثّرت هذه المواطن على النازلين بها بحيث
توحدوا مع اهلها - الى حد ما - بشي . كثير من ميولهم السياسية ، ويكفي
ان نرسم نظرة عجيلى على ميدان النزاع السياسي لئلا نرى اكثر هذه النزعات
الاقليمية الجديدة ، وفي الرسائل التي تبودلت بين علي ومعاوية تصريح ظاهر
لهذا الامر كما اشرنا الى ذلك من قبل . قال معاوية : « وانما كان الحجازيون هم
الحكام على الناس ، والحق فيهم ، فلما فارقه كان الحكام على الناس اهل
الشام ، ولعمري ما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة . » واجابه
علي : « واما قولك اهل الشام هم حكام الحجاز ، فهاث رجلان من قريش اهل
الشام يقبل في الشورى او تحل له الخلافة ، فان سميت كذبتك المهاجرون
والانصار ، ونحن نأتيك به من قريش اهل الحجاز . »^(٢) بل قد روى الطبري ان
علياً خرج ليلاً يعي الناس يوم صفين ، ثم قال : « حتى اذا اصبح زحف بالناس ،
وخرج اليه معاوية في اهل الشام ، فاخذ علي يقول : من هذه القبيلة ؟ ومن هذه

القبيلة؟ فنسبت له قبائل اهل الشام، حتى اذا عرفهم، ورأى مراكزهم، قال للأزد: اكفوني الازد! وقال لخثعم: اكفوني خثعم! وامر كل قبيلة من اهل العراق ان تكفيه اختها من اهل الشام، ألا ان تكون قبيلة ليس منها بالشام احد فيصرفها الى قبيلة أخرى تكون بالشام ليس منها بالعراق واحد، مثل بجيلة لم يكن منهم بالشام إلا عدد قليل فصرفهم الى لخم.^(١)

ثم انظر الى الخطب المتعددة من سياسية وغيرها مما كان يفوه بها القواد والعمال في مختلف الامصار، وبنوع خاص خطب الحجاج ويؤيد بن المهلب، ففيها ما يؤيد مذهبنا هذا.^(٢)

ولمصعب بن الزبير خطبة مشهورة اقتبس اجزاءها من القرآن، وكان عند تلاوة الآيات يشير الى اهل الشام او الى اهل الحجاز او الى اهل العراق حسبما كان يوافق غرضه وقصده. قال: «بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شعباً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين * (واشار بيده نحو الشام) ويؤيد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين * (واشار بيده نحو الحجاز) وتمكن لهم في الارض وزى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يمدرون (واشار بيده نحو العراق).^(٣)

وكذلك ترى اثر هذه الظاهرة في خطبة عبید الله بن زياد في اهل البصرة.^(٤) وهناك خبر موجز قرأته في الاغانى لعله خير يمثل ليس للزجاج الاقليمي فحسب، بل لاطهار هذه الاختلافات التي اوجدتها الاقاليم والبيئات، فقد روي انه لما كان القتال بين اهل الشام والحوارج في المدينة، وقف حجازي على سطح يرميهم بالحجارة، فقيل له: ويلك! اندري من ترمي مع اختلاط الناس؟ قال: والله ما ابالي من رميت، انما هو شام وشار، والله ما ابالي ايها قتلت.^(٥)

(٢) الجاحظ (ب) ١: ١٤٨ و ١٥٤ و ٢٠٢

(١) الطبري: I: ٢٢٨٧

(٣) الجاحظ (ب) ٢: ٢٦١ وانظر القرآن - القصص - ١-٥

(٤) الجاحظ (ب) ١: ١٦٨ (٥) الاصبهاني ٢٠: ١١٠

نتج عن هذا كله خصومة اقليمية ادبية ، بحيث صار يتعارض الحجازي والعراقي او العراقي والشامي ويتعصب كل لموطنه . وقد رووا عن كثير انه لا وفد على عبد الملك في الشام انشده والاخلط عنده ، فقال عبد الملك : كيف ترى يا ابا مالك ؟ قال : ارى شعراً حجازياً مقروراً لو ضغطه برد الشام لاضمحلت .^(١)

الشعراء بوقرورهم الفني

وكان هؤلاء الشعراء بدورهم يوقدون الفتن السياسية وغيرها . نار تضطرم وتلتهب ، وهشم يُلقى فيها فيزيدها لهباً واضطراباً .

رووا انه وقعت معارك بين تغلب (وهي من ربيعة) وسليم وعامر (وهما من مضر) وقتكت تغلب باعدائها ، وقتلت عمير بن حباب السلمي ، فقام الاخلط التغلبي ينشد ذلك النصر مقتخراً امام عبد الملك بن مروان ، وكان الجحاف بن حكيم السلمي حاضراً ، فقال الاخلط معتزاً :

الاسائل الجحاف هل هو ناثر يقتلي اصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضباً يجر مطرفه وجاء قومه فدعاهم للخروج معه . قال : قاتلوا عن احسابكم او موتوا ، واغار بهم على بني تغلب وهم بالبشر في اطراف نجد فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم قال يحيب الاخلط :

ابا مالك هل لتني اذ حضضتني على الشارم هل لامي فيك لامي
متى تدعني اخرى اجبك بمثلها وانت امرؤ بالحق لست بقائم^(٢)

كيف يجب ان ندرس هذه الخصومة

لقد كان هذا العصر كما رأينا عصر الاحزاب والفتن ، تعددت فيه عوامل النزاع ، وكثرت عناصره ، واختلفت الوانها ، فاضطربت مذاهب الشعراء ، واختلفت طرقها في الدفاع عن نزعات اصحابها واحزابهم ، بحيث صار لا بدّ للباحث في حياة العرب الادبية في ذلك الجيل من درس هذه الحركات على

(١) ابن سلام ١٣٢ وفي الاصبهاني ٨ : ١٨٢ ان الذي قال هذا في كثير هو عدي

(٢) ياقوت ١ : ٦٢٢-٦٢٣ وابن سلام ١١١

بن الرقاع

وجها الصحيح ، وفهم هذه النزعات المختلفة ، فقد كان هناك شعراء لا تهتمهم احزابهم بقدر ما تهتمهم فتنهم الشعري ، او بالاحرى لم ينعهم انتماءهم الى اوطان ، او احزاب ، او شيع خاصة ، ان يعرضوا لشعراء من الاوطان او الاحزاب او الشيع نفسها بشيء من الهجو او المعارضة الفنية ، بينما كانوا بالوقت نفسه ينصرون شاعراً من غير قبيلتهم او حزبهم او مذهبهم . والرواة يحدثوننا ان الراعي قضى للفردق على جرير ، وان جريراً عاتبه وقال له : ان قولك يُستمع ، وانك تفضل الفردق عليّ تفضيلاً قبيحاً ، وانا امدح قومك وهو يهجوهم^(١).

وروى ابن قتيبة عن الكميّ قال : « وكان بينه وبين الطرمّاح من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين ، على تباعد ما بينهما في الدين والرأي ، لأن الكميّ كان رافضياً وكان الطرمّاح خارجياً صَفِياً ، وكان الكميّ عدنائياً عصبياً وكان الطرمّاح قحطانياً عصبياً ، وكان الكميّ متعصباً لاهل الكوفة وكان الطرمّاح يتعصب لاهل الشام »^(٢).

وروى راوية الكميّ قال : انشدت الكميّ قول الطرمّاح :

اذا قبضت نفس الطرمّاح أخلفت عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال الكميّ : اي والله ! وعنّان الخطابة والرواية^(٣).

ولعبت سياسة بني امية دورها في تألف قلوب شعراء كثيرين من خصومهم فمدحهم وتقربوا اليهم ، واستمال حلم بعض هؤلاء الخلفاء ودينارهم السنة الشعراء فباعوهم اياها بالاعطيات التي فرضوها لهم او منحوهم اياها من بيت المال وغيره ، فقد كان الكميّ من شعراء الشيعة ولم ينعّه هذا ان يدح بني امية وينال جوائزهم^(٤) . وكان كثير شيعي الميل ايضاً ووفد على بني امية ونال جوائزهم^(٥) . وكان شعراء مضر على العموم زبيريّة الهوى ومع ذلك وفد منهم نفر كبير على خلفاء بني امية ومدحهم ونالوا جوائزهم^(٦).

(٢) ابن قتيبة (ش) ٣٦٩

(١) الاصبهاني ٤٩٠٧

(٤) ابن قتيبة (ش) ١٨

(٣) ابن قتيبة (ش) ٢٧٢-٢٧١

(٥) الاصبهاني ١٠٨:٨

(٦) ابن سلام ١٠١-١٠٠ والاصبهاني ١٥٩:٤-١٦٠

اضف الى هذا ان البيت الاموي استند كما هو مشهور الى اليمينين واحلافهم من تغلب ولكنهم كانوا قيسيين قرشيين ، فلم يهملوا في كثير من الاحيان تألف قيس وشعرائها ، ولم يعارضوا في نشوب النزاع الادبي بين شعراء قيس واليمن ، او قيس وربيعة ، وربما كانوا سكتوا عن كثير من تعرض قيس لربيعة ، او لليمن بوجه عام ، لولا تطرق بعض شعراء قيس الى ذم بني امية ، او مدح بني الزبير ، وبني هاشم ، وغيرهم من خصوم الامويين ، وتقربهم الى هؤلاء الخصوم كيداً للبيت الاموي ، ونكاية بالشعراء المشايخين له .

ومن هنا نستطيع تعليل هذا التجافي من بعض خلفاء بني امية للكثيرين من شعراء قيس ، فنفهم كيف كان عبد الملك مثلاً ثقيل النفس على الراعي يوم وفد عليه يشكو بعض عماله ارجاسه ، ووصف له جورهم ، وظلمهم ثم يهدده بقوله :

ولئن بقيت لأدعون بطعنة تدع الفرائص بالشريف فليلا

فقال عبد الملك : واين من الله والسلطان لا ام لك اقال : يا امير المؤمنين ، من عامل الى عامل مصدق الى مصدق . فسخط عليه ولم يمنحه شيئاً ، حتى اذا كان العام الثاني وفد الراعي مرة اخرى وانشد عبد الملك :

فان رفت بهم رأساً نشتهم وان لقوا مثله في قابل فسدوا

فقال له عبد الملك انت العام اعقل منك عام اول^(١).

ونفهم السبب الذي دعا عبد الملك نفسه الى ان يلقي جريماً بوجه غير باش ، فلم يأذن له الا بعد ما شفّع به ابن الحجاج نيابة عن ابيه^(٢).

ونفهم سبب سخط عبد الملك ايضاً على عبيد الله بن قيس الرقييات ، فقد كان زبيري الهوى ، مدح مصعباً وهجاً عبد الملك ، فاهدر عبد الملك دمه ، حتى اذا قتل مصعب واخوه لاذ ابن قيس بعبد الله بن جعفر ، فتوسط له عند عبد الملك ، وتوسطت له ام البنين ايضاً فيما يزعمون ، ففتح عبد الملك عفوه ، وقد شرط عليه ان لا يراه ، ثم عاد فسمح له ان ينشده مدحه فيه ، فقال :

ما تقوموا من بني أمية إلا (م) انهم يحملون ان غضبوا
وقال في عبد الملك :

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب :

أنا مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً^(١)
وأعلمنا نستطيع ان نفهم ايضاً سبب الجفاء الذي زعم الرواة ان بعض خلفاء
بني أمية قابلوا به عمر ابن أبي ربيعة ، فقد كان مخزومياً وكان بنو مخزوم
زبيريّة الهوى كما هو مشهور .

واستغلّ بنو أمية الخصومات القبلية ، فكان يشجعون شعراء القبائل التي
كانت تناصرهم ، فكان خالد القسري اليمني اصلاً يحب اليمنيين ويعطف
عليهم ، فعرض لهجو الكثيرين من خصومهم^(٢) . وكان عدي بن الرقاع
والاخطل من المقرين للبلاط الأموي ، كما هو مشهور ، بينما استطاع
الحجاج القيسي ان يكسب لهم شاعراً من اعظم شعراء قيس ، الا وهو جرير ،
فارسله الى عبد الملك فانشده مدائحه في الحجاج ثم انشده قصيدته فيه التي
يقول فيها :

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالين بطون راح^(٣)

وكان الشعر الذي انتجته هذه الخصومة كثيراً ، لا سيما في هذه الفترة التي

(١) الاصحاحي ١٥٧: ١٥٨ وابن سلام ١٢٧-١٢٨ ويرى الدكتور طه حسين ان ابن
قيس الرقيات كان صادقاً في مدحه بني أمية غير متلون ولا فاسد الضمير ، وله في ذلك
تعليل جميل ، فليراجع في موضعه (طه حسين ٢ : ٨٨)

(٢) ابن سلام ٢٩-٨١

(٣) ابن سلام ١٠٠

وقعت بين اليمن وقيس في العراق بعد موت معاوية ، ولقد اشرفنا الى بعض هذا الانتاج في بحثنا عن المربد ، فلتراجع هناك . وروى ابو عبيدة اشعاراً كثيرة قيلت في تلك الحوادث ، ثم ذكر انه ترك الكثير اختصاراً منه لما فشا من قول الشعراء في ذلك قديماً وحديثاً لانه اكثر من ان يحصى .^(١)

مطاة الشعراء

وقد كان لشعراء الاحزاب مكانة ومنزلة في نفوس جماعاتهم وزعمائهم لا ينكر اثرها ، وقد رووا ان كعب بن جعيل كان شاعر تغلب ، وكان لا يأتي منهم قوماً الا اكرموا وضربوا له قبة ، حتى انه كانت تمد له حبال بين وتدين قتملاً له غنماً .^(٢)

وكان الاخطل من اعظم المقربين للبلاط الاموي . قال رجل لابي عمرو : يا عجباً للاخطل ، نصراني كافر يهجو المسلمين . فقال ابو عمرو : يا لكع ! لقد كان الاخطل يحمي وعليه جبة خز وحزر خز ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب ، تنفض لحيته خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن .^(٣) وكان يدخل مسجد الكوفة فيقدمون اليه .^(٤)

وروى ابن رشيقي عن الاخطل قال : « بلغت به الحال في الشعر الى انه نادى عبد الملك بن مروان ، واركبه ظهر جريز بن عطية الخطفي ، وهو تقي مسلم ، وقيل امره بذلك بسبب شعر خايره فيه بين يديه وطول لسانه حتى قال له مجاهرًا ، لعنة الله عليه ، لا يستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين : ولست بصائم رمضان طوعًا ولست بأكل لحم الاضاحي »^(٥)

ولم تقتصر الخصومات الحزبية والقبيلية على العراق بل اخذ الحجاز بنصيب من بعضها ، فكان لبني امية اشياح فيه ، وكان بينهم شعراء منهم ابو العباس

(٢) الاصبهاني ٧ : ١٧٠

(٤) الاصبهاني ٧ : ١٧٩ ولعلها فيقومون

(١) جرير والفرزدق ٢ : ٧٢٧

(٣) الاصبهاني ٧ : ١٧٧-١٧٨

(٥) ابن رشيقي ١ : ٢١٠

الاعمى ، وكان يدحهم ويكاثبهم ويذكر لهم عورات ابن الزبير ، وسمع به ابن الزبير فدعا به واغلظ له القول وهم به ، ثم كلم فيه ، وقيل له رجل مضرور ، ففعا عنه ونفاه الى الطائف ؛ غير ان ابا العباس هجا ابن الزبير وقومه قال ابو الفرج : وله اشعار كثيرة في مديح بني امية وهجا آل الزبير^(١) . وكان من الطبيعي ان يتصدى احد اشياح آل الزبير الى الرد على هذا الشاعر ، ولكن ابن الزبير لم يتألف الشعراء ، ولم يألف العطاء ، فلم يوفق في اكتساب نفر كبير منهم يدافع عن حزبه ، ولولا انه مضري لما استطاع ان يكسب هؤلاء الشعراء المضرية ، فهم دافعوا عن مضر وعن عصيتهم القبيلية اكثر مما دافعوا عن ابن الزبير وحزبه ، وقد قال الراعي القيسي لعبد الملك :

اني حلفت على يمين برّة لا اكذب اليوم الخليفة قبلا
ما ان اتيت ابا خبيب وافداً يوماً اردت لبني بني تبديلا (٢)

على ان مصعباً استطاع ان يكسب رضا امثال هؤلاء الشعراء . وكانت مدائح عبيد الله بن قيس الرقيات فيه من اعظم المدائح ، حتى شعراء بني امية فانه استطاع ان يستميل بعضهم فيسكته عن هجوه او ربما حمله على مدحه ، ويقال انه حمل ابا العباس الاعمى الذي ذكرناه على ان يدحه حياً وميتاً ، ويروى ان ابا العباس وفد على عبد الملك فقال له هذا : انشدني مديحك مصعباً . فاستغفاه ، وقال : يا امير المؤمنين انما رثيته بذلك لانه كان صديقي ، وقد علمت ان هواي اموي ، قال : صدقت ولكن انشدني ما قلته فانشده :

برحم الله مصعباً فلقد مات كريماً ورام امراً جسيماً

فقال عبد الملك : اجل ! لقد مات كريماً ، ثم تمثّل :

ولكنه رام التي لا يروها من الناس الا كل حرّ معتم (٣)

الخصومة القبيّة

وقد كانت هناك خصومات فنيّة او شخصيّة دفع الى بعضها احوال

(٢) ابن سلام ١١٨ وابو خبيب كنية عبد الله بن الزبير

(١) الاصبهاني ١٥ : ٦١

(٣) الاصبهاني ١٥ : ٦٢

وظروف ومناسبات خاصة لا بد من معرفتها قبل الحكم على مذاهب هذا النزاع بين الشعراء ، فقد كان الفرزدق تيمياً وهجاً قيساً ،^(١) وكان جرير تيمياً ومدح قيساً .^(٢) ونصح الفرزدق وهو في سجنه الى ابنه لبطة ان يدح هشاماً ، وقال له : استعن بالقيسية ، ولا يمنعك منهم هجائي فانهم سيفغضون لك .^(٣) وكذلك تهاجى عمر بن لجا التيمي وجرير ، وكلاهما قيسي .^(٤) وتقارع الراعي وجرير ، وكلاهما قيسي .^(٥) وكان من دواعي بعض هذه الخصومات الفنية والشخصية ما يرجع الى رجال الدولة ومنافسة الشعراء عندهم ، ومنها ما يتعلق بالشعراء انفسهم ، لمناسبات خاصة ، او لاختلاف في ميولهم وامزجتهم وتزعاتهم الادبية والفكرية والاجتماعية ، والرواة يحدثننا ان بشر بن مروان كان يعنى بهذه الخصومة ، فاغرى بين جرير والاخلط وحمل سراقسة على جرير حتى هجاه وسمع رده واخزي على يديه ،^(٦) والحل على الاخلط في ان يحكم بين جرير والفرزدق ، فاستغنى مجده ، فابى الا ان يقول ، فحكم ، ورد عليه جرير بابيات منها :

يا ذا العباية ان بشراً قد قضى ان لا تجوز حكومة النشوان

فقال الاخلط ابياتاً منها :

واذا جمعت اباك في ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزان

ثم استطارا في الهجاء .^(٧)

ولعمر بن ابي ربيعة ابيات في هجاء ابي العباس الاعمى الشاعر الاموي الميل قد تفسر لاول وهلة على انها دفاع عن آل الزبير ، وبنو مخزوم - كما هو مشهور - كانوا بوجه عام زبيرية الهوى ، وكان الحارث اخو صاحبنا عاملاً لآل الزبير ، فكان من الطبيعي ان يُظن ان عمر يدافع عن آل الزبير ، ولكن الباحث في اخبار

(١) ابن سلام ٨٠ والاصمهاني ٥٠:٧ (٢) الاصمهاني ٥٠:٧

(٣) ابن سلام ٨٠ (٤) ابن سلام ١٠١

(٥) ابن سلام ٨٠ و١٠٤ والاصمهاني ٥٠:٧ (٦) ابن سلام ١٠٦-١٠٧

(٧) ابن سلام ١٠٧-١١٠

عمر مع ابي العباس يرى ان عمر كان يحبّ جارية للمذكور، وكان يراميا ببنادق الغالية، فبلغ ذلك ابا العباس، فقال لقائده: ففني على باب بني مخزوم، فاذا مرّ عمر بن ابي ربيعة فضع يدي عليه، فلما مرّ وضع يده عليه، فاخذ بججزته وقال:

الامن يشتري جارا نوّما يحار لا ينام ولا ينم
ويلبس بالنهار ثياب ناس وشر الليل شيطان رجم

ويقال ان بني مخزوم نهضوا اليه وامسكوا فمه وضمنوا له عن عمر ان لا يعاود ما يكره.
ولعمر فيه:

— افنتي ان كنت ثقفا شاعرا عن فتى اعوج اعمى مختلف
— سبيء السحنة كاب لونه مثل عود الخروع البالي القصف

وقال ابو العباس يردّ عليه، وليلاحظ في كل هذه الاشعار انه ليس هناك ذكر للاحزاب السياسية وما اليها:

— انت الفتى وابن الفتى واخو الفتى وسيدنا لولا خلائق اربع
— نكرك في الهيجا وتقولك الحنا وشمك للمولى وانك تبس ١)

وكان اغراء الخلفاء او الامراء بين الشعراء داعيا لتقوية الخصومة الفنية وكان نتاجها كبيرا.

وليس من اللازم ان يكون هناك عدا بين اثنين يتنازعان الشعر او يتعارضان، فالرواة يحدّثونا ان جميلًا وعمر كانا يتعارضان الشعر، فاذا قال احدهما قصيدة قال صاحبه مثلها على رويها، ورووا انها اجتمعا ذات يوم بالابطح فانشد جميل عمر قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرح الواشون ان صرمت حيلي بشينة او ابدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل واني لأقسم مالي عن بشينة من مهل

حتى اتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا ابا الخطاب، هل قلت في هذا الروي

شيثاً ؟ قال : نعم ! قال : فانشدني ! فانشده قوله :

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب الى قتلي

الى ان قال :

فلما اقتصرنا دوحن حديثنا وهن ضمينات بجاجة ذي الشكل
عرفن الذي حموى فقلن انذني لنا نطف ساعة في برد ليل وفي سهل
فقلت فلا تليثن قلن تحدني اتيناك وانسين انسياب مها الرمل
وقن وقد افهن ذا اللب انما فعلن الذي ياتين من ذاك من اجلي

فقال جميل : هيهات يا ابا الخطاب ، لا اقول والله مثل هذا سجيس الليالي ،
والله ما خاطب النساء مخاطبتك احد . وقام مشمراً .^(١)

وقد تعارضا في ست قصائد ، فقال كل منهما ثلاثاً ، رائية وعينية ولامية ،
ويقال ان عمر في الرائية والعينية اشعر من جميل ، وجميل في اللامية اشعر منه ؛^(٢)
غير ان جميلاً — كما ترى من هذه الرواية المذكورة — قد اقر لعمر باللامية
ايضاً . وقد روى خبر التقائهما ابن قتيبة فاشار الى انخزال جميل في اللامية ، وذكر
انه قال : هذا والله ما ارادته الشعراء فاحطأته وتعلت بوصف الديار .^(٣)

ومما يدل على ان بعض الشعراء ما كان ليعنى بالخصومة الا من حيث انها
فنية ما روي عن ابن ابي ربيعة عندما عرض له الخزين الكناني وعيره بسواد
ثنيته وشرب الخمر في قوله :

ما بال سنيتك ام ما بال كسرهما اهكذا كسرا في غير ما باس
انفجة من فتاة كنت تألفها ام نالها وسط شرب صدمة الكاس

فان عمر لم يعرض لرد هذه التهمة ، ولا تصدى لهجاء الخزين خصمه ، بل
قال له : اذهب اذهب ويليک افانك لا تحسن ان تقول :

ليت هندا انجزتنا ما تمد وشفقت انفسنا ممّا تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد^(٤)

(٢) الاصبهاني ٥١ : ١

(١) الاصبهاني ٥١ : ١

(٤) الاصبهاني ٩١ : ١ - ٩٢

(٣) ابن قتيبة (ش) ٢٥٠

الادب الاقليمي

وظاهرة رابعة تبدو لمن يبحث في ادب هذا العصر الذي اتسعت فيه المملكة بحيث ضمت اقطاراً شطّ المزار بينها واختلفت اجواؤها واختلفت البيئات فيها وتفاوتت نظم الحياة وسبلها ، ستمها ظاهرة الاقليم ، او ستمها ظاهرة الادب الاقليمي ، او ستمها اختلاف البيئات واثرها في الادب ، او ستمها ما شئت من الاسماء التي تشير الى الاقليم والبيئة، فهي بلا شك تدور عليهما وعلى ان الادب في القطر الواحد او البيئة الواحدة كان يختلف عنه في القطر الآخر او البيئة الاخرى ، وكان التفاوت بينها عظيماً .

هو ادب عربي في كل الاقطار ، ولكنه ادب حجازي في الحجاز ، وعراقي في العراق ، وشامي في الشام ، ولو كان في ذلك العصر ادب عربي في مصر لقننا: وادب مصري في مصر . وكذلك قل في البيئات المختلفة . ونحن نعلم ان العرب في هذا العصر لم يعيشوا في قطر واحد ووسط واحد ، او في جو واحد وبيئة واحدة ، ولم تحط بهم في اقطارهم المختلفة ظروف واحدة ، وان تأثير هذا الدين عليهم — وان اشتركوا في اعتناقهم الاسلام واتباعهم في كثير من الاحيان سننه ووصاياه — كان في بعض البيئات مختلفاً جداً عما هو في بعض البيئات الاخرى ، ويكفي ان تدرس اثره في حياة الخوارج وادبهم وتقابله بما تجده في حياة غير الخوارج وادبهم لترى الفرق الكبير .

وهكذا فقد اختلفت الحياة في الاقطار والبيئات المختلفة ، فتولدت صور الادب بالوان شتى . فقد كانت الشام ، وكانت سلطة البيت الاموي فيها وكان فيها انصارهم ، وبلاط ملوكهم وحاشيتهم وكانت اليها هجرة عرب اليمن قبل الاسلام وبعد الاسلام .

وكانت العراق ، وكانت اليها هجرة قيس وقيم وربيعة ، وكانت فيها قوات الخوارج وبعض اتباع البيت العلوي ، ونشب النزاع وظهرت الفتن ، فكانت العراق ميدانها ، بل كانت في بعض الاحيان مبعثها ، بها تظهر ، وبها تعيش ، وبها تموت لتبعث مرة ثانية متقمصة بثوب جديد .

وكانت الحجاز موطن قريش الاصلي ، وكانت مهد الدين الجديد وارض مبعثه ، بها نشأ النبي ، وفيها استقر خلفاؤه الراشدون ، وفيها ظهرت رجالات الاسلام الأول ، من قواد وامراء وصحابة وتابعين ، فتحوا الفتوحات واخضعوا البلاد وجمعوا الفيء ، واليها حشد الحجاج من مختلف الاقطار ، يؤمون كعبة مكنتها ومسجد مدينتها ، ويطوفون مناهها وعرفاتها ، واليها سالت الاعطيات والغنائم وتحدرت جيوش الجواري والعبيد والسراري . وقضت السياسة والظروف ان يظل اكثر من بقي من الزعماء الاول واولادهم في الحجاز ، زمن سلطان بني امية ، وفي الاخص زمن سلطان معاوية ، كالكثيرين من آل علي وآل ابيير وآل ابن جعفر وآل ابي بكر وآل ابي ربيعة ، وحرّم اكثر هؤلاء من مناصب الدولة والاشترّك في سياسة الولايات ، وفشا بينهم الى جانب الحركة الدينية كثير من ملاهي الاقوام التي اخضعوا بلادها وسبوا كثيرا من نساءها ، فنشأ عن هذا ان عكف بعضهم على الدين ، وثار بعضهم على السلطة ، وفتح البعض الآخر باب اللهو على مصراعيه ، فلهوا وعبثوا وطربوا ومرحوا . وكان في القطر الواحد — كما ترى — قوم ثاروا وخصموا وحاربوا حتى النهاية ، وقوم عكفوا على دينهم الجديد واقبلوا عليه يدرسون شرائعه ويتفهمون نصوصه ووصاياه ، ويتفقهون في اموره واحواله ، ويبحثون في احاديث النبي وآيات القرآن ، وانقطعوا عن السياسة والدنيا ، وقوم لم يلتفتوا الى السياسة ولا الى الدين ، وكانوا اهل غنى وثروة وجاه ، وكانوا اصحاب ميل الى اللهو ، فنشأوا نشأة ترف ورفاهية ، وقد احيطوا بجواري سباها باؤهم ، ومغنين ومغنيات وغير ذاك من ميسرات اللهو والدعابة ، فانصرفوا اليهما وعرفوا بهما . وكان هناك من اهل الحجاز في ذلك الجيل من حرم من كل هذه ، وانقطع في باديته ، فلم يكن يصلح للسياسة ولم يكن من اليسير عليه الوصول اليها لو كان من اهلها ، ولا هو بقریب الى امور هذا الدين الجديد ، وليست عقليته لتفهمه او لتعنى به كما تفهمه او كما تعنى به عقلية المكسي او المدني ، ولا هو بالذي اصابه حظ يذكر من الفيء او من الغنائم التي احزتها جيوش العرب ، فظل فقيرا ، وكان عليه ان يدفع الزكاة ، وان يؤدي واجبات معينة تحتم عليه اداؤها ، وهو ابعد

ما يكون عن النظام والواجبات ، فكان يشكو هذه الحالة ويتذمر منها^(١) .
ومن هنا كانت حياته غير حياة الحضري ، وكانت سبل معيشته غير سبل ذلك ،
وطبع أدبه بطابع خاص ، فيه في بعض الأحيان قوة وخشونة واستبسال ، وفيه
في بعض الأحيان الأخرى يأس وقنوط وعذاب ورقة ولين ، وترى شعر الراعي
يمثل الفريق الأول ، وشعر العذريين يمثل الفريق الثاني .

وهكذا فقد كان هناك اختلاف وتفاوت عظيمان في الحياة التي عاشها
هؤلاء الناس في هذه الاقطار المختلفة . وكان لكل قطر نصيب خاص من الحياة
الجديدة يختلف كثيراً عن نصيب القطر الآخر ، ومن هنا نستطيع ان نفسر
ما يروى في كتب الادب المختلفة عن شهرة الحجاز بالغناء واللهو والدعابة
وشهرة العراق بالخصومة والنضال السياسي ، وترعة الشام الى السلطة والزعامة
وعدم التفاتها الى الدين ، أو نفهم ما يروى لنا مثلاً عن فقه اهل الحجاز ، ودهاء
اهل العراق ، وطاعة اهل الشام^(٢) .

وإذا ، فقد كان الادب العربي في القطر الواحد غير ما هو في القطر
الآخر ، ولا نذهب في هذا الى ان اللغة والاسلوب والقواعد النحوية والبحور
الشعرية لم تكن واحدة في هذه الاقطار ، ولكن الاختلاف الذي نشير اليه هو
اختلاف في المؤثرات التي تأثر الشعراء بها ، وفي حظوظهم منها ، وفي الفنون التي
طرقوها ، وفي الطرق التي سلكوها ، وفي الظروف التي احاطت بالبعض دون
الآخر ، فصدر الشعر يمثلها ، وبكلمة ، هو اختلاف في الحياة نفسها وفي
التعبير عنها .

الشام وهبائها الادبية

واليك الشام مثلاً ، فقد كان وجود الخلفاء فيها داعياً لأن يرد الشعر اليها
ضارباً اصحابه فيه على وتر المدح في الخلفاء والامراء من بني أمية ، والهجو
والطعن في خصومهم . اضاف الى هذا ان اكثر القبائل العربية التي كانت تحل
ديار الشام كانت يمنية ، والنهضة الادبية في هذا العصر وعصر النبي قامت على

أيدي الشماليين من العرب أكثر مما قامت على أيدي اليمانيين ، فلذلك لم تظهر هناك نهضة شعرية في دمشق إلا بعد أن استقرت بعض قبائل قيس في بلاد الشام ، وظهر جيل جديد آخر العصر الأموي تأثر بالشعراء الوافدين على الشام الذين كانوا في الغالب من عدنان ، أو من تغلب التي اتصلت بقبائل عدنان قبل الفتوحات ، ولا بد من أن نذكر هنا ما كان للاختلاط التغلبي من أثر في حياة أهل الشام الادبية .

ويجب أن نلاحظ أن الشعر الذي عرفته الشام صدر دولة بني أمية كان يختلف عن هذا الذي عرفته زمن الخلفاء المتأخرين بعد يزيد بن عبد الملك ، فقد كانت الشام في هذه الحقبة الأخيرة أشبه ما يكون ببغداد الامين (مصفحة) ولقد استجلب إليها المغنون والمغنيات ، وفشا في بلاط امرائها شرب الخمرة ، ولنا في الوليد بن يزيد الخليفة الشاعر خير مثال .

وكان الشعر في الحقبة الاولى وافداً كما ذكرنا على الخلفاء ، فتلون بما يتلون به شعر الوافدين على الملوك ، من صنعة وتنميق ، وفخامة في اللفظ ، وغيرها من الامور التي تناسب مثل هذه المواقف ، ووضع في الغالب على البحور الطويلة ، شأن أكثر القصائد التي مدحت بها الملوك . ويكاد الرواة يتفقون على أن الاختلاط كان امدح شعراء العصر الأموي ، ويذكرون أنه كان يهذب شعره ويتأنى في وضعه . روي أنه قال لعبد الملك : يا امير المؤمنين زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة ايام وقد اقتصت في مدحتك « خف القطين فراحوا منك أو بكروا » سنة فابلغت كلما اردت . ^(١) ورووا عنه في صدد المفاضلة بينه وبين جرير وبين الفرزدق أنه اشد الثلاثة تهذيباً لشعره ، واكثرهم عدد طوال جياذ . ^(٢) ورؤي عن الاصمعي أنه قال : ان الاختلاط كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها . ^(٣)

(٢) الاصبهاني ٧: ١٧١

(١) الاصبهاني ٧: ١٧٢

(٣) الاصبهاني ٧: ١٧١

الحياة الادبية في العراق

اما العراق فقد كانت الكثرة من سكانه العرب مضرية ، ومضر اهل الشعر في الجاهلية والاسلام وكان ميدان الحصومة السياسية والادبية ، فدار الشعر فيه حول الاحزاب والعصبيات السياسية بنوعيتها من عامة تتناول امور الدولة والخلفاء والاحزاب والقبائل ، وخاصة تدور على سياسة الوالي او العامل في الاقليم وطرق تنفيذها ، والرواة يحدثننا انه قد عرض احد الشعراء للحارث ابن ابي ربيعة ، وهو عامل ابن الزبير في العراق ، فقال فيه ينتقده ويطلب الى الخليفة تنحيته :

امير المؤمنين جزيت خيراً ارحنا من قباع بني المغيرة (١)

وعرض جرير لواله من ولاية عمر بن عبد العزيز كان يجمع صدقات الاعراب ، فهجاه ، وشكاه الى عمر ، فقال :

حمت عيالا لا فواكه عندهم وعند ابن سعد سكر وزيب
وقد كان ظني بابن سعد سعادة وما الظن الا خطي ومصيب (٢)

وعارض الفرزدق زياداً والي بني امية في العراق ، ولم يمنعه هذا من الاتجاه الى عاملهم بالمدينة يمدحه ويهجو زياداً (٣).

ولقد سبق لنا فذكرنا الحصومات الادبية التي كان العراق مسرحاً لها تمثل عليه بحيث اصبح مركز النشاط الادبي ، وكان المربد سوق عكاظ العصر الاموي ، وكان الشعر في هذا القطر قوياً غنياً فخماً ، ويعده البعض من امت الشعر الذي عرفته الآداب العربية وارقه (٤).

حياة الجهاز الادبي وتعدد الوانها

وامتازت الحجاز بضروب مختلفة من الحياة ، وسبل الادب التي وصفت

(١) جرير والفرزدق ٦٠٧: ٢ ابن عبد ربه ٣: ٢٧٠

(٢) جرير والفرزدق ٦١٦: ٢ وابن سلام ٧٥

(٣) ابن خلدون ٥٢٦ والثعالي ٢: ١

فيها الحياة ، فقد كان هذا القطر مهد الاسلام ومصدر قوته ، فكان منه رجال القنوتات وصحابة النبي ، وكان هؤلاء يمثلون الارستقراطية العربية في ذلك العصر ، وكانت لهم المكانة الاولى في سياسة الامة عصر الخلفاء الراشدين .

وحدثت الفتنة ، ونقلت الخلافة الى قطر آخر هو الشام ، وانتقلت دفة السياسة الى ايدي بني امية في دمشق ، فاضطربت نفوس الكثيرين من اشراف الحجاز ، وتنكرت لذوي السلطان ، واستطاع معاوية بعد جهد ان يهدئ هذه النفوس او يخضعها ؛ ثم استوى يزيد على عرش ابيه ، فعادت الفتنة ، وتحرك هؤلاء الشباب من ابناء الاشراف ، فتنكر لهم يزيد ومن تلاه من خلفاء بني امية ، وعاملوهم بشيء من الشدة ، حتى اذا همدت حركتهم عاد بنو امية فتألفوهم بالمال والاعطيات ، ونتج عن هذا كله ان اتجهت نزعات هؤلاء الشبان اتجاهاً مختلفة ، فنهزم من جاهد وجدّ في خصومته للبيت الاموي ، ورام الجليل من الامر ، فطلب الخلافة وقاسى العذاب او القتل في سبيلها ؛ ومنهم من نعى على السياسة شرّها فعكف على الدين ، وهو في ارض نشأ فيها ذلك الدين ، فاخذ يدرسه ويبحث في شرائعه وسننه ، وكان امامه القرآن والحديث فعني بهما درساً وشرحاً وتدويناً ؛ ومنهم من شعر بضغفه في ان يقهر خصومه ، واشفق على نفسه ان تذهب ضحية طموحه ، فقمع في بلده يحيا حياة هادئة ولكنها غنية بالوان اللهو والمسرّات ، وكان غنياً فانصرف الى الترف والبذخ والدعة واللين واللذة ، ولم يفت بني امية ان يصانعو امثال هذا ، وان يفدقوا عليهم العطايا ويوسعوا عليهم فيها ليصطنعوهم او على الاقل ليشغلوهم عنهم وعن السياسة ويقطعوا آمالهم منها ، فاندفع هؤلاء في لهوهم الى ابعاد متفاوتة تفاوت بيناتهم وظروفهم الخاصة وشخصياتهم وغير ذلك ، وصدر الشعر من بعض رجال هذه الطبقة الاخيرة ممثلاً لحياة قائله واصحابهم .

وكان اكثر هذا الشعر غزلياً ، يختلف الغزل فيه باختلاف البيئات والاوساط الخاصة والمدن والشعراء انفسهم ، ولذلك فانا نرى اباحة ومجوناً في شعر بعضهم ، ودعابةً ولهواً في شعر البعض الآخر ، وعفة ويأساً في شعر آخرين .

وصارت هذه الاوساط او المدن او الاقطار تعجب بفنون خاصة من الشعر

مما يوافق امزجة اهلها واذواقهم . حدث مدني انه لقي جريراً ، فقال له : يا ابا حزة ، ان شعرك رفع الى المدينة ، وانا احب ان تسمعي منه شيئاً ، فقال جرير : انكم يا اهل المدينة تعجبكم النسب ، وان انسب الناس المخزومي ، يعني ابن ابي ربيعة^(١) .

وقد ادرك القدماء هذه الميزة في شعر بعض الاوساط او الاقطار او المدن فقالوا — كما ذكرنا سابقاً — : شعر حجازي لو ضغطه برد الشام لاضمحل . وقال جرير في شعر عمر اول عهده فيه — وكان يستبرده — : شعر حجازي ، لو اتخذ في قوز لوجد البرد فيه^(٢) .

ووقف ابن عبد ربه على ابيات لاحد هم فيها غناء ، فنعى على واضعي الغناء سوء اختيارهم وتركهم للشعر الحسن الذي قال فيه : هو ارق من الماء واصفى من رقة الهواء وكل مدني رقيق قد غذي بماء العقيق^(٣) .

وقال عبد الله بن عباس : الشعر علم العرب وديوانها ، فتعلموه ، وعليكم بشعر الحجاز^(٤) .

وهكذا فقد اثرت البيئات والاوزان الخاصة في شعر الشعراء ، وتأثرت هي بالوقت نفسه بمؤثرات طرأت عليها فصرفت الى لون خاص من العيش . خذ مثلاً القرآن ، فقد كان اثره في بعض البيئات اقوى مما هو في اخرى ، وعرفت بعض الاوساط بالاندفاع مع الحياة الجديدة الاسلامية اكثر مما عرف البعض الآخر ، فالخوارج كانوا اكثر الناس تعلقاً بالقرآن وتمسكاً بامور الدين ، فظهر فيهم وفي ادبهم تاثير القرآن اكثر مما ظهر في غيرهم . وكذلك قل عن اثر مواسم الحج مثلاً ، والعقيق ، وغيرها ، في نفوس الشعراء الذين كانوا يشهدونها . ومن هنا اختلف الشعر في هذه الاوساط الحجازية ، حتى الغزلي منه فانه تالون بالوان شتى .

(٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٦٨

(٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٢٢

(١) الاصبهاني ١ : ٢٦

(٣) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦٩

الحياة في الطائف

وكان مناخ الطائف كما رأينا داعياً لان تكون البلدة مصيفاً جميلاً لهذه الطبقة الارستقراطية ، وكان هذا المصيف متزويماً عن اعين العمال والرقباء الى حدٍ ما ، فرح به الشبان ولهوا وعشوا ، وظهرت صورة تلك الحياة في شعر العرجي الفاسق .

المدينة

ولم تنقطع حياة البذخ والمرح واللهو من المدينة ، وظلت البلدة مسرحاً للمغنين والجواري ، ومفرعاً لاهل اللهو والعبث ، ففسا المجون فيها ايضاً ، اضاف الى هذا الاثر الذي تركه في حياة اهلها وادي العقيق ومخشو العقيق وحفلات الانس واللهو والغناء والسمر فيه ، فظهر شعر المدينة ممثلاً لهذه الحياة ، وكان زعيم شعرائها الاحوص .

مكة

اما مكة فقد عرفت فيها حياة الدعابة والعبث واللهو مقرونة الى شيء من التحفظ والاحتياط ، وكانت فيها الكعبة ومواسم الحج ، وكانت اقرب الى حياة البادية من المدينة ، فلم يقوَ العبث فيها ولم ينتشر المجون مثل انتشاره بالمدينة ، وكان اهلها يعيرون بالاعراب لبدائيتهم^١ وصدر شعرهم وفيه رغم اباحتهم مسحة من العفة ، وكان زعيم شعرائها عمر بن ابي ربيعة .

باوية الحجاز

وانقطعت بادية الحجاز عن اسباب البذخ والثروة واللهو ، وحرمت من الغنى والسعة في العيش ، ولم يكن لها حظ او مكانة في هذه الدولة الاسلامية

(١) الطبري II : ٥٩٠ وفيه انه لما قرأ المهلب كتاب الحارث ابن ابي ربيعة ضحك ، ثم قال : « اما تظنونني يعرفني الا باخي الازد ؟ ما اهل مكة الا اعراب . » وانظر ايضاً في الطبري II : ٨٣٥ كتاب عبد الملك الى خالد بن عبدالله ، وفيه : فبيح الله رأيك حين تبعث اخاك اعرابياً من اهل مكة على القتال ، وتدع المهلب الى جنبك يبيح الخراج .

كمدن الحجاز ، ققرن يأس اهلها الى الفقر ، ومال اكثر الشعراء فيها الى شي . من التقوى والعفة والطهر ، وعرفوا في الحب العذري ، وصدر شعرهم يضرب على وتر الزهد والحزن ويغني انعام الغزل البري . وكان زعيم هؤلاء الشعراء جميل بثينة ، غير ان هؤلاء الشعراء لم يكونوا في حياتهم كما تصفهم او تحاول ان تصفهم كتب الادب ، فقد كان منهم بل من زعمانهم من اشترك مع شعراء المدن في حياتهم ، ووصف ما يصفون ، حتى صار من اليسير على الرواة ان يخلطوا بين شعر احدهم وبين شعر الاخر او عمر ، ولقد نسب الى عمر ابيات تنسب الى جميل .

وكان هناك في البادية نفسها شعراء لهم ما بقدر ما تسمح لهم حياة البادية ان يلهوا ، ولعل يزيد بن الطاثية زعيمهم ، فشعره يمثل هذه الناحية خير تمثيل . وكان هناك بيئات خاصة لم تتقيد بالاقليم تقيداً بنظمها ومبادئها التي سنتها لنفسها ، كالخوارج مثلاً فقد كانوا في الغالب من هؤلاء الناقين على السلطة ، وكانوا شديدي التمسك بالدين فتأثروا بالقرآن ، ونشأ في نفوسهم شي . من اليأس او الزهد الديني مقروناً الى قوة الايمان والاخلاص للعقيدة ، فصدر ادبهم يمثل هذه النزعات ، ولكنه لم يستطع ان يتفكك من الرقة واللين والدعة التي وضعها القرآن . ويا ليت المجال يسمح لنا لذكر امثلة من شعر بعض هؤلاء .

الغناء والشعر

وكانت هناك عوامل ساعدت على صبغ الادب في بعض الاقاليم او المدن او البيئات بصبغة خاصة ، كالغناء مثلاً ، فقد اثر في شعرا الحجاز تأثيراً لا ينكر . والغناء ، فيما قال ابن رشيق ، حلة الشعر ، ان لم يلبسها طويت ^(١) . ويظهر ان هذا الغناء دفع الى بعض التجدد في الشعر — وبنوع خاص الغزل — فدعا الى ان ترقق الالفاظ وتسهل ، وان يطرح هذا الغريب الوعر الذي لا يلائم مجالس الغناء ، بل انه قد دعا ان ينظم الشعراء مقطوعات خاصة له ، ينشد فيها الغزل على انه غاية يقصد اليها لا سبيل الى غرض كما كان يفعل القدماء .

وسار ابن ابي ربيعة على خطة جاره فيها كثير من معاصريه ومدركيه وتابعيه من الشعراء ، من حيث انتاج ما يوافق مزاج هؤلاء المغنين وطبائعهم واغراضهم واذواقهم ومجاسل ههؤم وانسهم ، فكثرت الشعر الغنائي في مدن الحجاز ، وبنوع خاص في مكة والمدينة ، وكثرت المقبولون على سماعه ، وكانوا يستمدون طربهم من ناحيتين — موسيقى الشعر وموسيقى الالحان — وقد قالوا : اذا اعجزك ان تطرب القرشي ففته بشعر عمر ابن ابي ربيعة ولحن ابن سريج ، فانك ترقصه ترقيصاً^(١) . وكان المغنون يلحون على الشعراء في نظم الاشعار ، فكان من الطبيعي ان ينتج عن هذا شعر غزلي فني ، يمثل من ناحية حوادث خاصة وقعت لبعض هؤلاء الشعراء فنظموا فيها شعرهم ، ويمثل من ناحية اخرى غرض اصحابه في انه قد وضع للفناء والفن ليس الا . وقد اشترك في الفن الاخير نفر كبير من الشعراء ، كان بينهم قوم من اشهر فقهاء الحجاز ؛ ولعل القاري لا يزال يذكر خبر ابن عائشة لما سأل عروة بن اذينة ان ينظم له شعراً هزجاً يغني فيه ، فنظم له :

سليمى اجمعت بينا فاين تقولها اينما

الى ان قال :

تمنين مناهن فكننا ما تمنينا

فرواها ابن عائشة وضحك^(٢) .

وكان للخمرة ايضاً اثر في شعر بعضهم اشرفنا اليه في بحشنا عن الشراب فليراجع هناك^(٣) .

التفاوت في سبل الحياة واثره في الشعر

اقطار متعددة اختلفت فيها النظم والعادات ، وتفاوتت فيها سبل الحياة ، ودين جديد تفاوت العرب في نصيبهم منه ، وتفاوتوا في الاثر الذي تركه

(١) الاصبهاني ١ : ١١٢ وابن عبد ربه ٣ : ٢٥٥

(٢) الاصبهاني ٣١ : ١٦٦

(٣) راجع ٧١-٧٣ من كتابنا هذا

بنفوسهم ، وثروة عظيمة تدفقت عليهم من مختلف الاقطار المغلوبة ، فاصاب البعض منهم سهمه ، وحرّم البعض الآخر ، ووظائف ومناصب في هذه الدولة الفنية تنعم بخيرها البعض واقصي عن اريكته البعض الآخر ، كل هذه اوجدت تفاوتاً كبيراً في الحياة التي عاشها العرب في ذلك العصر ، وبالتالي اوجدت تفاوتاً في الادب الذي صدر عنهم ، هذا الادب الذي مثل الى حد كبير تلك الحياة ، وكان الشعر خير مرآة لهذه الحياة ولهذا التفاوت والاختلاف في سبلها .

اعتباط لا برصه

ولسنا نرى بدأً قبل ان نختم كلامنا من ان نقيّد ملاحظتنا هذه فنقول انه ليس من الضروري ان تؤثر هذه الظروف في القطر الواحد او المدينة الواحدة على كل الشعراء فيها ، فقد كان يمكن ان يكون هناك شعراء لا يعنون بما عني به رفاقهم في القطر الواحد او البلدة الواحدة ، ويجوز ايضاً ان يقوم شاعر حجازي فينظم في مدح الخلفاء ، او يشترك بالسياسة ، ويتصدى للخصومة مع السلطة القائمة في دمشق ، او للمدافعة عنها ، ويجوز ان ينهض شاعر عراقي فينظم في الغزل على نحو ما ينظم شعراء الحجاز ، وليس من الضروري ان تكون حياته في العراق مماثلة تماماً لحياة اخيه الحجازي بحيث يصدر عنه هذا الغزل ، اذ ربما قد تصدى لذلك مشاركة لغيره من شعراء الغزل ، او معارضة ، او تقليداً ، او محاولة لان يظهر انه لا يقصر في فنون اخرى من الشعر ، او لان ظروفه خاصة اوجته في بعض الاحيان ان ينظم شعراً في فنون لم يألفها ، وامثلة هذا كثيرة في الادب الاموي ، كما ان حظ الشعراء في القطر الواحد او البلد الواحد من مرافق الحياة المختلفة لم يكن واحداً ، فقد كان للثقافة الدينية مثلاً آثار متباينة في نفوس شعراء الحجاز ، وكان حظ بعضهم غير حظ الآخر منها .

اضف الى هذا ما كان من اتصال بين اهل هذه الاقطار ومخالطة تعدت الحضر الى البدو ، فقربت البدوي العذري من الحضري الاباحي ، وجمعت العراقي والحجازي والشامي ، ووجدت الى حد ما بين بعض ميولهم ، بحيث كان

يرتاح بعض اهل القطر الواحد الى ما ينشده اصحابهم في القطر الآخر .
ومهما يكن من الامر فاننا نستطيع ان نقول بوجه عام ان الحجاز غلب
فيها شعر الغزل بانواعه الثلاثة الاباحي والعذري والتقليدي او الفني اذا شئت
تسميته بهذا الاسم ، وان هذا الغزل كان اقوى غزل عرفه الادب العربي . وكان
زعيم هذا الغزل عمر ابن ابي ربيعة لا ينازعه في حمل لوائه منازع^(١) .

عروبة الشعر الاموي ومناثه

ولا يفوتنا ان ندون هنا ان هذا الشعر الاموي ، رغم كل هذه المثرات
التي ذكرنا في الفصول السابقة ، ظل عربياً في لفظه واساليبه ، ولكنه خالف
الشعر الجاهلي في اغراضه ومعانيه ، بحكم هذه المثرات ، وبحكم ما احده
الدين الجديد في نفوس العرب . ولم يظهر التأثير الاجنبي الا بعد ان كاد ينتهي
هذا العصر . وقد كان هذا الشعر من البلاغة والمثانة بحيث يحق لنا ان نقول
عنه غير مغالين انه امتن شعر عرفته العصور العربية ، وان هذا العصر الاموي
هو اصدق عصر لتمثيل الادب العربي في اوج مجده ورفيحه . قال ابن خلدون في
مقدمته عند بحثه عن صناعة الشعر ووجه تعلمه وكيفية عمله : « اعلم ان لعمل
الشعر واحكام صناعته شروطاً ، اولها الحفظ من جنسه ، اي من جنس شعر
العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحر
النقي الكثير الاساليب ، وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر
من الفحول الاسلاميين ، مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذي الرمة وجير^(٢) » الخ .
وقال في فصل آخر : « ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه سر آخر ،
وهو اعطاء السبب في ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة
واذواقها من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم ، فانا نجد شعر حسان بن

(١) انظر نكلسن ٢٢٧ وبروكلمن - الموسوعة الاسلامية - تحت ARABIA ص ٤٠٥
ولامنس (م) ٣ : ٢٤١ و ٢٧٠ و ك في كتابه Arabic Literature لندن ١٩٢٦ ص ٢٢ وطه

حسين ٢ : ١٢٧

(٢) ابن خلدون ٥٢٢

ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدرًا من الدولة العباسية . . . ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد.^{١)}

قيمة التاريخ

وكان هذا الشعر الاموي بالوقت نفسه مصدرًا مهمًا لدرس حياة اهل ذلك الجيل لاسيا شعر الحجاز فانه قد صور حياة الحجازيين في مختلف الوانها، ولعل الغزلي منه خير مصدر لدراسة حياة المرأة العربية . ولقد تنبه ادباؤنا اليوم الى هذا .

قال الدكتور طه حسين : « اعيد ما قلته غير مرة ان في الشعر العربي لهذا العصر كنوزًا خفية ان تستكشف ، وان تدرس على وجهها ، ولكن كثيرًا من الناس لا يعلمون . »^{٢)}

وارى قبل الحتام لزامًا في عنقي ان انصح الى واضعي المناهج المدرسية في مختلف الحواضر العربية ان يكلفوا طلبة اللغة العربية في مدارسهم درس شعر هذا العصر الاموي لاسيا الغزلي منه واستظهار بعض هذا الغزل فليس اقوى منه على تمكين الطالب من لفته ودفعه الى حبها .

وبعد فن الخیر الان ان نختم بحثنا هنا ، ولنتقل الى دراسة حياة الشاعر نفسه ! وموعدا الجزء الثاني .

المآخذ حسب ترتيبها التاريخي

القرآن

- حسان بن ثابت = ديوان حسان بن ثابت . ليدن ١٩١٠ م .
 ابن ابي ربيعة (ش) = Der Diwan des 'Umar Ibn Abi Rebi'a. Paul Schwarz
 Leipzig 1901-1909 و «ق» اصطلاحنا لاختصار «قصيدة» .
 ابن ابي ربيعة (ع) = ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي القرشي . شرح محمد العناني . مطبعة
 السعادة مصر سنة ١٣٣٠ هـ .

The Naḳā'id of Jarīr and al Farazdaq ed. A. A. Bevan = جرير والفرزدق
 Leiden 1905-1912

ابن هشام = كتاب سيرة رسول الله لعبد الملك بن هشام عن ابن اسحق . جوتنجن
 ١٨٦٠ م .

الازرقى = كتاب اخبار مكة . . . وما جاء فيها من الآثار لابي الوليد محمد بن
 عبد الله الازرقى . لينك ١٨٥٨ م .

ابن سعد = كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد . ليدن ١٣٢٢-١٣٣٩ هـ .

ابن سلام = طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي . ليدن ١٩١٣ م .

اليقوي = تاريخ ابن واضح اليقوي . ليدن ١٨٨٣ م .

— الجاحظ (ت) = التاج في اخبار الملوك لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . المطبعة الاميرية
 بالقاهرة ١٣٣٢ هـ .

الجاحظ (ب) = البيان والبيان للمؤلف نفسه المطبعة العلمية . مصر سنة ١٣١١-
 ١٣١٣ هـ .

البخاري = صحيح البخاري لابي عبد الله محمد البخاري . بولاق ١٢٩٦ هـ .

مسلم = صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج . دار الطباعة العامة ١٣٢٩-١٣٣٤ هـ .

ابن قتيبة (ش) = كتاب الشعر والشعراء لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . ليدن
 ١٩٠٢ م .

ابن قتيبة (م) = كتاب المعارف للمؤلف نفسه . غوتنجن ١٨٥٠ م .

البلاذري = فتوح البلدان لاحمد بن يحيى البلاذري . ليدن ١٨٦٦ م .

الدينوري = كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري . ليدن
 ١٨٨٨ م .

- المبرد = الكامل لابي العباس محمد بن يزيد الازدي . ليترك ١٨٧٤ م .
- ابن خرداذبه = المسالك والممالك لعبيد الله بن خرداذبه . ليدن ١٣٠٦ هـ .
- الطبري = تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري . ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ م .
- الطبري (ج) = جامع البيان في تفسير القرآن للمؤلف نفسه . المطبعة الميمنية مصر ١٣٢١ م .
- ابن عبد ربه = العقد الفريد لاحمد بن محمد بن عبد ربه . المطبعة الاميرية مصر ١٢٩٣ هـ .
- المسعودي = كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لابي علي بن الحسين بن علي المسعودي . باريس ١٨٦١-١٨٧٦ م .
- الاصمعياني = كتاب الاغانى لابي الفرج علي بن الحسين الاصمعياني . بولاق مصر ١٢٨٥ هـ .
- والجزء ٢١ ليدن ١٣٠٥ هـ . وطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧-١٩٢٩ م .
- القالبي = الآمالي لابي علي اسمعيل بن القاسم القالبي . بولاق مصر ١٣٢٤ هـ .
- المرزباني = الموشح لابي عبيد الله محمد المرزباني . المطبعة السلفية ١٣٤٣ هـ .
- ابن النديم = كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق الوراق المعروف بابن النديم . ليترك ١٨٧١ م .
- العسكري = كتاب الصنائع لابي هلال العسكري . مصر ١٣١٩ هـ .
- الثعالي = يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالي . المطبعة الخفيفة دمشق ١٣٠٢ هـ .
- الحصري = زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري القيرواني . المطبعة الرحمانية مصر ١٩٢٥ م .
- ابن رشيق = العمدة في صناعة الشعر ونقده لابي علي الحسن ابن رشيق . مطبعة امين هندية مصر ١٩٢٥ م .
- البكري = معجم ما استمعتم لعبيد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عمر البكري . جوتجن ١٨٧٦-١٨٧٧ م .
- التبريزي = شرح ديوان الحاسة لابي زكريا يحيى بن علي الخطيب . مصر ١٢٩٦ هـ .
- الفقطي = تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني من كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء لجمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف الفقطي . ليسك ١٣٢٥ هـ .
- ياقوت = معجم البلدان للشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبيد الله الحموي الرومي . ليترك ١٨٦٦-١٨٧٠ م .
- ابن الاثير = الكامل في التاريخ لابي الحسن عز الدين المعروف بابن الاثير . المطبعة العامرة مصر ١٢٩٠ هـ .
- ابن ابي حديد = شرح نخب البلاغة لغز الدين المدايني الشهير بابن ابي حديد . مصر ١٣٢٩ هـ .

- ابن خلكان = وفیات الاعیان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد بن محمد بن خلكان . مصر ١٢٧٥ هـ .
- البيضاوي = انوار التتيريل وامرار التأويل للقاضي الامام ناصر الدين ابي سعد عبد الله بن عمر البيضاوي . اوربة ١٨٤٨ م .
- النوي = تهذيب الاسماء لابي زكريا يحيى النوي . غوتنجن ١٨٤٢-١٨٤٧ م .
- ابن الطقطقي = كتاب الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا . غريغزولد ١٨٥٨ م .
- النويري = خاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣-١٩٣٣ م .
- ابو الفداء = المختصر في اخبار البشر للملك المؤيد عماد الدين ابي الفداء . دار الطباعة الشاهانية القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .
- العمري = مسالك الابصار في ممالك الامصار لشهاب الدين ابن فضل الله العمري . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .
- ابن خلدون = المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر لعبد الرحمن ابن خلدون . بيروت ١٨٨٦ م .
- الدّميري = حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدّميري . المطبعة الميمنية القاهرة ١٣٠٥ هـ .
- الابشيهي = المستطرف في كل فن مستظرف للشيخ شهاب الدين احمد الابشيهي . المطبعة العامة العثمانية مصر ١٣٠٦ هـ .
- العيني = المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية للامام بدر الدين ابي محمد محمود العيني . بولاق ١٢٩٩ هـ . على هامش خزانة الادب .
- السيوطي = تاريخ الخلفاء للامام جلال الدين السيوطي . المطبعة الميمنية مصر ١٣٠٥ هـ .
- السيوطي (ح) = حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للمؤلف نفسه . مطبعة الموسوعات مصر ١٣٢١ هـ .
- السيوطي (ش) = شرح شواهد المغني للمؤلف نفسه . المطبعة الهيبة مصر ١٣٢٢ هـ .
- البغدادي = خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي . بولاق مصر ١٢٩٩ هـ .
- البيهي = مواسم الادب وماثر العجم والعرب للسيد جعفر بن السيد محمد البيهي العلوي . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ هـ .
- بركهارت = Travels in Arabia by J. L. Burckhardt. London 1829
- مسمون = The Provinces of the Roman Empire by Theodor Mommsen New-York. 1887.
- لامنس (م) = Etudes sur le règne du Calife Omayyade Mo'awia 1^{er} par le P. Henri Lammens. Beyrouth 1908

- لامنس = مقالاته في الموسوعة الإسلامية تحت Akīk و Ta'if و Mecca
 مورتر = مقالته عن الخط العربي في الموسوعة الإسلامية تحت ARABIA
 بروكلمن = مقالته عن الادب العربي في الموسوعة الإسلامية تحت ARABIA
 بول = مقالة في الموسوعة الإسلامية تحت Al-Medina
 كرد علي = رسائل البلغاء عني بجمعها محمد كرد علي. طبع مصر ١٩١٣ م.
 زيدان (أ) = تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان. مطبعة الهلال ١٩١١-١٩١٤ م.
 زيدان (ت) = تاريخ التمدن الاسلامي للمؤلف نفسه. مطبعة الهلال مصر ١٩١٩ م.
 فلي = The Heart of Arabia by St. John Bridger Philby. =
 London 1922
 نكلسن = A Literary History of the Arabs by Reynold A. =
 Nicholson. London 1923
 طه حسين = حديث الاربعاء للدكتور طه حسين. مطبعة دار الكتب المصرية
 ١٩٢٥-١٩٢٦ م.
 احمد امين = فجر الاسلام لاحمد امين. مطبعة الاعتماد مصر ١٩٢٨ م.
 جبور = ابن عبدربه وعقده لجبرائيل جبور. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ م.
 زكي مبارك = النثر الفني في القرن الرابع للدكتور زكي مبارك. مطبعة دار الكتب
 بصر ١٩٣٤ م.

فهرس عام*)

ابن سعد (وال لعمر بن عبد العزيز) ١٨٦	* ١ *
ابن سلام ٨٠، ٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٢	آسك (م) ١٧٠
١٧٢-١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٦	ابان بن عثمان بن عفان ٥١
ابن سيرين ١٤٠	الابجو ١١٢
ابن شبرمة ٧٠	الابشهي ٧٨، ٤٣
ابن الطقطقي ١١٥، ٧٦	الابطاح (م) ٨١، ٨٣
ابن عائشة (الغني) ١٠١، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٩٦، ١١٢، ١١٣	الابلة (نهر) ٢٣
١٥٦	ابن ابي حديد ١٣، ١٦، ١٧، ٢٩، ٣٦، ٣٧، ٤٩، ١٤٩
ابن عبد ربه ٥-٩، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٤، ٤٣	١٥٤
٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٥	ابن ابي عتيق ٢٨، ٣٤، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٥٨، ٧٨، ٨١، ٩٣
٦٦-٧١، ٧٧، ٧٩، ٨٦-٨٩، ٩٣، ١٠١، ١١٧	١٢٢، ١٢٣، ١٢٧
١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٨، ١٤١	ابن الاثير ١١٨
١٤٣، ١٤٦، ١٦٦، ١٧١، ١٨٦، ١٨٨	ابن الاشتر ١٢
ابن عساكر ٣٤	ابن الاشعث ٧٨، ١٣٠
ابن فضل الله العمري ١٠٥	ابن جريج ٦٣
ابن قتيبة ١٠٠، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣٨، ٣٩	ابن جعفر (آل) ١٨٣
٦٦، ٨٢، ١١٧، ١١٨، ١٢٦، ١٣١، ١٥١، ١٥٣، ١٥٨	ابن خرداذبه ١٧، ٤٧، ٤٩
١٦٩، ١٧٤، ١٨١	ابن خلدون ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٩
ابن كلثوم ١٩٤	١٤١، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤
ابن مالك ١٤٠	ابن خلّكان ١٠، ٩٠، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٩
ابن محرز (الغني) ٤٦	١٥٠، ١٥١
ابن المطلب ١٢١	ابن رشيق ٤٧، ٤٩، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٧
ابن ملجم ١٦٦	١٩٠
ابن النديم ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦	ابن ساسان ٧٢
ابن هشام ٦٦	بن مريج (الغني) ٤٦، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ١١٣
ابو احيحة ١٠٤	١٢٤، ١٣٥، ١٩١
ابو بكر ٤٤، ٦٣، ١٣٥، ١٣٧	ابن سعد ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣

جم (ق) ١٥١	تباله (م) ١٠٠
جرير ٣٧، ٥٤، ١١٣، ١١٥، ١٢٠، ١٤١، ١٥١، ١٥٤	التبريزي ٩١
١٥٣-١٥٥-١٥٧-١٦٨-١٧٤-١٧٥-١٧٧، ١٧٩	تدلس ١٠٤
١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤	تركية ٢٢
الجزيرة (العراق) ١٤٨	تغلب ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٥
الجزيرة العربية ٣، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٦، ٤٦، ١٢٨، ١٣٢	تيم ١٨٢
جعفر بن ربيعة ١٤٠	تنسون Tennyson ١٦٣
الجلاب (طعام) ٤١	تعامه ١١٢
الجمرة (القصوى) (م) ١٠٧	تور Tours ٣
الجليل (يوم) ٢٠	توأبون ١٧٠
الجاه (م) ٢٥	تياذوق ٣٥
جميل ٩٠، ٩٧، ١٠٩، ١٦٥، ١٨٠، ١٨١، ١٩٠	التيهي ١٦٨
جميلة (الغنية) ٣٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦٠	ثاذون (يتنادون) ٣٥
الجوزاب (طعام) ٤١	* ث *
الجوساء (قصيدة) ١٦٨	الثريا (صاحبة عمر) ٩، ١٠، ٣٤، ٨٤، ٨٧، ١٠١
جمع (بنو) ١٣٠	١٠٩، ١٢١، ١٦٤، ١٦٥
* ح *	الثعالي ١٨٦
الحارث (بنو) ١٠٨	ثامة الانصاري ٧
الحارث بن ابي ربيعة ١١، ١٢، ٧٠، ١٦١، ١٦٩	الثنية (م) ١١٩
١٧٩، ١٨٦، ١٨٩	* ح *
حارثة بن زيد ٧٠	الجباحظ ٤٠، ٤٢، ٥٩، ٦٠، ٦٨، ٦٩، ٧٨، ٨٢
الحارث بن خالد المخزومي ٢٨، ٥٠، ٥٤، ٥٥	١٢٤، ١٢٣، ١٦٥، ١٧٢
٨٣، ٨٤، ٩١، ١٠٢، ١٠٩، ١١٢، ١٥٤، ١٥٥	جارود بن ابي سبرة ٤٢
١٦٤	الجاهلية ٤٤، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠
الحارث بن سريع ٦٧، ٧٢	١٨٦
الحارث بن ولة الجرمي ١٥٢	جبرائيل جبّور ٥٦، ٥٥
حَبَابَة (الغنية) ٢٢، ٥٧، ٥٩، ٧٤، ٧٧، ١٦٦	جبله بن الايم ٤٥
الحبشة ١٥، ٤٠	جبير بن ايم ٦٧، ٨١
الحجاز ٢٤، ٧٢، ٨٠، ٩٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤،	

١١٥٠١١٧٤١١٣٤١٤٩١٥٠٤	١١٥٠١١٧٤١١٣٤١٤٩١٥٠٤
١٦٩-١٧٤، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨	١٦٩-١٧٤، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨
١٩٢	١٩٢
الدمغة (قصيدة) ١٦٨	الدمغة (قصيدة) ١٦٨
الدميري ١٠٦٤١	الدميري ١٠٦٤١
دومة جندل (م) ٤٦	دومة جندل (م) ٤٦
ديباجة الحرم ٨٢	ديباجة الحرم ٨٢
الدينوري ٩٢، ١٩	الدينوري ٩٢، ١٩
ديوان يزيد (كتاب) ١٥٠	ديوان يزيد (كتاب) ١٥٠
* ذ *	* ذ *
ذات عرق (م) ١٠٦	ذات عرق (م) ١٠٦
ذيان (ق) ١١٦	ذيان (ق) ١١٦
الذلفاء (امرأة) ٧٧	الذلفاء (امرأة) ٧٧
ذو الرمة ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٩٢، ١٩٤	ذو الرمة ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٩٢، ١٩٤
* ر *	* ر *
راس الكورة (م) ١٠٠	راس الكورة (م) ١٠٠
الراعي ١٠٩، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٤	الراعي ١٠٩، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٤
الرباب (امرأة) ١١٤، ٦٦	الرباب (امرأة) ١١٤، ٦٦
ربيعة الشاسية (الغنية) ٥٧	ربيعة الشاسية (الغنية) ٥٧
ربيعة (ق) ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥	ربيعة (ق) ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥
١٨٢	١٨٢
ربيعة الرأي ١٢٩	ربيعة الرأي ١٢٩
رتيل (م) ٢٢	رتيل (م) ٢٢
الرصافة ١١٢	الرصافة ١١٢
رقاش ٢٩	رقاش ٢٩
الرقط (دور) ٢٤	الرقط (دور) ٢٤
رقية بنت عبد الواحد ١٠٨، ١٠٩	رقية بنت عبد الواحد ١٠٨، ١٠٩
رملة (امرأة) ٨٧	رملة (امرأة) ٨٧
رملة بنت الزبير ١٥١	رملة بنت الزبير ١٥١
رمانة (آل) ٧٧	رمانة (آل) ٧٧
روح بن زنباع ٨٦	روح بن زنباع ٨٦
الروم ١١٢، ١٦١، ٢١١، ٢٩٢، ٣١٢، ٣٣٤، ٤٦٦، ٤٧٠، ٦١٠	الروم ١١٢، ١٦١، ٢١١، ٢٩٢، ٣١٢، ٣٣٤، ٤٦٦، ٤٧٠، ٦١٠
١٤٥٠، ٩٨٧٤	١٤٥٠، ٩٨٧٤
ريبرا Ribera ٥٦	ريبرا Ribera ٥٦

- طليلة ٣
 طه حسين ١٧٦٤، ١٩٣٤، ١٩٤٤
 طويس (الغني) ٢٣، ٤٦، ٤٧، ١٢٦
 * ع *
 عائكة بنت عبد الرحمن ٨٢
 عائكة بنت يزيد ٨٤، ٨٥، ١١٠
 عاصم بن عمر ٦٦
 عامر (ق) ١٧٣
 عائشة ٨٨، ٢٨، ٤٥، ٦٣، ٨٤، ٨٧، ١٢٨
 ٤٣، ١٥٩، ١٦٤
 عائشة بنت سعد بن ابي وقاص ٦٦، ١٠٩
 عائشة بنت طلحة ٢٦، ٢٠، ٢٦، ٨٣، ٨٦، ٨٨-
 ٩٠، ٩٨، ١٠١، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١٤٣
 ٦٤، ١٥١٦٤
 عباد بن الحصين ١٦٠
 العباس (بنو) و(دولة بني) والعصر العباسي
 ٧١، ١١٨، ١٤٥
 عبد الاعلى ٤٢
 عبد الحكم بن عمرو الجمحي ٣٤، ١١٨، ١٢٢
 عبد الحميد الكاتب ١١٩
 عبد الحميد بن يحيى ١٤٧، ١٤٨
 عبد الرحمن بن ابي عمار ١٢٢، ١٥٦
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ١٢٦
 عبد الرحمن بن الحرث (بنت) ٨٨
 عبد الرحمن بن حرملة ١٦٨
 عبد الرحمن بن حسان ٨٣، ١١٥، ١٤٩
 عبد الرحمن بن الحكم ٨٣، ١١٥
 عبد الرحمن بن سيجان ٦٧، ٦٨، ٧٢
 عبد الرحمن بن عبد الله ٦٧
 عبد الرحمن بن عمر ٦٦
 عبد الرحمن بن عوف ٥٥، ١٩٥، ٢٤٤، ٦٢، ٦٦
 عبد الرحمن الكندي ٦
 عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ١٥١، ١٥٢
 عبد العزيز بن مروان ٤١، ٧٠، ٨٩
- عبد الله بن ابي بكرة ٢٢
 عبد الله بن ابي جعفر ١٤٠، ١٥٥
 عبد الله بن ابي ربيعة ٩٣، ١٠٤
 عبد الله بن ابي سرح ١٧٤
 عبد الله بن اويس ٦٣
 عبد الله بن جحش ١٥٢
 عبد الله بن جعفر ٢٨، ٢٩، ٥٧، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٩٣
 ٩٦، ١٣٠، ١٥٤، ١٧٥
 عبدالله بن جعفر (بنت) ٢٧، ٨٨
 عبدالله بن الزبير ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٦
 ٢٧، ٨٨، ٩٣، ٩٨، ١٠٢، ١١٥، ١٢٤، ١٦١
 ١٧٠، ١٧٨، ١٨٦
 عبدالله بن صفوان ١٩، ٤٤، ٢٨، ٦٠، ١٣٠
 عبدالله بن عامر ٢٣، ٢٤
 عبدالله بن عباس ٢٤، ١٠٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١
 ١٥٥، ١٨٨
 عبدالله بن عروة بن الزبير ٧٠
 عبدالله بن عمر ٢٣، ٦٣، ٦٤، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٩
 عبدالله بن محرو بن العاص ٤٠
 عبدالله بن المبارك ١٢٨
 عبدالله بن مروان ١٤٨
 عبدالله بن مسعود ١٢٤، ١٢٩، ١٤٠
 عبدالله بن مسلم بن جندب ١٢١
 عبدالله بن مطيع ١٩
 عبدالله بن وألان العدوي ١٨
 عبد الملك بن مروان ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٤،
 ٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦،
 ٦٩، ٧١، ٧٨، ٨٣-٨٥، ٨٨، ٨٩، ١١٠، ١١٢،
 ١١٣، ١٥١-١٥٥، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٨
 ١٨٥، ١٨٩
 عبس ١١٦
 عبيد الله بن زياد ١١، ١٢، ٢٨، ٤٠، ٤١، ١٧٢
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ١٢٣، ١٥٥، ١٥٦
 عبيد الله بن عمر ٦٦

١٤٥٠ ١٢٨٠ ١١٩٠ ١١٨٠ ٧٤٠ ٦١
 ١٧٢ فرعون
 ٢ فرنسة
 ١٠٠ (Philby) فلي
 ٧٦ فلسطين
 ١٠٩ فند (مولى عائشة)
 فيروز (مولى) ١
 * ق *

٦٨ الفادسية (واقعة)
 ١٢٢٠ ٢٨ الفام بن محمد
 ٧٤ الفالي
 ٩٨٠ ٢٢ قباء (م)
 قبرص ٦
 ٢٩٠ ٢١٠ ١٩٠ ١٨ قبتية
 قدامة بن مطعون ٦٦
 القرآن ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨

همرو الاشديق ٧٠
 همرو بن الاطنابة ١٤٩
 همرو بن سعيد ٦٨٢٥٠١١
 همرو بن العاص ١٠١٢٤٣٢١٠١٧٢١٦
 همرو بن كلثوم ١٥٣
 حمير بن حباب السلمي ١٧٣
 حمير بن ضابط ١٤
 عنبرة ١٩٤
 العوام (بنو) ١٥١
 عيسى بن مصعب ١٣
 عيلان ٢٩
 العيني ١
 * غ *
 الغرقد (م) ١١٣
 الغريض (الغني) ٦٠٢٠٥٨٢٥٤٢٥١٢٥٠٢٤٦٢٣٤
 ١٦٤٢١٣٧٢١١٣٢١٠٢٢٨٤
 * ف *
 فاختة امرأة معاوية ٥٨
 فارس ١٣١٢٤٧٢٤٦٢٤٥٢٤١٢٣٩١٦٢٦٣٤
 فارمر (Farmer) ٥٦
 فاضح (م) ١١٩
 الفاضحة (قصيدة) ١٦٨
 فاطمة (بنت النبي) ١٦٥
 فاطمة بنت عبد الملك ١١١٢١٠٢٨٦٢٨٤
 فاطمة بنت محمد بن الاشعث الكندي ٢٧
 الفاكهي ١٣٠١١٩٢١٠
 الفالوذج (طعام) ٤٤٢٣٢٤١
 فذك (م) ٥
 الفرات ٩٥
 فروخ ١٣٩
 الفرزدق ١٣٠٢١١٥٢١١٣٢٩٤٧٠٢٥٥٢٣٥
 ١٧٧٢١٧٤٢١٦٨٠١٥٧٢١٥٤٢١٤١١٣٣
 ١٩٤٢١٦٢١٨٥٢١٧٩
 الفرس ٦٠٢٤٧٢٤٦٢٤٥٢٤١٢٣٢٣١٢١٨٢٣

لحم (ق) ١٧٣	قيسارية ٣١
اللوزينج (طعام) ٤١	قيس بن الحدادية ١٦٥
ليتمان Littmann ١٣٤	قيس بن ذريح ١٣١
ليث (بنو) ١١٨، ٤٧	* ك *
ليلي (امراة) ١٥٠	الكامل (كتاب) ٤٩
ليلي الاخيلية ١٦٤	جب Gibb ١٩٣
ليلي ام عبد العزيز بن مروان ٨٩	كتاب الصحيفة الكبير ١٣٣
* م *	كتاب الصناعتين ١٤٧
اللازمين (م) ١١٣	كثير ١٦٥، ١٥٣، ١٥١، ١٣٢، ١٠٩، ٩٦، ٨٩، ٤١، ١٦٦
مالك بن انس ١٣٩	١٩٣، ١٧٣، ١٧١، ١٦٦
المبرد ١٧١، ١٦٩، ١٥٨، ٩٠، ٨٠، ٥٠، ٤٩، ١٠	الكديد (م) ١٠٦
مجاشع (بنو) ١٦٦، ١٦١	کرد علي ١٤٨
مجاشع بن مسعود ١١٨	كسري ٤٧، ٤١، ٣٣، ٣١، ١٨
مجاهد بن جبر ١٣٩	كعب (ق) ١٦٨، ١٦٧
المحصب (م) ١٠٥	الكمية ٤، ١٤٦، ١٠٩، ١٠٤، ١٠٣، ٩٠، ١٣، ١٠، ٤
محمد (التي العربي) ٣٦، ١٦٩، ٩٧، ٤٤، ٣٢	١٨٩، ١٨٣، ١٦٧
٤٨، ٤٥، ٦٣، ٥٢، ٥١، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٨١	كعب بن جميل ١٧٧، ١٤٩
١٣٥، ١٣٤، ١٣٠-١٢٦، ١٢٣، ١١٩، ١٠١	كلاب (ق) ١٦٨، ١٦٧
١٣٧-١٤٠، ١٤٣، ١٦٤، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧	كلب (ق) ١٥١
محمد بن بشير ١١٥	كلثم بنت سعد المخزومية ١٦٥
محمد بن الحجّاج ١٧٥	كلب (بنو) ١٦٧
محمد بن الخنفية ٩٣، ١١	الكميت ١٧٤، ١٧١، ١٨
محمد بن قاسم ٢١، ٢٠	كنانة (بنو) ٧٦
محمد بن يزيد بن معاوية ٤٣	الكوفة ١٤٠، ٦٨-٦٦، ٣٧، ١٨، ١٢، ١١، ٩
المختار ١٧٠، ١٢٤، ١١	١٧٧، ١٧٤
مخزوم (آل) ١٨٠، ١٧٩، ١٧٦، ٤٦، ١٥، ١١، ١	گويدي Guidi ٩٣
المخنشون ١٨٩، ١٣٦، ١٣٠، ٩٧، ٧٤	* ل *
المدائن ٦٠، ٣١	لاحق ٣٢
المدينة (يثرب) الخ ١٦، ١٥، ١٣، ١٠، ٩، ٤، ٢	لامنس Lammens ١٠٤، ١٠١، ١٠٠، ٩٨، ٩٥
١٧، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٤	١٥٠
٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢	لبطة بن الفرزدق ١٧٩
٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١	لبنان ١٠٠
٩٢-٩١، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢	

الحزير (ليلة) ١٤٩
 هشام بن عبد الملك ١١٣، ١٠٢، ٦٩، ٥٩، ٤٠، ١١٣،
 ١٧٩، ١٥٣، ١١٧
 هشام بن عروة ١٣٢
 هند (امراة) ١٨١
 الهند ١٠٤، ٢٤، ٢١، ١٤، ٦، ٢، ٤٢
 هند بنت النعمان بن بشير ٨٩
 الهيثم بن عدي ٤٣
 * و *
 وادي القرى (م) ٤٦، ١٩
 واصل بن عطاء ١٤٠
 الواقدي ٣١، ٣٠، ١٧
 وعة الجرمي ١٥٢
 الوليد بن عبد الملك ١٤، ١٩، ٣٥، ١٠٩، ٧٨، ٦٩، ٥٩، ٣٥، ١٠٩،
 ١٥٣، ٩٩، ٨٩، ٨٦، ٨٠
 الوليد بن عتبة ٧٣
 الوليد بن عثمان ٦٧
 الوليد بن عقبة ٨١، ٦٧، ٦٦
 الوليد بن يزيد ٣٦، ٤٠، ٨٠، ٥٩، ٦٩، ٧٠، ٧٢،
 ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٧٠، ١٠٣، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٥٣،
 ١٨٥
 ونكلر Winckler ١٠٤
 * ي *
 ياقوت ٢٣، ٢٥، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١٧٣،
 يحيى بن عبد الحكم ٨٨
 يربوع (بنو) ١٦٠، ١٦١
 يزيد بن ابي حبيب ١٤٠
 يزيد بن ضبة ١٠٢
 يزيد بن الطثرية ١٩٠
 يزيد بن الطثرية (اخت) ١٦٥
 يزيد بن عبد الملك ٣٢، ٥٨، ٥٩، ٧٤، ٧٧، ١٥٣،
 ١٨٥، ١٦٦
 يزيد بن معاوية ١٠، ١٦، ٢٨، ٣٥، ٤٠، ٤٨، ٥٨،
 ٦٨، ٧٠، ١١٥، ١١٦، ١٣٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣،

* ن *

الناطقة ١٩٤
 الناصري ١٣٦
 نافع (مولى عبدالله بن عمر) ١٣٩
 نافع بن الازرق ٦، ١٣٦، ١٤١، ١٥٥، ١٧٠،
 النجاج (م) ٢٣
 نجد ١٧٣
 نجدة الحروري ١١
 نجران ٤٥
 (لنحو) ١٣٣، ١٣٤
 النخعي ١٤٠
 نشيط (المغني) ٤٧
 النصرانية ١٣٢
 نصيب ٩٦، ٩٨، ١٠٩، ١٦٥، ١٩٤،
 نعم (آل) ١٥٥
 النعمان بن بشير (بنت) ٨٦
 نعمان بن عدي (او علي) ٦٦
 نعمان (صحابي) ٦٦
 نقطويه ١٢٦
 نقاض جرير والفرزدق (كتاب) ١٢٠
 نكلسن Nicholson ١٦٣، ١٩٢،
 غير (ق) ١٦٧، ١٦٨
 النميري ٣٠، ١٠١
 النهار (جريدة) ٩٩
 نخشل (بنو) ١٦٦
 نوار (امراة الفرزدق) ١٦١
 نوثة الضحى (المغني) ٤٦
 النووي ١٠
 النويري ٦٦، ٧٠، ٨٩
 النيل ٩٧

* ه *

هاشم (آل) و (بنو) الخ ٢٣، ٩٠، ٢٨، ١٣٦، ١٧٥،
 هامان ١٧٢
 هرقل ٣

اليمن (اليمينيون) الخ ٤٠٠٣٧، ٣٧، ١٥٠١٠، ٤٣، ٤٠، ٤٥	١٨٧، ١٧٠، ١٦٩
١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٥٩، ١٠٥، ١٠٤، ٤٥	يزيد بن المهلب ١٧٢، ٤٢
١٨٢، ١٧٧، ١٧٥	يزيد بن الوليد ٦٩، ٤٠
اليهودية ١٢٣	اليعقوبي ١٠٢، ٥٥
اليونان ١٢٣	يعلى بن منبه ٢٠
يونس ٥٦	يلبن (م) ٩٨
	اليامة (م) ١٣٥، ٤٦، ١٠

تصحيح خطأ

الصواب	الخطأ	ص ١٦	س ٢٤
٧٦: ١	٦٨: ١	١٣٣	٢٤
مورتر	مورتر	١٤٦	٧
لائتكم	لائتكم	١٥٢	١٩
وعففته	وعقله	١٧٢	١٢
الكتاب	الكتاب	١٧٦	١٢
فكانوا	فكان		

MEMORANDUM

The following is a summary of the information received from the various sources mentioned in the report. It is intended to provide a general overview of the situation and to highlight the key points for consideration.

The information received from the various sources is as follows:

1. The situation is generally stable, with no major incidents reported.

2. The majority of the population is satisfied with the current situation.

3. There are some concerns regarding the economy and the future of the country.

4. The government is taking steps to address these concerns and to improve the situation.

5. The situation is expected to remain stable in the near future.

[Handwritten signature]

Very truly yours,

[Name]

FOREWORD

The recommendations of Ṭaha Ḥusayn both in his “Ḥadith al-Arba‘ā” and in private conversation have urged upon the author the need for a serious study of the life and times of ‘Umar ibn abī Rabī‘ah. To ‘Umar belongs the palm, not only among Hijaz poets, as Reynold Nicholson aptly puts it, but also among all love poets of the Umayyad period. The work of Paul Schwarz on the text of ‘Umar has made the task easier. From the point of view of textual criticism hardly any other Arab poet of the early days has received as much scientific attention as is given in the « Der Diwan des ‘Umar Ibn Abi Rebi‘a » of Schwarz.

The present study on the age of ‘Umar is the first of three volumes dealing with his age, life, and works, respectively. It is hoped that the other two volumes will appear in the course of the next two years. For fuller particulars regarding methods of work and difficulties encountered, as well as personal obligations, see the Arabic introduction.

JIBRĀ’ĪL S. JABBŪR

American University of Beirut
May 8, 1935

UMAR IBN ABI RABI'AH

HIS AGE, LIFE, AND WORKS

VOLUME ONE

THE AGE OF UMAR IBN ABI RABI'AH

BY

SPENCER S. LARSON, M. A.

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

PRINTED AT THE AMERICAN PRESS, BEIRUT

‘UMAR IBN ABĪ RABĪ‘AH

HIS AGE, LIFE, AND WORKS

VOLUME ONE

THE AGE OF IBN ABĪ RABĪ‘AH

BY

JIBRĀ‘ĪL S. JABBŪR, M. A.

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

PRINTED AT THE CATHOLIC PRESS, BEIRUT — 1935

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

PUBLICATIONS

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES

THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

PUBLICATIONS
OF
THE FACULTY OF ARTS AND SCIENCES



ORIENTAL SERIES

No. 7

ORIENTAL SERIES

- Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Syria under Mehmet Ali Pasha, by Asad J. Rustum,
M.A., Ph. D. Vol. I, 1930. No. 1
- Corpus of Arabic Documents....., Vol. II, 1931 . . . No. 2
- Corpus of Arabic Documents....., Vol. V, 1933 . . . No. 3
- Umarā' Ghassān, being an Arabic translation of Th.
Noeldeke's "Die Ghassānischen Fuersten aus dem
Hause Gafna's", by Pendali Jousé, Litt. D. and
Costi K. Zurayk, M.A., Ph. D. 1933. No. 4
- Corpus of Arabic Documents....., Vol. III-IV. 1934 . . No. 5
- The Yazidis Past and Present, by Amir Ismā'il Chol edi-
ted by Costi K. Zurayk, M.A., Ph. D. 1934. . . No. 6

① Whether the circle can be an
inst. of ed.

② Can a ^{circle} be a ^{circle} + happy

Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Sardinia under the French Republic, by André A. Huard.
Paris, 1901. Pp. 1-100.

Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Sardinia under the French Republic, by André A. Huard.

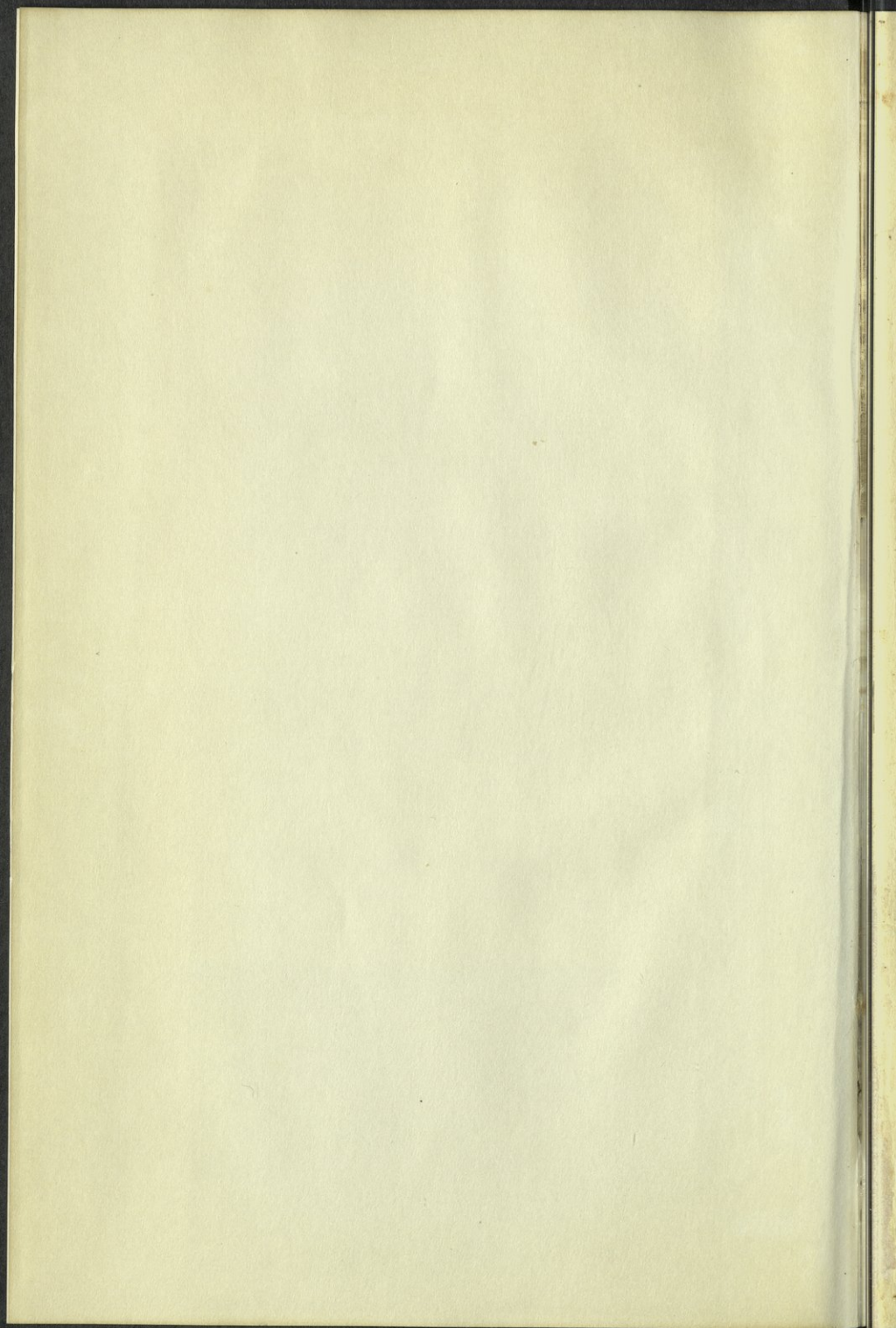
Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Sardinia under the French Republic, by André A. Huard.

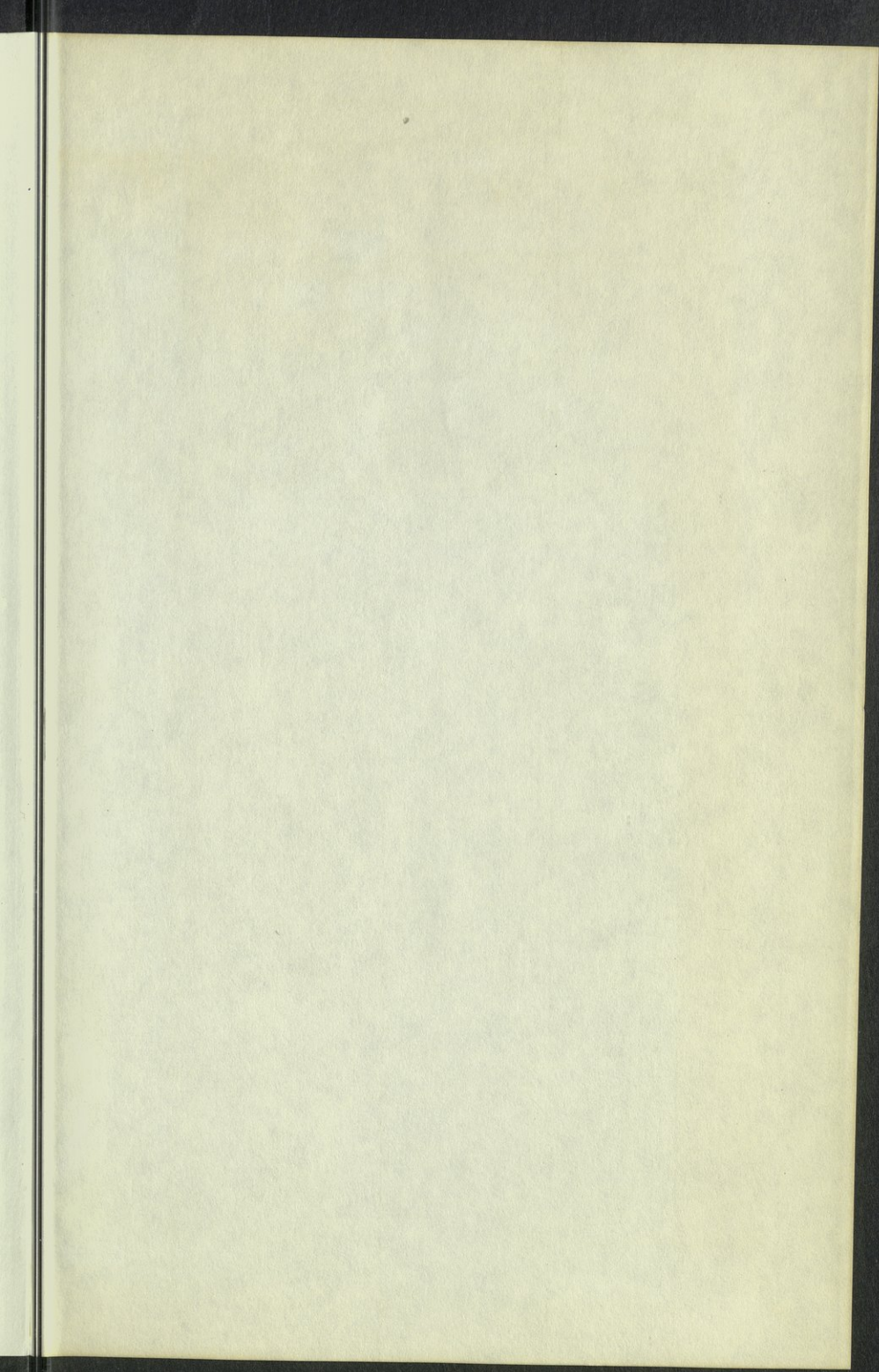
Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Sardinia under the French Republic, by André A. Huard.
Paris, 1901. Pp. 1-100.

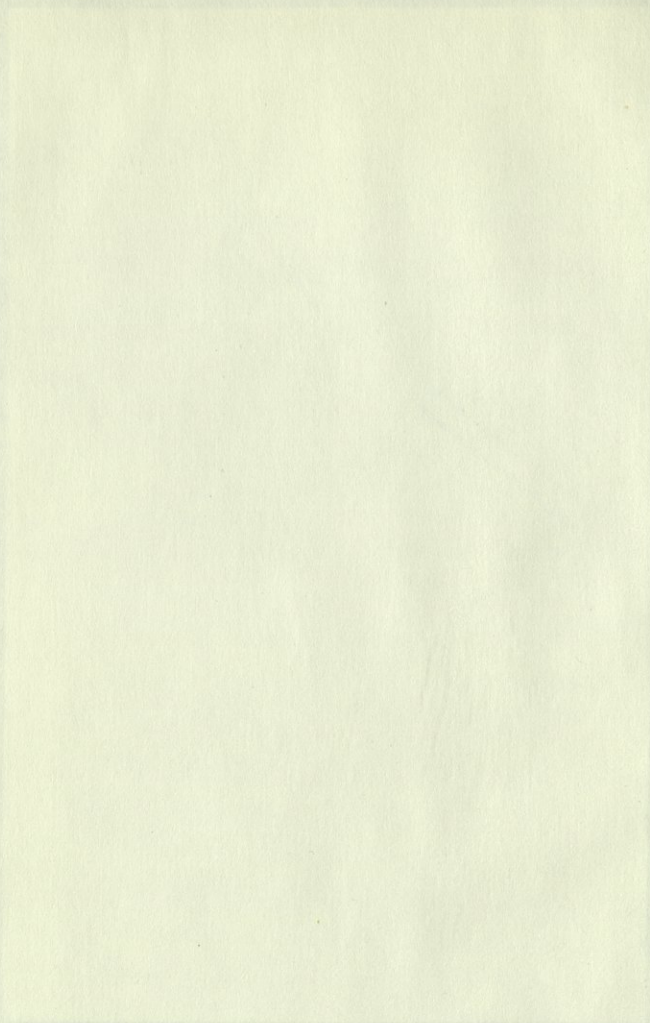
Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Sardinia under the French Republic, by André A. Huard.

Corpus of Arabic Documents Relating to the History of
Sardinia under the French Republic, by André A. Huard.









~~JAFET LIB.~~
~~72 APR 1983~~
~~JAFET LIB.~~
~~20 FEB 1989~~
~~J. Lib.~~
~~23 JAN 1983~~

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00336938

A.U.B. LIBRARY

